فتح باب المواهب وبغية مطلب المطالب

تصنيف

تاج الأكابر سيدي أبي بكر بن سالم

قدس سره

المتوفى ٩٩٢هـ

تحقيق وتخريج وتعليق

الشيخ أحمد فريد المزيدي



FATḤ BĀB AL-MAWĀHIB
WA BUĞYAT MAṬLAB AL-MAṬĀLIB

فتح باب المواهب
وبغية مطلب المطالب

Author : *Sidy Abu Baker ben Salem (D. 992 H.)*

المؤلف : سيدي أبو بكر بن سالم (ت ٩٩٢ هـ)

Editor : *Al-Shaykh Ahmad Farid Al-Mazidy*

المحقق : الشيخ أحمد فريد المزيدي

Classification : *Sufism*

التصنيف : تصوّف

Year : *1440 H. - 2019 A.D*

سنة الطباعة : ١٤٤٠هـ - ٢٠١٩م

Pages: *312*

عدد الصفحات : ٣١٢

Size : *17 × 24 cm*

القياس : ٢٤ × ١٧ cm

Printed in : *Lebanon*

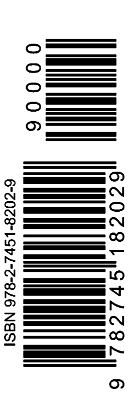
بلد الطباعة : لبنـــان

Edition : *First edition*

الطبعة : الأولى



Mazraa, Ras Nabea, Mohamad Al Hout Street,
Katerji Building, First Floor, Beirut-Lebanon
Tel :+961 76 944 855-P.O.Box: 11- 374 Riyad Al-Soloh
E-mail: books.publisher@hotmail.com



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مقدمة التحقيق

الحمد لله الذي بدأ بالإحسان وختم، وجعل منته سابقة في القدم، وغذى أرواح العارفين بشكر النعم، ففاضت فضائلهم من جود مولاهم والكرم، فأشرفوا بنور البصيرة على قلوب المتوجهين بحقيقة العبودية، وناخت ركائبهم المتوجهة في ميادين العارفين بالله، أركان الدين، الماشين على الصراط المستقيم، ذاقوا نسيم خمرة الذات التي تجلت عليهم، فغمرت الآفاق بأمطار القبول على الطالبين، وهم النجباء الخلفاء الهادون المهتدون الراشدون، الراسخون على القدم المحمدي، الذي تورث منه علوم اليقين، وطالت أعناقهم بنزولهم إلى مقام الخاملين المتواضعين، ورشحت ونفحت من أنفاسهم ثمرات القرب والنعم، فخلع الحسن والجمال لباسهم بعد شهودهم، فنظراته شملتهم وتولتهم، فنجح مطلب الطالبين في مطلبهم، ورمقهم في فضله وكرمه وجوده، وتخلوا من كل غير وسوى، ثم بعد ذلك غاصوا في البحر المحيط، فالتقطوا من جواهر ذلك البحر، فهم في أتم النعيم يتقلبون، واردين وصادرين، وهو حق اليقين، وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أما بعد... فنقدم اليوم إلى ديوان الخلود، وعريضة الأعمال الخالدة، وإلى لوح الدهر الحافل بحقائق أنوار السادة الأخيار- حاوي جميع المفاخر وتاج الأكابر- سيدي القطب أبي بكر بن سالم- قدس سره.

كتاب: فتح باب المواهب وبغية الطالب لسيدي أبي بكر بن سالم - قدس سره- وقدم له بقوله: افهم أيها المتوجه المخلص إلى أسنى عرائس المعاني الجمالية، التي ليس لها حجاب ولا توقع، ولا لأهل الفهم مدخل في ذلك ومحاسن مجليها لأهل القلوب، ولو أكثرهم في التصديق بارق لامع، لا يحجبها

القناع لمن فاضت عليه من حضرة الكمال، ولابد من التذلل بين يديه والامتثال لأمره ونهيه المعروف والانقياد للحكم، وهو الرحمة التي وسعتكم.

فقد قدّم لنا الشيخ كتابه هذا العجيب في علم الحقيقة، أملاه على سبيل الوارد وهو كتاب مشحون بالعلوم والمعارف، مملوء باللطائف والظرائف، فيه إشارات أسرار الآيات القرآنية، والعقائد الإيمانية، وفيه تنويه إلى صاحب المقام المحمدي والتمسك به.

ومحبة في هذا الشيخ العارف الكامل الصالح، قمت بتحقيقه لأول مرة؛ كسابقه: معراج الأرواح؛ لينتفع به أهل النور، فضبط نصه وصححته وخرجت أحاديثه، وعلقت على بعض مواضعه، من كلام الشيخ والعارفين.

هذا... ونسأل الله تعالى من فضله أن يزيدنا بصيرة بأسراره وغوصًا في غماره وتوفيقًا لاقتفاء آثاره واقتباس أنواره والقيام بشكره والتحفظ من قهره ومكره، وأن ينفعني بكتابي والطالبين ويجعلهم فيه راغبين، ويرحمني وإياهم ومن دعا لي منهم ويتقبل فيّ دعوته برحمته إنه هو أرحم الراحمين.

وصلى الله على سيدنا ومولانا محمدٍ وعلى آله المباركين وصحبه المقربين، وسلم تسليمًا كثيرًا.

كتبه الفقير إلى حضرة ربه الغني العظيم: أبو الحسن والحسين أحمد فريد المزيدي الحسني، خويدم التراث الصوفي، والله الموفق لكل خير وهو الرحمن الرحيم.



ترجمة المصنف

مولده وحياته: الشيخ أبو بكر بن سالم بن عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الرحمن الحضرمي اليمني الشهير بالسقاف صاحب العينات.

ولد سنة 919 هـ في تريم من بلاد حضرموت وتعلم بها، وسكن عينات ـ من قرى تريم ـ فكانت له فيها زعامة، تنشر أمام موكبه الأعلام، وتضرب بين يديه الطاسات إلى أن توفي، وهو ممن جمع بين العلم والحال والولاية والسيادة له كلام عالٍ وشعر حسن ينبئ عن حاله ومقامه منه:

فلولا وجود السر ما كان كائن ... فتمت بذاك السر كل البرية

تمسك بنا والزم دقائق حسنا ... وزرني بصرف الود تسعد بزورتي

ولي شرف المصطفى سيد الورى ... بنسبته فقنا جميع الخليقة

وصلِّ على الهادي النبي وآله ... وأصحابه والتابعين بجملة

نسبه: وقد كان من أسرة كبيرة ذات فروع وسلالات انتشرت في بقاع الأرض لها مكانة ورئاسة من الفرعين «آل الحسين، وآل الحامد» وفروع هذه الأسرة عرفت بألقابها نسبة إلى أحد أجدادها «آل الحسين، آل الحامد، آل حيدر، آل حسن، آل بن شيخان، آل العيدروس، آل عقيل مطهر، آل المحضار، آل الحداد، آل بن ناصر، آل بو فطيم، آل صالح، آل علي، آل شيخ، آل الحيد».

وآل المحضار: هم سلالة عمر المحضار بن أبي بكر بن سالم، ولقبه والده بعمر المحضار تيمنًا بعمر المحضار المذكور قبله بأن يكون له من معارفه وعلومه نصيب كما كان من اسمه ولقبه نصيب.

وآل الحامد: هم سلالة أبي بكر بن سالم سمى ابنه الحامد تفاؤلاً بأنه سوف يعيش ويحمد لله.

وآل الشيخ: هم سلالة أبي بكر بن سالم، ولقب الشيخ هم من المشيخة

العلمية ولا من الشيخوخة.

وآل الحيد: بطن من آل الشيخ، والحييد تصغير حيد، ومعلوم أن الحيد لغة صرف الجبل البارز.

وآل شيخان: كلمة شيخان اسم منقول ومشتق من صفة المشيخة العلمية.

وآل عقيل مطهر: يقال لكل فرد من أفرادها مطهر.

أما آل الهدار: وهدار من أمثلة المبالغة؛ أي: كثير الهدار، وتقول العرب: «رعد هدار» أي: قوي الصوت بالدعوة إلى الله.

ومن شيوخه:

- شهاب الدين أحمد بن عبد الرحمن بن الشيخ علي بن أبي بكر السكران.
- السيد أحمد بن علوي باجحدب العلوي.
- الشيخ محمد أبو الحسن محمد بن محمد البكري
- الشيخ أبو محمد معروف بن عبد الله باجمال الشبامي.

ومن أشهر من أخذ عنه:

- السيد أحمد بن محمد الحبشي
- السيد عبد الرحمن بن محمد الجفري.
- السيد عبد الرحمن بن أحمد البيض
- الشيخ حسن بن أحمد باشعيب.
- الشيخ أحمد بن سهل اليتيم.

وغيرهم الكثير والكثير.

ومن مصنفاته:

- «فتح باب المواهب وبغية مطلب الطالب» وهو الكتاب الذي بين أيدينا.
- «معارج التوحيد».
- «معراج الأرواح إلى المنهج الوضاح» بتحقيقنا.
- «مفتاح السرائر وكنز الذخائر».

وفاته: وكانت وفاته في سنة 992هـ.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وبه نستعين

مقدمة

الحمد لله على جميع محامده، ونشكره من صميم شكر الشكر على تواتر نعماته، فظهرت مفاتيح خزائن الجود والتجلي الذاتي الذي برز بذاته لذاته، فأظهر إحسانه بإحسانه، وتولى فضله بفضله؛ فظهر من ذلك استخلاف آدم، ومظهر آياته وصفاته المعنوية بالعالم، وحقوقية جميع القوالم بجملتها وحقائقها جميع الحقائق كلها، وحامل أسرار العليم الأعلم، صورة اسم الله العزيز الأكرم، فدل به عليه، وصلى الله على من هو الاسم الأعظم المبعوث بالرسالة إلى خير الأمم، وعلى آله وصحابته السالكين على قدم القوم الأقوم، وعلى أهل بيته المطهرين أجمعين.

وبعد ...افهم أيها المتوجه المخلص إلى أسنى عرائس المعاني الجمالية، التي ليس لها حجاب ولا توقع، ولا لأهل الفهم مدخل في ذلك ومحاسن مجليها لأهل القلوب، ولو أكثرهم في التصديق بارق لامع، لا يحجبها القناع لمن فاضت عليه من حضرة الكمال، ولا بد من التذلل بين يديه والامتثال لأمره ونهيه المعروف والانقياد للحكم، وهو الرحمة التي وسعتكم.

وقوله: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحى: 11].

وقوله: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [البقرة: 3].

وقوله تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾ [يوسف: 108].

لا إلٰه إلا هو الكبير المتعال، وهو القيوم المثبت بذاته لذاته، ولا يحتاج إلى

علم في تحقيقه إلى أمر خارج عن ذاته، وهو القيوم الثابت بذاته والمثبت لغيره ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: 3].

فلما ظهر في مظهر الشهادة؛ أي: بطن في باطن الغيب عند الله فكان ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه: 110].

﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ [البقرة: 255].

﴿وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود: 88].

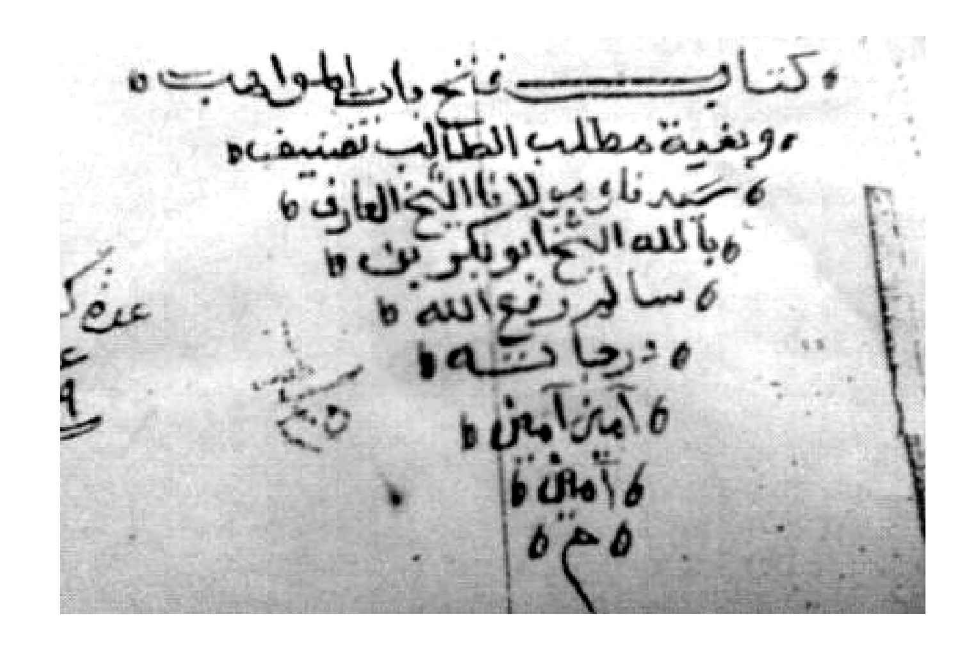
﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾ [الشورى: 11] في الأرض ولا في السماء ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ سبحان من اتسعت رحمته لأوليائه في شدة نعمته لأعدائه في سعة رحمته وافهم «**حُفت الجنة بالمكاره، وحفت النار بالشهوات**»[1].

فإن الرحمان ذات لها الرحمة، والقاهر ذات لها القهر، ورجعنا في الكلام في جميع الذات جمع الأعيان لا يكون إلا بشهود عيان وصدق بيان في مقامي الجمع والتفصيل، وافهم.

***

(1) أخرجه أحمد (13696)، وعبد بن حميد (1311)، والدارمي (2843)، والترمذي (2559) وقال: حسن غريب، وأبو يعلى (3275)، ومسلم (2822)، وابن حبان (716).

نماذج من صور المخطوط


كتاب فتح باب المواهب
وبغية مطلب الطالب تصنيف
سيدنا ومولانا الشيخ العارف
بالله الشيخ ابو بكر بن
سالم رفع الله
درجاته
آمين آمين
آمين
م

استخلاف ادم ومظهر اياته وصفاته المعنوية بالعالم
وهو فيه جميع العوالم علويها وسفليها جميع الخلائق
كلها وحامل اسرار العليم الاعلم صورة اسم الله العزيز
الاكرم فدل به عليه وصلى الله على من هو الاسم الاعظم
المبعوث بالرسالة الى خير الامم وعلى آله وصحابته السالكين
على قدم القويم الاقوم وعلى اهل بيته المطهرين اجمعين
وبعد فاعلم ايها العبد المتوجه المخلص الى
اسنا عرائس المعاني الجالية التي ليس لها حجاب ولا
ولا لاهل الفهم مدخل في ذلك ومحاسن مجليها لاهل
القلوب ولو اكثرهم في التصديق بارق لاح
لا يحجبها القناع لمن فاضت عليه من حضرة الكمال

الأعم وسابقه الأقدم وصراطه الأقوم ربح مينا شمس الرحمة
ودرجة الرفيع [illegible] ارض الدلالة والعبودية والسبع المثاني
وصاحب [illegible] في مظهر الكمال والجمال ومقتضى الجمال
والجلال لكل الكمال عبارة عن فرد مفهوم من حقيقة
المجموع محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه القائمين
عنه في أحواله النائبين عنه في أفعاله رضي الله عنهم
أجمعين وهو حسبنا ونعم الوكيل نعم المولى ونعم النصير
والله يقول الحق وهو يهدي السبيل وصلى الله على
سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا والحمد
لله رب العالمين تم هذا الكتاب بحمد الله
وعونه وحسن توفيقه في عصر
يوم الجمعة المبارك [illegible]
والعشرين من شهر ذي
الحجة الحرام [illegible]

[illegible]

فصل
[في الإحاطة والإدراك]

فلما بان العيان ظهرت فبرزت شمس إيضاح اليقين، ومشهد العين بالمعين في مظهر الذات الأحدية السارية في الكل، فلا شيء يدخل فيها إلا منها وبها، ولا يخرج منها خارج إلا منها، فصار سلطان الذات والي على الصفات، ومن هنا ثبت له المحو، والإثبات رقت حجبه، فأشرك جمال جماله في زوايا قلبه الواسع، كما أنه قال ﷺ: «**إن لله سبعين ألف حجاب...**»[1].

وعن علي كرم الله وجهه، قال: الحقيقة كشف سبحات الجلال من غير إشارة، وهو كرم الله وجهه المقدم القوم والباب الأعظم لمدينة العلم وساقيهم من شراب الكوثر، الذي خص به نبينا ﷺ علي بن أبي طالب ـ كرم الله وجهه ـ وابتدأه بالإشارة من مظهر الحقيقة، وهو محض تنزيه الذات من التعددات الأسمائية، ولكنه يقوله فيُحق المعلوم مع محو الموهوم إشارة منه إلى فناء الرسوم، وتفهم شهود الواحد المطلق الذي الكل به موجود بالحق وظهور وهو العالم، وبطون وهو الأسماء، ومن روح جامع فاصل بينهما التنزيه الظهور والبطون، وهو الإنسان الكامل؛ فالظهور مرآة البطون، والبطون مرآة الظهور، وما بينهما فهو مرآة لهما جميعًا، فهو الذي يقصد إليه؛ لافتقار الكل إليه قوله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [فاطر: 15].

وقوله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَـٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: 103].

وحكاية عن هُود عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [هود: 56] وأقرب الطرق فأسهلها وأعلاها؛ إذ أفنيت عنك البشرية فارتفع الحجب حتى لا يكون معه غيره، فكان الفناء لهم بأن ظهرت عليهم أنوار

(1) سيأتي تخريجه.

التجليات والكشف والعيان ومظهر الرسالة، ومطلع الهدايا، والدعوة إلى الله على يقين قوله: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ﴾[1] [يوسف: 108].

قوله: ﴿فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُۖ﴾ [يونس: 32].

وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا﴾ [الفرقان: 45] فهو الواجب الوجود الحق الثابت بذاته المثبت لغيره الموصوف بالأسماء الإلهية المنعوت بنعوت الدعوة الربانية بلسانه إلى تحقيق عين جمعه ومرتبته الوهبية، ثم نادِ منادي متمثلاً لنفسه، كما قال: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [غافر: 16].

﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥۚ﴾ [القصص: 88] وفي الصعود قوله: من عالم الشهادة إلى عالم الغيب أو من صورة إلى صورة في عالم واحد جلّ وعلا في بقائه ونهاية كماله وظهور آياته ورفع أعلامه وراياته، فتكثر بحسب الصور، وهو متفرد على وحدته لا يشبه غيره؛ لأنه الحقيقة وجمالاته السرمدية، وهو يدرك حقائق الأشياء بما يدرك حقيقة ذاته لا بأمر آخر كالعقل الأول وغيره؛ لأن تلك الحقائق أيضًا عين ذاته حقيقة محيطة منزهة، وإن كان ظهر غير هذا ولا يدركه غيره، قوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَۖ﴾ [الأنعام: 103] ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه: 110]، ﴿مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓۗ﴾ [الحج: 74] ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥۗ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ [آل عمران: 30] نبه عباده لطفًا منه ورحمة؛ لئلا يضيعوا أعمارهم فيما لا يمكن حصوله، نسأل الله العافية والسلامة لمن صدق وضيع عمره وصدوا من هذا المقام ولا صدوا، فالعباد من نحو ذلك تولاهم المبين والعلا لمولاة أستاذ مربي يشرف على قلبه، فيوضع فيه من وجود الحق على المخلصين الفانين، فعند ذلك يشكرون لمن أيدهم بتأييد قوله: ﴿وَأَيَّدَهُم

---

(1) قال الشيخ أبو بكر بن سالم: وأما البصيرة التي نطق بها القرآن العظيم ففي دائرة أمره السابق واللاحق؛ لأنها من جذبة عين الجمع الأصلي اللائذ به كل شيء، ووسع كل مدد رباني منزه، وقائم معه على ذلك من الخلافة لما أمره به من الموافقة للخليفة، فانتشرت وبرزت من الاتباع والاقتداء بحقيقة الخلافة.

بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ [المجادلة: 22].

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾ [الإسراء: 85].

واوعى وافهم قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾ [القيامة: 18-19].

وافهم واعلم أن الوجود هو الحق، واعلم سر قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: 4].

﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ﴾ [الواقعة: 85].

﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: 21].

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ [الزخرف: 84].

وقوله: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [النور: 35].

﴿ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطًا﴾ [النساء: 126][1].

«وكنت سمعه وبصره»[2] وسر قوله ﷺ «لو دليتم بحبل لهبط على الله»[3]

---

(1) قال الشيخ أبو بكر: فأرباب القلوب هم الراسخون في العلم بالله دون غيرهم، فيتحقق العارفون حظهم، وحصتهم من فيض أنواره مع سكونه، واستقامته، وحسن سيرة حميدة؛ لأن قلوبهم مغمورة بنور التجلي الإلهي، وظهر سلطان الحق فيهم من الهيبة، وظهور الأنس، وسلطان مظهرها في العالم قهرًا، فيه تشرق قلوب السائرين إليه، والمعولين في مطالبهم ومقاصدهم عليه، فجليت عليهم عرائس معانيه من حضرة العليم الخبير.. وأهل البصائر لا يزالون في عرائس المعاني المتلألئة من وراء الحجب، وشاخصة في بروق سناء العارفين؛ لأن الأعمال الطيبة التي تنفخ منها روائح القبول والرضا الدائم،.. وهذه أسرار المنة والمنحة، فيا لها من منة التي خضعت لها الرقاب وأمحيت عندها الأحساب والأنساب! فما هنا إلا مجرد العبودية المحضة الراقية التي غمرها فيض جود الربوبية، فغابت عنهم الصفات والمعلومات، وظهور هيكل الجسمانية، فصار لهم سؤدد الولاية ورمقتهم، وتولتهم بفيضها الإلهي، قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأنبياء: 107] أي: جميع العوالم العلويات والسفليات، فقد عمت رحمته الأولين والآخرين، وهو خاتم النبيين، وصفوة المرسلين أجمعين، عليه وعليهم أفضل الصلاة والتسليم.

(2) سيأتي تخريجه.

(3) ذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (1/ 102).

وأمثال ذلك من أسرار الوحدة المثبتة بيان الإشارة والنظر إلى ذاته لا غير؛ لأن الوجوب يستلزم التغاير مطلقًا لا للحقيقة كما أن في العلم يقتضي التغاير بين العالم والمعلوم تارة: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: 11].

والزم حقيقة الأفراد الإنسانية وأنه لا يمكن مثله ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ حقيقة أفرادها عين وشهود وشمس يقين، ثم أفراد الإنسانية، لا يمكن مثلها في إفراد شيء آخر من الوجوه، وإن بعد ذلك صار بعضها على مرتبة، وأشرف من الأملاك، وبعضها أسفل مرتبة، وأخس حالاً من الحيوان، كما في قوله تعالى: ﴿هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ [الفرقان: 44].

وقال: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ﴾ [التين 4-5] وقوله في الكافر: ﴿يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا﴾ [النبأ: 40] وافهم واعلم، أن هذا القدر من هذا العلم اللدني كافٍ لأهل البصائر الفانين المندرجين في فناء طي الإرادة وتحقيق العبودية الرقية المحضة، فقلت: لست أقول الإيماء يقال لي به بالإذن والتمكين.



فصل
في رموز حقيقة الحقائق

وشرعنا في هذا الكتاب العظيم من رموز حقائق الحقائق، ويسقى كل مقبل عارف من صافي وداد المحبة الفائضة من بارد شراب ماء الحياة الأبدية والهدايا السرمدية، وقفوا هنا قوله: ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعۡلُومٌ﴾ [الصافات: 164] لزم الأدب جبريل مع خاتم النبوة والرسالة محمد ﷺ فنادى في قوله: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوۡسَيۡنِ أَوۡ أَدۡنَىٰ ﴿٩﴾﴾ [النجم: 9] فخاطبه بما يرضيه، وأقبل له الفضل والرضا في الشفاعة ﴿وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ ﴿٥﴾﴾ [الضحى: 5].

فلا يرضى ﷺ واحد من امتد في النار لكن رجع إلى ربه ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلۡمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾﴾ [النجم: 42] فنطق له بالرضا نص القرآن: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةً لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأنبياء: 107].

﴿وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثۡ ﴿١١﴾﴾ [الضحى: 11].

وخذ من الشهادة، وهي مرتبة الاسم المطلق، والآخر لقب عالم الملك، ومرتبة الإنسان الكامل عبارة في جميع المراتب الإلهية الكونية من العقول والنفوس الكلية الاسم الرحمن الجامع لجميع الأسماء الجامعة لاسم الله يقتضي تغاير المرتبتين، ولولا وجه المغايرة بينهما ما كان تابعًا باسم الله في بسم الله الرحمن الرحيم، وافهم تكسبه من المنن والسعادة الأبدية وترقى مراقي أهل الكمال من المخلصين فيها: ﴿وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٖ ﴿٢٠﴾﴾ [إبراهيم: 20].

الزم الإخلاص وفي بقاء وفناء الصفات تشهد الذات الأحدية، فتكشف لك الحجب والشكوك، وتكون مع أهل هذا العلم اللدني الذوقي، انظر إلى المرتبة التي تجمعها مرتبة الألوهية المنعوتة بلسان الشرع، فهي أول كثرة وقعت في الوجود وبرزخ بين الحضرة الأحدية الذاتية وعزم التوجه التام على الحق والاعتقاد بالصدق، وترك الاشتغال بغير الحق.

وقد يكون بالمجاهدة على قدم التجريد على بصيرة، وفي العبادات البدنية بالطاعات والعبادات، فيكون اعتدال على بصيرة: ﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ﴾ [الأحزاب: 4].



فصل
في الذوق العام والخاص

وربما توالت علينا الأذواق والشهود والمكاشفة بلا حد، ولا ميزان منها ما هو عام وهو القرآن والحديث النبوي، كل منهما من الكشف التام المحمدي ﷺ ومنها ما هو خاص وهو ما يتعلق بحال مهم الفائض عليه من الاسم الحاكم والصفة الغالبة، ولله الحمد من قبل وبعد، فابتداء الشهود لا مقدمة لها؛ والمراد الحق ظهور ما لا صورة له في هذا العالم الحقي كالعقول المجردة المنورة يكون لبعضهم على قدر استعدادهم، ولا ثم شكل بأشكال المحسوسات والتشكل، كظهور جبريل عليه السلام بصورة دحية الكلبي، وبصور أُخر.

وكذلك نُقل عن عمر رضي الله عنه حديث الأقوال على الإسلام والإيمان والإحسان، وكذلك ما في الملائكة السماوية والعنصرية، والجن كذلك، وإن كان لهم أجسام نارية تتمثل بالإنسانية الكاملة، وأيضًا يتشكلون بأشكال غير أشكالهم المحسوسة، وهم في دار الدنيا؛ لقوة انسلاخهم من أبدانهم، وبعض انتقالهم أيضًا إلى الآخرة، والكشف رفع الحجاب، والمقصود الاطلاع على ما وراء الحجاب.

والكشف الحقيقي الذاتي، يكون سماع كلام الله تعالى من غير واسطة كسماع نبينا محمد ﷺ في الأوقات التي أشار إليها بقوله: «**لي وقت مع الله لا يسعني فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل**»(1) ومنبع هذه المكاشفات هو القلب الإنساني ثلاثة: فإن للقلب عينًا وسمعًا وبصرًا وغير ذلك ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج: 46].

ولكن لا عبرة عن حجة نفسه وهواه وشركه لا يعبأ به، ولا يؤخذ به في شيء البتة، وافهم أيها المخلص أن المعاني والمكاشفة كلها مظاهر مطابقة للحقيقة الإنسانية في مظاهر ناسوته في خلقه ظاهرًا هي صورة العقل الأول الذي هو

(1) ذكره العجلوني في «كشف الخفاء» (2159).

صورة الجمالية؛ ولذلك قال ﷺ: «**أول ما خلق نوري**»[1] وأراد به العقل الأول، كما أيَّده بقوله ﷺ: «**أول ما خلق الله العقل**»[2] في صورة باقي العقول والنفوس الناطقة الفلكية وغيرهم، وأوضح دليل أن يكون العبد المخلص في مقام فناء الكل في عين الشهود، وهو عين الحقيقة، فهو الدليل والمدلول عليه، والشاهد والمشهود به، فهو أعظم درجات الرسائل، وهو اصطفاء مخصوص محض وجود صرف، وذو اللبس هو الحق في الحضرة الأحدية، فكن في فنائك وإخلاصك، وفناء العبد في شهود عيان مظهر الربوبية أهل فطرته، وخلقه من ماء مهين.

قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء: 1]، وقوله: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ﴾ [طه: 55].

هذه دلائل منشأة وجود السرّ الأحدي الذاتي، فلا حجاب إلا حجب به من صفاته، وباندراجه في كون نفسه وشهوده نفسه، فصحت عليه الحجابية بذلك

(1) ذكره العجلوني في «كشف الخفاء» (822). وقال سيدي أبو بكر بن سالم في «معراج الأرواح»: واعلم أن حقائق العالم في العلم والعين، فما بقي لأحد مخرج عن هذا المظهر الحقيقي، وهو جزئيات الروح الأعظم الإنساني، وأصل ظهور الحقيقة الإنسانية فيه، ولوازمها ومعناها: الأسرار الإلهية كلها دون غيرها، فهنا كان استحقاق الخلافة من بين الحقائق كلها، سبحان من أظهر ناسوته بكمال ظهورها في صورة العقل الراجح، وقال ﷺ: «**أول ما خلق الله نوري**، ومراده هنا: أنه أول ما خلق الله سبحانه وتعالى العقل قبل صور الجسمية جميعها، ويؤيد ما ذكرنا عن أمير المؤمنين ولي الله في الأرضين، ورئيس الموجودين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وكرم وجهه، قال في خطبة يخطبها: وأنا نقطة با بسم الله الرحمن الرحيم، وأنا جنب الله الذي فرطتم فيه، وأنا العرش، وأنا الكرسي، وأنا القلم، وأنا اللوح المحفوظ، وأنا السماوات السبع والأرضون، ثم إنه رضي الله عنه وكرم وجهه، رجع إلى عالم البشرية، وتجلى له بحكم الكثرة، فشرع ورجع معتذرًا، وأقر بعبوديته وضعفه وعجزه، وانقهاره تحت أحكام الأسماء الإلهية، وفي الحديث النبوي: «**علي مني كهارون من موسى، أنا مدينة العلم، وعلي بابها**» وقيل: الإنسان الكامل لا بد أن يسري في جميع الموجودات كسريان الحق فيها، والسفر من الخلق إلى الحق بالحق، فيتم كماله، وبه يحصل له الحق، ويظهر سرّ قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: 3]. (1/ 31 - بتحقيقنا).

(2) ذكره العجلوني في «كشف الخفاء» (823) والغزالي في «إحياء علوم الدين» (1/ 161).

الشرط، ولابدَّ للعبد المخلص المتوجه إلى انحطاط نفسه، ونزوله إلى خموله، ونحو اسمه ورسمه، فينال من مِنَّة ربه ما قاله السابقون من أوليائه الذي سلكوا على قسطاس صراطه القديم والمستقيم.

وقال سيد المرسلين محمد ﷺ: «**شيبتني سورة هود**»(1).

في قوله: ﴿فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ﴾ [هود: 112] فكان له من ربه الرحمة الواسعة.

قوله: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبياء: 107] أي: جميع المخلوقات فكانت الرحمة الواسعة له من ربه.

وقوله تعالى: ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: 110].

﴿وَأَلۡقَيۡتُ عَلَيۡكَ مَحَبَّةٗ مِّنِّي﴾ [طه: 39].

﴿يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: 54] فكان القرآن العظيم هبط به جبريل عليه السلام.

قوله: ﴿مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ﴾ [الأنعام: 38] من يلبي جمع فيه كل شيء من الصحف والتوراة والإنجيل والزبور، وقوله: ﴿وَلَقَدۡ كَتَبۡنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعۡدِ ٱلذِّكۡرِ أَنَّ ٱلۡأَرۡضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ ١٠٥﴾ [الأنبياء: 105].

انظر وافهم في قوله: ﴿فَإِذَا قَرَأۡنَٰهُ فَٱتَّبِعۡ قُرۡءَانَهُۥ ١٨ ثُمَّ إِنَّ عَلَيۡنَا بَيَانَهُۥ ١٩﴾ [القيامة: 18، 19] والفرق بين الإلهام والوحي أن الإلهام قد يحصل بغير واسطة الملك بالوجه الخاص الذي له مع كل موجود، والوحي بالملك يحصل بواسطته.

واعلم أن للحقيقة المحمدية صورة الاسم الجامعي الإلهي، الحقيقة المحمدية منتهى الذات مع الله من الأول ﴿فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ﴾ [الإسراء: 110] وهو الاسم الأعظم، وله الفيض والمعدن المحمدي، وانظر في قوله: ﴿وَمَا رَمَيۡتَ إِذۡ رَمَيۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰۚ﴾ [الأنفال: 17] فأسند رميه إلى الله عمَّا يقول الظالمون والجاحدون علوًا كبيرًا(2).

---

(1) أخرجه البيهقي (5/ 402)، والطبراني في «الكبير» (17/ 286).

(2) قال المصنف: إثبات للدلالة فناء رسم النبي في الحق بالكلية، فكلما صدر عنه فعل الله، وهي معنى الجمع، وهو إسقاط التفرقة وقطع الإشارة وشخص عن الماء والطين، فيعد عين التمكين والبراءة من التلوين، والخلاص من شهود التنويه الماء والطين بشهود عينه في عين الحق، وعلو درجته عن رسم المخلوقين.

فصل
في الحقيقة المحمدية الجامعة

فلما كانت هذه الحقيقة المحمدية الأحمدية الذاتية جامعة للجهتين والجهات الكل قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزمر: 67] جل وعلا، فظهرت الخلافة فلها الإحياء والإماتة واللطف والقهر والرضا والسخط وجميع الصفات؛ لتتصرف في العالم وفي نفسها وبشريتها جميعها، ويؤيد ما ذكرناه وما فاض في مظهر قلبه من أنفاس الحقيقة الراسخة في كمالها، وما ظهر إلا من بوارقها بارق سني مضيء حقي لطيف، يكون نسيم أبرد من الثلج من عين واحدة، وهي تنادي بشهود الصرف، ولا لأحد فيها مدخل ﴿إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ [النبأ: 38] أتاك يكاد برقها يخطف الأبصار، ولا فيه محال على الكل بل هو مختوم في مشكاة خزانة سرّه، ومن هنا معنى: ﴿لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: 37].

وما يسعه صدور أهل الكمال، فكيف بالناقصين هيهات هيهات هيهات، إنها طريق صراطها أدق من الشعر وأحَدُّ من السيف الباتر، لا يعرف لها طول ولا عرض، ولا سماء ولا أرض، فكيف بمن لا يعرف قدرها وعلو شأنها وحقيقة أمرها ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: 29].

﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الإنسان: 30] ولو كنت تعلم أني ما أبرزت في فيضها إلا بالأمر، والإذن فكانت ألطف من لمح البصر أو أقرب؛ أعني: ما ذكرته من صراطها وطريقها؛ لئلا يدعيها أهل السلوك الماضين على الكتاب والسنة، يكون عليهم الأمر والنهي، وما هنا إلا أدب القلب وحفظ الجوارح من ما نطق به القرآن العظيم، ونص الحديث النبوي قول محمد ﷺ: «**عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي**»[1] فمتى مال مني ما أمرهم به نبيهم محمد ﷺ

---

(1) أخرجه أحمد (35/ 7)، وابن ماجه (1/ 49).

فلا هو منهم ولا يحوم حولهم ﴿عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ﴾ [التحريم: 6].

وشمِّر عن ساق تنال التلاق، ويؤيد ما ذكرناه قول أمير المؤمنين ورئيس الموحدين علي بن أبي طالب ـ كرم الله وجهه ـ وعليه مني أفضل السلام على الدوام لا يتناهى ولا له انقطاع، بل نراه يعني الكشف ينادي: ﴿يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِىَ ٱللَّهِ﴾ [الأحقاف: 31] فنطق في خطبة كان يخطبها فقال: «أنا نقطة با بسم الله الرحمن الرحيم، أنا جنب الله الذي فرطتم فيه، وأنا الكرسي، وأنا القلم، وأنا اللوح المحفوظ، وأنا العرش، وأنا السماوات السبع والأرضون» إلى أن صحا في أثناء الخطبة، وارتفع عنه حكم تجلي الوحدة، ورجع إلى عالم البشرية، وتجلى له الحق بحكم الكثرة فشرع معتذرًا، فهو الكمال في الشريعة، والعبودية اتصالاً به - عليه الصلاة والسلام- وضجره وبكاؤه وضيق صدره لا ينافي ما ذكرناه، فإنه من بعض مقتضيات ذاته وصفاته ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [يونس: 61] من حيث مرتبته، وإن كان يقول: «**أنتم أعلم بأمور دنياكم**»[1] من حيث بشريته ﴿قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾﴾ [الأنعام: 149].

﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾﴾ [الصافات: 164].

***

(1) أخرجه مسلم (12/ 54)، والبيهقي في «الكبرى» (6/ 233).

فصل
في تحقيق الكشف والشهود

فنحن نحمد الله على كل حال من الأحوال؛ فنحن في محل الكشف والشهود وتحقيق العلم المطلق واليقين، فبرز إلينا من صرف منته وعين جوده وفضله ﴿وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ۝٢٠﴾ [إبراهيم: 20] ولم تظهر منه إلا مثقال ذرة من البحر العزيز، فلا تحملها الصدور إلا من تولوه بنظرهم، وجعلوه تحت جلود نظرهم ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: 88]. ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝٢٦ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ۝٢٧﴾ [الرحمن: 26، 27] فكانت تلك معناه من العلم الأزلي.

قوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ۝١٢ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ۝١٣ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ۝١٤﴾ [المؤمنون: 12، 14] فكل صورة من هذه الصور، وكل هذه الصور مراتب النبوة، وقال: «**إنساني وفرقاني الإلهي ذاتي سمائي، وجمعي وشهودي عياني**»(1) وجمع التفصيل سبحان من أظهر ناسوته في سرِّه الأسنى بحقائق أسرار العالم بالعين الواحدة الأحدية الثابتة كلها مظاهر للحقيقة الإنسانية التي هي مظهر الاسم، فأرواحها جزء باق الروح الأعظم، والمقام الأعلى الأتم، وهو الإنساني سواء كان روحيًّا ملكيًّا أو عنصريًّا أو حيوانيًّا، وصورها صور تلك الحقيقة ولوازمها؛ لذلك سُمي العالم المفضل الإنساني الكبير عند أهل الطريق؛ لظهور الحقيقة الإنسانية فيه، ولهذا الاشتمال فظهور الأسرار كلها فيها دون غيرها ﴿كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا﴾ [الإسراء: 58].

قوله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ

(1) أخرجه مسلم (12/ 54)، والبيهقي في «الكبرى» (6/ 233).

خَوْفِهِمْ أَمْنًاۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔاۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [النور: 55].

قوله: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: 30] فأظهر الحق سبحانه وتعالى في علو شأنه العقل الأول الذي هو صور جمالاته للمرتبة الجمالية المشار إليها في الحديث الصحيح عند سؤال الأعرابي: أين كان ربنا قبل خلق الخلق؟ فأجاب وقال ﷺ: «**أول ما خلق الله سبحانه وتعالى في كبريائه ثناؤه، أول ما خلق الله نوري**»(1) وأراد به العقل، كما أيده ﷺ بقوله: «**أول ما خلق الله العقل**»(2) في صورة باقي العقول والنفوس الناطقة الفلكية وغيرها في صورة الطبيعة الهيولى والملكية والصور الجسمية والبسيطة والمركبة والبشرية، وتحلى بحكم الكثرة فيشرع معتذرًا ثانيًا، فأقر بعبوديته وضعفه وانقهاره تحت أحكام الأسماء الإلهية؛ فلذلك قيل: الإنسان الكامل يسري في جميع الموجودات كسريان الحق فيها، وذلك في السفر من الحق إلى الخلق بالحق، وعند هذا السفر يتم كماله وبه يحصل له الحق، وهو هنا يتبين أن الآخرية هي عين الأولية، وبيان ما يمكن بيانه في المقام الجامع يظهر بسرِّ قوله: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾﴾ [الحديد: 3].



(1) تقدم تخريجه.

(2) تقدم تخريجه.

فصل
في مقام القطبية

فلما كان مظهر البيان في مقام القطبية أن الكامل الذي أراده الله أن يكون قطب العالم وخليفة الله في الأرض، الداخل في العناصر مثلاً، متنزلاً يتعين أن يشاهد جميع ما يترتب أن يدخل في الوجود من الأفراد الإنسانية إلى يوم القيامة، وبذلك الشهود اتصالاً يستحق المقام حتى مراتبهم أيضًا، فسبحان من دبَّر كل شيء بحكمته، واتَّقى كل ما صنع بحكمته، وافهم الاسم الظاهر أن الحقيقة المحمدية صورة الاسم لما كان مع الاسم الأعظم الإلهي، وهو ربها ومنه الفيض والاستمرار على جميع الأسماء.

فاعلم أن تلك الحقيقة في ترتيب صور العالم كلها، فالترتيب الظاهر كامن في صورتها الخارجة في باطن العلم، وظاهر صاحب الاسم الأعظم، وله الربوبية المطلقة؛ لذلك قال ﷺ: «**خُصِّصت بفاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة**»[1].

وهي مصدرة بقوله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ [الفاتحة: 1] فجمع عوالم الأجسام والأرواح كلها، وهذه الربوبية من جهة حقيقتها لا من جهة سرّيتها، فإنها من تلك الجهة عبد مربوب محتاج إلى ربه، كما نبَّه عليه في قوله: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾ [الكهف: 110].

وبقوله: ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ﴾ [الجن: 19] فسماه عبد الله تنبيهًا على أنه مظهر هذا الاسم دون اسم آخر.

ونبه بالجهة الأولى بقوله: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: 17] فأسند رميه إلى الله ولا يتصور هذه الربوبية إلا بإعطاء كل ذي حق حقه وإفاضة جميع ما يحتاج إليه العالم، وهذا المعنى لا يمكن إلا بالقدرة التامة

(1) أخرجه مسلم (1/ 157)، والترمذي (5/ 393).

والصفات الإلهية جميعها قوله: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ﴾ [الزخرف: 59].

وفي الإسراء: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (1)﴾ [الإسراء: 1] فخيَّره الله بين أن يكون نبيًّا عبدًا، أو نبيًّا ملكًا فاختار العبودية ﷺ.

أعطاه الحق الكمال الكلي الذاتي الجامع الخاتم للنبوة والولاية الدال عليها القرآن العظيم ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: 38] وذكر له ما هو موعود به ﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا﴾ [الحج: 7].

﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا﴾ [طه: 15] وبين في ذلك الآيات الدالة عليها، وذلك بطلوع شمس الذات الأحدية مع مغرب الظاهر الخلقية، وانكشاف الحقيقة الكلية وظهور الوحدة التامة وانقهار الكثرة لقوله: ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [غافر: 16] وبأمثاله وبإذائه ما يحصل للعارفين الموحدين من أهل الفناء والبقاء به قبل وقوع حكم ذلك التجلي على جميع الخلائق، ويسمَّى بالقيامة الكبرى، ولكل من هذه الأنواع لوازم وبيان ونتائج تشتمل على بيان ما أوضحناه، وبيانه في كلام المحبة والأحاديث الصحيحة تضاف، ولا يمكن شيء من ظهورها، ويحرم كشف بعضها والله أعلم بالحقائق ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: 76]. ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثر: 31].

وأكثر هذا الفن مقيد بكون الإشارة لا يعلم كنهها إلا الله تعالى، ولا ينال هذه النعمة بسواه، وللعالم الكبير مظاهر وأسماء من العقل الأول، والقلم الأعلى، والنور، والنفس الكلية، واللوح المحفوظ وغير ذلك ما نبهنا عليه من أسرار هذه الحقيقة الإنسانية من الظاهرة بهذه الصور للعالم الكبير ﴿فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾ [طه: 7].

و﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ [الإسراء: 85].

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾ [ق: 37] وكلمة الله في عيسى عليه السلام وفي محمد ﷺ ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى (11)﴾ [النجم: 11].

و﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ (1)﴾ [الشرح: 1].

﴿وَنَفۡسٖ وَمَا ﴿٧﴾﴾ [الشمس: 7] وفي الحديث الصحيح ما يسره ويرضيه في أمته، وهو ﷺ قال في الحديث الصحيح: «**لا يسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن التقي النقي**»(1) قلب المؤمن عرش الله.

فالمعتبر اعتبر الحقيقة الواحدة المفروضة بهذا الاعتبار، فحكم باب الجمع شيء واحد حقيقة صدق وتقدم وتنفذ العبادات عند الوصول إلى البحر وذوبان الجليد بطلوع شمس الحقيقة، قال الله تعالى: ﴿يَوۡمَ نَطۡوِي ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلۡكُتُبِۚ كَمَا بَدَأۡنَآ أَوَّلَ خَلۡقٖ نُّعِيدُهُۥۚ وَعۡدًا عَلَيۡنَآۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾﴾ [الأنبياء: 104].

﴿لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ﴾ [غافر: 16] ويشير إلى ظهور حكمة دولة المرتبة الأحدية.

وجاء في الخبر الصحيح أيضًا أن الحق سبحانه يميت جميع الموجودات حتى الملائكة وملك الموت أيضًا، ثم يعيدها لفصل القضاء بينهم؛ لينزل كلاً منزلته من الجنة أو النار، كما أن وجود التقنيات الخلقية إنما هو بالتجليات الإلهية في مراتب الكثرة، كذلك زوالها بالتجليات الذاتية في مراتب الوحدة من جملة الأسماء المقتضية له القهار، الواحد، الأحد، الفرد، الصمد، والغني، والعزيز، والمعيد، والمميت، والماحي وغيرها، من لم يذق هذا الشهد من العارفين علماء الغير الواصلين حالاً أو المغرورين يغفر لهم الضعيفة الغاوية هذه الحالة، إنما قسوا من ضعف إيمانهم بالأنبياء - عليهم السلام - جعلنا الله وإياكم منه.

❊ ❊ ❊

(1) ذكره العجلوني في «كشف الخفاء» (2/ 129)، والمناوي في «فيض القدير» (2/ 496).

فصل
شهود الأعيان

وهنا نقول: من كان تحت نظرنا، واكتحلت عينه بنور الإيمان، وتنور قلبه بطلوع شمس العيان يجد أعيان العالم مُتبدّلة.

قال تعالى: ﴿بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [ق: 15] وتكون باختفائها فيه كاختفاء الكواكب عند ظهور الشمس تستر وجه العبودية بوجه الربوبية، فيكون الرب ظاهرًا والعبد مختفيًّا بالعبودية، فيا له من اسم ما أجله وأعلاه، وصح الاعتدال بمحو اسمه وفناء نفسه ومحو رسمه، فاعزم إلى شهود نور الحق معزة الحق جل وعلا لا يقارنه غيره، فإنه به وبنفسه لا شيء غيره إلى محض عدم كلي، فكيف يقارنه غيره؟

قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾[1] [الحديد: 4] أي: معية بهذا

(1) قال الشيخ البيطار: فحقيقته ﷺ سارية في جميع العالم، قال الله تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ﴾ [الحجرات: 7]. قال أهل الإشارات: أي: في صوركم حقيقة رسول الله، وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ﴾ [الأنفال: 33] أي: وأنت ظاهر بحقيقتك فيهم، فإذا كشف لهم أن النور الذاتي المحمدي حقيقتهم زال الحجاب، فزال العذاب، ولا بد من هذا الكشف بحكم قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ [النجم: 42] أي: إلى حقيقتك يا محمد المنتهي. كما كان منه المبتدأ، والمبتدأ عين الوسط والنهاية، إذ هو الرب القائل: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الأعراف: 172] الذي أقروا بالإيمان به، وقالوا: بلى. والرب رب أزلاً وأبدًا لا يتغير عمَّا هو عليه، والابتداء والانتهاء باعتبار حكم الحجاب عن حقيقة الربوبية التي هي دائرة الحقيقة المحمدية، والحجاب مؤقت بـ﴿يَوْمَئِذٍ ﴿١١﴾﴾ لا مطلق، إذ لابد من الانتهاء إلى رب محمد، أي: حقيقته التي هي دائرة الوجود: أولاً ووسطًا ونهايةً، وإذا تحققوا بالحقيقة المحمدية الذاتية، وأتتهم من ربهم بينة الهوية بحكم قول الله الصادق: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴿١﴾﴾ [البينة: 1] انفك حجابهم، فزال عذابهم، وانمحى حكم الصورة في شهودهم، في عين ثبوتها في وجودهم إلا أن من كشف له ذلك خرج عن حكم قيد الحجاب الوهمي إلى التحقيق بحقائق الربوبية التي لا يقيدها مظهر جمالي كالجنان،=

المعنى لا بمعنى المقارنة، كيف ولا وجود لغيره أصلاً، ونفس الانفراد الحق قوي بالوجود الحقيقي، وإن الظل الممدود المنبسط عن الأشياء ليس إلا وجود الحق المتجلي في صور تقنياته الذاتية، وكونه لملأ ليس إلا سواد عدمية الأعيان التي انتهت إليها، وليس في الحقيقة إلا هو وحده، والظل خيال ما دون الحق شهود اضمحلال ما دون الحق علمًا، ثم ما دون الحق بشهود الحق عين الكل، وعندنا الإخلاص من شهود التنزيه.

وأما نحن نقول والله أعلم: الشهود الحقيقي فناؤه، وشهوده في شهود الحق؛ لفناء الشاهد في المشهود، والحق عينًا جمع الوجود، وهو يتلاشى نهاية الاتصال عين الوجود محققًا إلى معاني نهاية المذكور مفتاح الإشارة محضًا لا لشيء محضًا.

وأما جمع العين فهو: تلاشي كل ما نقلته الإشارة في ذات الحق، والجمع(1) غاية المقامات في السير إلى الله وفي الله كما ذكر؛ لأنه بعد الترقي من

= أو جلالي كالنيران، فهو مع الذات لا مع التقيد بحكم الأسماء والصفات، وإذا فهمت ما قررناه، فهمت قول السيد الجيلي ـ رضوان الله عليه ـ في باب الأبد، الذي هو الباب التاسع والعشرون من كتابه «الإنسان الكامل»: ولا بد وأن يحكم بانقطاع الآباد، آباد أهل الجنة، وآباد أهل النار -ولو دامت- وطال الحكم ببقائها، فإن بعدية الحق تلزمنا أن نحكم على ما سواه بالانقطاع، فليس للمخلوق أن يسايره في بقائه، وهذا الحكم ولو نزلناه في هذا الكلام بعبارة معقولة، فإنا قد شهدناه كشفًا وعيانًا، فمن شاء فليؤمن، ومن شاء فليكفر، انتهى. [فتح الرحمن ص132].

(1) قال المصنف: والجمع على ثلاث درجات: جمع علم، ثم جمع وجود، ثم جمع عين. فأمَّا جمع العلم: تلاشي علوم الشواهد في العلم اللدني صرفًا، والتلاشي: هو التفاني، وصيرورتها لا شيء محض وعلوم الاستدلاء لا، فإن الشهود لهذا العلم اللدني الخفي، بل لايعلم دائمًا إلا بعلم الحق العالم المطلق أبدًا، فيكون فناؤه شهوده في شهود الحق الشاهد في الشهود عينًا.
الدرجة الثانية من بابه: بقوله: لا يدرك له نعت ولا مقدار ولا رسم مقام، وألمح إليه في عين الوجود المذكور في بابه بقوله: وجود الحق وجود غيره منقطعًا عن امتناع الإشارة المذكورة في باب الأحدية الصرفة ذاتها بذاتها مع انتفاء الإشارات، وكلما شم منه رائحة التعدد الاعتباري في عين الأحدية حقيقة. وقوله: حقًّا صفة محذوفة مصدر؛ أي التلاشي في كل ما تحمله الإشارات في ذات الحق تلاشيًا حقًّا، يعني بالحقيقة: غاية مقام السالكين، وهو طرف بحر التوحيد؛ أي: غاية المقامات السير إلى الله، ويكون التولي؛=

الحضرة الواحدية إلى الأحدية ولا مقام أعلى منه، ثم بعد ذلك يكون السير بالله

= لأنه بعد الترقي من الحضرة الواحدية إلى الأحدية، ولا مقام أعلى منه، فقال ذلك لكون السير بالله وعن الله، ويكون التولي. ولا شك أن هذا المقام أعلى مقام، ولهذا يقال: إن النبي مقام ولايته أعلى من مقام نبوته التي هي ظاهر ولايته؛ يعني: إن حيثية ولايته التي هي باطن نبوته وروحها فوق حيثية نبوته التي هي ظاهر ولايته، ومن هنا افهم أن العلم اللدني لا تسعه العبارة ولا تفهمه الإشارة، وعند التجلي قال ﷺ: «**جف القلم بما هو كائن**» قوله: «**رفعت الأقلام وجفت الصحف**» وقوله: «**واعلم أنما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك**» وفي الموجودات ما تقتضيه حقائقها، فمن اقتضت حقيقته السعادة فقد أمنه من الشقاوة، ومن اقتضت حقيقته الشقاوة فقد أمنه من تغييره عن مرتبته؛ لأنه لو غيره بما لا تقتضيه حقيقته لم يكن مطيعًا لكمال وجوده، فأعطى سبحانه كل موجود ما اقتضت حقيقته ذلك الموجود، ولو لم يكن ذلك لم يكن مقسطًا تعالى الله عن ذلك ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: 46] وهو المقسط والمعدل، وهو عين الجود والفضل؛ لأن به أعطى الموجودات مراتبها، فلو لم يكن كذلك لعدمت المراتب، وبذلك حصل الكمال؛ لأنه لو لم يعطِ الأشقياء شقاوة لحقيقة ذواتهم لكانت مرتبة الشقاوة معدومة من الوجود، وكان الوجود حينئذ ناقصًا مرتبة من المراتب، ولا حقيقة من الحقائق إلا قد أوجدها في مرتبتها ومحلها كما ينبغي، فلم يترك شيئًا من الوجود، فلا أكمل من هذا الوجود. وهذه الملكية للحق تعالى، فافهم إن كنت ممن يفهم، وإلا فدعه لأهله يكون المؤمن نسبته من الإيمان الذي أعنيه، وإليه الإشارة في قوله ﷺ: «**المؤمن مرآة المؤمن**» وقوله: «**أنا من الله والمؤمنون مني**» يعني: أي والمؤمنون بالله أعينهم مني؛ يعني: حقيقتي هو الله، وأنا حقيقتي من الله حقيقة ذكره ﷺ المؤمنون دون غيرهم من سائر الموجودات، ولو كان هو حقيقة الكل؛ لأن المؤمنين ظهرت عليهم آثار الأعمال بخلاف غيرهم فخصَّهم في هذا الحديث دون سواهم، فهو حقيقة الجميع، والله حقيقته، وقوله ﷺ: «**كل ميسر لما خلق له**» ولما انطوى بساط الأكوان علوًّا ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩﴾ [النجم: 8-9] ﷺ وعلى سائر الأنبياء، قال عليه الصلاة والسلام: «**لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك**» يعني أي: لا أحصي ثناء بما يقابل به نعمتك التي أنعمت بها علي من عظيم ذاتك وكريم صفاتك.

وقوله تعالى: ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: 60] فأظهرنا الفقر والفاقة لا لما طلبناه منه، ولا لعدم حصوله، فقد سبق عطاؤه لنا في أزله وقدمه، فلما فهمنا ونظرنا من ظاهر صفاته ومنحه ومواهبه لنا فلا أحصينا شكر نعمه الظاهرة والباطنة، قال: «**ففزنا ورب الكعبة**» في خبر أهل الكساء الصحيح. ليس يخفى ما ذكرناه عند المحققين وهو عبارة عن قبول القلب يكون علمك فيه وسعيك إليه عينًا وذوقًا وصفاتًا، وارحل إلى ميقات العارفين المحققين للأشياء، وجعلنا كل شيء موضعه من الترتيب الإلهي، وفي هذا المظهر كل زيادة=

عن الله ويكون التولي، ولاشك أن هذا المقام هو أعلى مقام؛ ولهذا فقال: إن النبي مقام ولايته أعلى من مقام نبوته؛ يعني: إن حقيقة ولايته التي هي باطن نبوته لكون سيره عن الحق بالحق، ومعنى كونه طرفي بحر التوحيد نهايته التي ليس بعدها شيء، فإن سار في هذا المقام لا يكون سيره إلا الرجوع عن الحق إلى الخلق.

قوله: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ١٨﴾ [آل عمران: 18] وخص بعض الآية بالذكر؛ لأن هذا محض التوحيد الجمعي وهو ألَّا يكون معه شيء، ولو ذكر الملائكة وأولو العلم لكان نزول عن الجمع إلى الفرق، فيكون معه غيره فلا يبقى التوحيد فهو الشاهد لنفسه بنفسه، فلم يشهد أنه لا إلٰه إلا الله هو غيره، ومن تحقق بتحقيق الحق بالحق بالذوق والتفريد فقد شهد التوحيد بالحقيقة، وصبح الأزل يشرق على هياكل التوحيد لئلا يغلط فيه ضعيف العلم، واليقين بتنزيه الله تعالى في كبريائه وعلو شأنه ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: 29] منزه عن الحدث وبنفي الإلهية عمَّا

= بلا نقصان، وتيممك لها علمًا وعينًا إدراكيا حقيقيًّا تفصيليًّا جمليًّا لا بوجه ولا بنسبة، ولولا المحبة لما كان هذا الظهور، ولولا الظهور لما عرف الله تعالى. وإلى ذلك الإشارة بقوله: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: 54] معنى يحبهم بوجود أحديته في كثرتهم؛ ليعرفوه ويحبوه بوجود كثرتهم في أحديته، فيعرفهم بما عرفوه بالكمال، فهو الجامع لهم الصفات المتضادة بكماله، والرابط بين الصفات بذاته، فوصف الوحدة وذاته على ما هي عليه في الوحدة التي لا تعدو الكنزية التي لا تظهر بالتعريف، بل هي على ما هي عليه من زوال التكثير.

فالمحبة هي الواسطة بين الله وبين خلقة، بين الكنزية والظهور، ولذلك كان الحبيب المخلوق منها ﷺ واسطة بين الله وبين خلقه، وتلك هي الوسيلة الكبرى التي لا تكون إلا لرجل واحد وهو محمد ﷺ ﴿قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُۖ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ١٤٩﴾ [الأنعام: 149] وقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ﴾ [النور: 35] ﴿إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطُۢ﴾ [فصلت: 54] وكنت سمعه وبصره ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [غافر: 16] ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص: 88] وتأمل ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: 11]

وافهم قوله: ﴿لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ﴾ [الأنفال: 8] إشارة اعترافي بالعجز والتقصير وإقراري بأنه العليم الخبير ولما كانت هذه الأسرار موقفة على معرفة قواعده وأصولات مراتب، فكلها مظاهر الحق وبه ومنه وإليه.

سواه، ولا وجود عين إلا عينه، والعلماء نطقوا بالعقائد منهم: مشايخ الصوفية؛ فتجلوا لئلا يكون عند الضعفاء تعلق للسوى عند أصحاب العلل، ونزهوه العقلاء الذين قولهم نور اليقين وحقه وشهود العين بالعين، ولا ثم تثنيه حاشا وكلا، ولا ثَــم اثــنــيــن: ﴿إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾﴾ [طه: 98].



فصل
في الهداية

ونحن بعين الهداية السابقة ﴿وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ [الأعراف: 43] وهنا لا يكون الحق مع الحق سواه، ولا نرى إلا الحق عين الكل، بحيث لا يكون مع الحق سواه، ولا يكون في الوجود شيء غيره، وإنما نطقنا بهذا اللفظ والحكم البارز من أعلى مقام التوحيد، وهو المقعد الأقصى والموقف الأعلى، وما دون ذلك من الأحوال والمقامات فكله مصحوب العلل إلا صحة بها؛ لإبقاء الرسوم فيها، ولا ذهب إلى هذا منَّا خاطر أبدًا من فيض الفضل، وأعظم الإشارات أيضًا من المحققين، فكله مصحوب العلل لا يخلو منها؛ يعني: إن التوحيد بالعلم لا يخلص من العلل، انتهى.

فإنها مواجيد ذوقية لا تندرج تحت العبارات، ولا تحيط بها الإشارات، والتوحيد منزه، والدلائل التي يستدل العلماء بالنظر والفكر، وبراهين العقل بتوحيد العامة إنما تصح بالاستدلال مثل قوله: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: 22] لكن ما فسدتا، فليس فيهما إلٰه غير الله وأمثال ذلك.

والعلم اللدني الذوقي: المكاشفة، والمشاهدة، والمعاينة، والجاه، والقبض، والبسط، والسكر، والصحو، والاتصال، والانفصال.

وأما توحيد خاصة الخاصة: فهو التوحيد القائم بالقدم تعين توحيد الحق لنفسه أولاً وأبدًا كما قال: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [آل عمران: 18] وقيامه بالقدم أزلية، وامتناع قيامه بالحدث، وإلا كان مثبتًا للغير فلم يكن توحيدًا أو أهل هذا المقام، انتهى.

والمذكورون في الدرجة الثالثة من كل باب من أبواب قسم النهايات.

وأما توحيد الأول: وهو بشهادة ألَّا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له الأحد الصمد الذي ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص: 3، 4]

هذا هو التوحيد الظاهر الجلي الذي نفى الشرك الأعظم، وعليه نصبت القبلة، ووجبت الذمة، وحقنت الدماء والأموال، وانفصلت دار الإسلام من دار الكفر، وصحت به الملة للعامة، وإن لم يقدموا بحق الاستدلال، لكن سلموا من الشُّبهة والحيرة والريبة بصدق شهادة صحتها قبول القلب هذا ظاهر عين الشرع، وهو أصل التوحيد التقليدي الذي صحت به الملة للعامة بصدق شهادة صححها الشرع قبول قلوبهم لها تقليدًا، أو إن لم يقدموا على الاستدلال بعد أن لم يعتقدوا الشبهة والشك، وسلمت قلوبهم من ذلك توحيد العامة الذي هو بصحة الشواهد، والشواهد هي الرسالة التي وردت بها الرسالة، والصنائع نفيها بوحدة الصانع لها فنفيت.



فصل
في شهود التوحيد

ونحن بقبول التوحيد لمن أرشدناه، وأشرفنا على قلبه، وأثبتنا له الأدلة السمعية، وهي أخبار الكتاب والسنة التي نسمعها من النبي سمع أذان القلب، وقول الله لقوله: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [آل عمران: 18].

وقوله: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [البقرة: 163].

﴿شَهِدَ ٱللَّهُ﴾ وسورة الإخلاص وأمثالها، ولا يجد حقيقته وحلاوته إلا من أدرك المعنى، ومعناه لا يدرك إلا بنعت الحق إياه بنوره المعروف في قلب المؤمن، ويزيد ويصفو بالمواظبة بمشاهدة نظر الاعتبار والتفكر فيها ومطالعة حكمة صنائعها وأحوالها وطريق الهداية، ولا في التوحيد دليلاً، ولا في التوكل سببًا، ولا للنجاة وسيلة؛ أي: إسقاط الأسباب الظاهرة هو ألَّا نغلق للأسباب بالأسباب المعروفة بين الناس، ولا نرى لها تأثيرًا، ولا لغير الحق فعلاً، ونشهد بالحقيقة ألَّا مؤثر غير الله، والصعود عن منازعات أحكام الشرع بعملها، واحتجابها بقياساتها.

والصعود ألَّا نشهد في التوحيد دليلاً، ولا في التوكل سببًا بقوة يقينك في ألَّا مؤثر إلا الله، ورؤيتك الأفعال منه بتلاشي الأسباب في المسبب في ذلك لشهودك، وإياك أن تشهد وسيلة للنجاة من العقاب والعقوبة والطرد، ولا وسيلة من الأعمال الصالحة والحسنات، فتكون مشاهد سبق الحق بحكمته وعلمه، وتسلك سبيل أعلى درجة بحكمه وتقديره فهذه معانٍ أزلية، وحكمه تعالى على الأشياء، تابع لعلمه، فتكون الأشياء على مقتضى سابق علمه وقضائه ووصفه الأشياء، وعندنا التوحيد أجلى من كل دليل، فإن نور الحق إنما لا تدركه لشدة ظهوره وقوة نوريته، ومن هنا أحكام الخلق وأوصافهم تقبل إليه بحصوله بفنائهم واستحقه بقدره؛ أي: لا يستحقه بمقدار كنهه وحقيقته إلا هو ولا يبلغه غيره ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ [الأنعام: 91].

فصل
في البقاء بعد الفناء

ولاح لنا من أسرار صفة حال البقاء بعد الفناء في عين الجمع؛ لأنهم في حال واستغرقوا فيه بعد إظهار أسرار البقاء، وعرفنا أن الحضرية الأحدية لا نعت لها، وكل ما ينعت فهو من الحضرة الواحدية، فأخرسهم الله عن نعته لا بمعنى أنهم يعرفون نعته، فمنعهم عن التكلم؛ لأنهم عرفوا أن حضرة النعوت عن مقام الجمع ولا يقيد بالنعت؛ لأنه منزه، كان الله ولا مكان ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ [الأنعام: 91].

منزه عن الجمع فاصطلم الإشارات، ولا يمكن ظهوره، ومن لا يقبل الحق ونعته فلا له في التوحيد رسم ولا قسم، ومن نطق بالنعت والرسوم فهو عارية والحق منزه، ولا ثم نعت ولا نعت ثمة، وأثبت رسمه بإثباته النعت، ولا رسم في الحضرة الأحدية، ولا أثر في الاسم يكن آخرته قول علي بن أبي طالب ـ كرم الله وجهه ـ كيف ابتدأ بالإشارة في عين الحقيقة؟ بقوله: كشف سبحات الجلال من غير إشارة، وهو محض تنزيه الذات عن التعدد الأسمائي، وأكده بقوله: صحو المعلوم مع محو الموهوم جذب الأحدية بصفة التوحيد، وختم بقوله: نور مشرق من صبح الأزل، فيلوح على هياكل التوحيد آثاره، وعن أمير المؤمنين أيضًا ورئيس الموحدين سيدنا علي بن أبي طالب -كرم الله وجهه- محو الموهوم مع صحة المعلوم فأشار ﷺ بالأول؛ أي: التلوين[1] بحسبان وجود غيره

(1) قال المصنف: والتلوين: إثبات السوي والخلاص عن شهود التنويه؛ إذ التنويه إثبات وجود غير الحق وهو لا يرى شيئًا موجودًا غير الحق؛ إذ الكل معدوم في شهوده موجود بالحق، فلا موجود في شهوده بالحقيقة إلا واحد، والتنافي من إحساس الاعتدال؛ أي: التباعد عن إحساس رسمه؛ إذ فني رسمه حال الفناء، فلا يحس به وخلع من الوجود علته، والنظر في البقاء التام أن يرى بالحق شهود الحق إياها، فلا رؤية له ولا شهود ولا رسم بوجه من الوجود بالغيبية عنها، وشهود الحق فناؤها فيه.

بالتوهم، وليس وجودًا للغير في الحقيقة إلا نقشًا خيالاً موهومًا استقر ورشح باستيلاء قوة الوهم وسلطان قوة الشيطان على الصلب، فمن أخلصه الله من عباده محا عنه الوجود الموهوم الذي ليس إلا نقشًا خيالاً لا وجودًا حقيقيًّا يحتاج إلى العناء.

اللهم حقق للمخلصين من المحبين المقربين سلطنة القوة العقلية، ونفي الكثرة كثرة الصفات عنه، فيكون علمه عينًا، وعقله من شوارق أنوارها عيانًا، وذلك لا يكون إلا بظهور سلطان العشق، ومن تحقق رتبة الفناء فلا يزال مطالب درجة الكملاء بالفناء في الحق، ومن هنا من عرف ملك الموت هو الفناء حقًّا؛ لأنه فناء كل شيء، حتى الفناء الذي يشار به على ألسنة المشيرَين أنه إسقاط الحدث وإثبات القدم، هنا أفهم مشاهدة القرب محو الرسوم، فعلى قدر محو الرسوم يكون القرب، وعلى قدر بقائها يكون البعد، فليس الحجاب إلا أنت، فمتى فنيت ظهرت الحقيقة إذا تغيبت بدا، وإن بدا غيبني فكن في مطالعة الجمع بفناء الكل في عين الذات، وهو المطلوب بعين الشهود، وانفرد الحق ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾﴾ [الإسراء: 81].

قوله: ﴿نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾﴾ [القلم: 1] النون هنا: العلم الإجمالي والحضرة الأحدية، والقلم: حضرة التفصيل.



فصل
في اسمه تعالى: النور

النور من أسماء الله تعالى، وهو تجليه باسمه الظاهر؛ أعني: الوجود الظاهر صور الأكوان كلها، وهي مضمحلة بكشف الستور من العلوم اللدنية، والواردات الإلهية التي تطرد الكون عن القلب، نور الأنوار: هو الحق تعالى، النفس الرحماني: هو الإضافي الوجداني للحقيقة، والغاية الداخلة تحت حيطة الاسم الرحمن عن مغربها، وله وجه لتقييد كل مقيد له وجه إلا الإطلاق، بل يرى كل الوجود في قسمة حقيقة واحدة، له وجه مطلق ووجه مقيد بكل مقيد، ومن شاهد المشهود ذوقًا كان متحققًا بالحق والخلق والفناء والبقاء محو العبودية ومحو عين العبد هو إسقاط إضافة الوجود إلى الأعيان، وهي شؤون ذاتية ظهرت في الحضرة الأحدية اعتبار إطلاق العبد التي هي شأن من شؤونه الذاتية، وهو المعبود باعتبار إطلاقه، وعين العبد باقية على عدمها، فالعبد ممحو والعبودية ممحوة[1].

قوله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ﴾ [المجادلة: 7].

وقوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ﴾ [المائدة: 73].

(1) قال المصنف: **محو العبودية ومحو عين العبد**: هو إسقاط إضافة الوجود إلى الأعيان، فإن الأعيان شؤون ذاتية ظهرت في الحضرة الواحدية، والحق يكون سجود القلب هو فناؤه في الحق عند شهوده إياه، والهادي إليه والمشار إليه، وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾﴾ [النحل: 40] لهذا لا يعرف الحق إلا الحق، ولا يطلب الحق إلا الحق، ولا يحب الحق إلا الحق؛ لأن ذلك السر هو الطالب للحق والمحب له، والعارف شمل الكل برؤية الحق، وهو مشرب أسنى المشارب وأعلاها، يكون مجمع البحرين ومقام قاب قوسين، حضرة جمعية الأسماء الإلهية بتجلي عالم الجبروت وانكشاف عالم الملكوت.

لأنه لو كان أحدهم لكان ممكنًا مثلهم، تعالى الله عن ذلك وتقدس، أمَّا إذا كان أحدهم رابعهم فكان غيرهم باعتبار الحقيقة عنهم وباعتبار حقيقتهم المحو هنا فناء وجود العبد في ذات الحق، وانتقل من عالم الغيب إلى عالم الشهادة، وشمسها الشارقة التي لا لها، أقول على صحاح العقول المثبتة فقالوا: علم البرزخية الكبرى، ونظرهم بنظره إلى العالم فأفرده بالوجود، كما قال تعالى: «**لولاك ما خلقت أفلاك**»[1] عين الحياة هي باطن الاسم.



(1) ذكره العجلوني في «كشف الخفاء» (2/ 214).

فصل
في معرفة حقائق الحق

ونحن نحمد الله على نعمه، شربنا من اسمه الحي ما يتحقق به من يشرب من ماء عين الحياة الذي مَنْ شرب منه لا يموت أبدًا، فيكون حياته بحياة الحق، وكل حيّ من العالم فحياته بحياة هذا الإنسان؛ لكونه حياته حياة الحق الفتق هو ما قابل الرتق من تفصيل المادة المطلقة تصورها الموحية، أو ظهورها كما بطن في الحضرة الواحدية من النسب الأسمائية، ويروي كل ما كمن في الذات الأحدية من الشؤون الذاتية كالحقائق الكونية بعد تعينها في الخارج.

الفرقان هو: العلم التفصيلي الفارق بين الحق والباطل، والقرآن هو: العلم اللدني الجامع للحقائق كلها. قال الله تعالى: ﴿وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ﴾ [النور: 25] والحقيقة يضاف إليها كل شيء[1].

الإيجاد: هو شهود الوجود الحق الواحد المطلق الذي الكل به موجود

(1) قال المصنف: والقرآن تضمن الفرقان، والفرقان لا يتضمن القرآن؛ ولهذا ما اختص بالقرآن إلا محمد ﷺ وهذه الأمة التي أخرجت للناس، فليس كمثله شيء، فجمع الأمر في أمر واحد ﷺ قائد الغر المحجلين. وهو ﷺ الاسم الأعظم المبعوث برسالته إلى خير الأمم، قرة عيون المحققين، وارث الأنبياء والمرسلين، خاتم الولاية المحمدية، كاشف الأسرار الإلهية ﷺ، هو الروح الأعظم ومراتبه وأسمائه في العالم الإنساني ﷺ وعلى آله وأصحابه أجمعين، كما ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُۚ﴾ [المائدة: 119] فانظر إلى حقيقة ما قلناه لك من هذا العلم اللدني والحكمة البالغة، وقواعده، وأساسه أن تكون تعلم أن النشأة الأولي وإقامتها، ومراعاتها واتباعها، وامتثالك لها هو قانون السعادة، ولا يعلم قدر هذه النشأة الإنسانية التي هي جامعة الكمال إلا من ذكر الله الذكر المطلوب منه، فإنه تعالى جليس من ذكره، والجليس جليس الذاكر، وهو جليس من ذكره، والجليس مشهود للذاكر، ومتى لم يشاهد الذاكر الحق الذي هو جليسه فليس بذاكر، فإن الله تعالى سار في جميع العبد لا من ذكره بلسانه خاص فيرى أنه للسان خاصة، فيراه من حيث لا يراه الإنسان، فافهم هذا السر في ذكر الغافلين.

بالحق، يتحد به الكل من حيث كل موجود به، مقدومًا بنفسه، فقطعنا واستهلكنا الأشياء كلها من أزل الأزل الثابتة، هي الحقائق الممكنات في علم الحق تعالى.

الأنانية الحقيقة: التي يضاف إليها كل شيء من العبد كقوله: نفسي وروحي وقلبي ويدي الآنية تحقق الوجود العيني، وافهم الجر من إجمال خطاب يعرف من القرآن لجلاء ظهور الذات المقدسة، والاستجلاء ظهورها لذاته في تعيينات الجلال هو احتجاب الحق تعالى بعزته عن تعينه أن يعرف بحقيقته وهويته كما يعرف هو ذاته، فإن ذاته لا يراها أحد على ما هي عليه إلا هو سبحانه في كبريائه وعزته وجماله بوجهه لذاته، فلجماله المطلق جلال، هو قهاريته للكل عند تجليه بوجهه فلم يتواجد حتى يراه وهو تجلي الجمال، وله لائق يدنو به منَّا، وهو ظهور في الكمال كما قال:

جمالك في كل الحقائق سافر ... وليس له إلا جلالك سافر

ولهذا الجمال جلال هو احتجابه بتعيينات الأكوان فلكل جمال جلال ووراء كل جلال جمال، ولما كان في الجلال ونعوته معنى الاحتجاب والعز لزمه العلو والقهر من الحضرة الإلهية والخضوع والهيبة، ولما كان في الجمال ونعوته معنى الدنو والسفور له لزمه اللطف والرحمة والعطف من الحضرة الإلهية كقولهم: «لا يعرف الله إلا الله».

وأمَّا بحسب ظهوره في جميع المراتب باعتبار الأسماء والصفات المقتضية للظاهر قوله تعالى: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: 115] وهو عين الحق المقيم بجميع الأشياء، فمن رأى قيومية الحق للأشياء فهو الذي يرى وجه الحق في كل شيء، ورأى اللبس هو الحق في الحضرة الأحدية قبل الواحدية تخليص القلب عن الكون باستئثار المكون اللبس هو الصورة الإنسانية، كما أشار إليه في الحديث: «وكيمياء الخواص تخلص القلب عن أكوان باستئثار المكون اللبس العنصرية التي هي تلبس الحقائق الروحانية».

قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ۝٩﴾ [الأنعام: 9] ومن هنا ليس الحقيقة الحقانية بالصورة الإنسانية،

كما أشير إليه في الحديث القدسي: «**أوليائي تحت قبابي لا يعرفهم غيري**»(1).

المتحقق بالحق في الخلق من يرى أن كل مطلق في الوجود له وجه الشيء بذاته وصفاته على ما هو عليه بعينه لا بصورة زائدة مثله هو إدراك العرفان، واحترز عن إدراك العلم قوله: للعين الشيء، فإن العلم إدراك الشيء في ذات المدرك، وهنا نقول: فسبحان من اختفى عن الخلق لشدة ظهوره واحتجب عنهم لإشراق نوره، مستغنٍ بحقيقته عن كل شيء مفتقر إليه في وجوده كل شيء، ليس بينه وبين الأشياء نسب إلا العناية، كما قيل: ولا حجاب إلا الجهل والتلبس والتخيل لغاية قربه ودنوه وفرط عزه وعلوه وعنايته في الحقيقة، إضافة نوره الوجودي على من انطبع في مرآة علمه التي هي نسبة علومه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: 11] في الوجود الأول ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: 11] افهم تجلي الجلال والجمال.

عبد الشهيد: هو الذي يشهد الحق شهيد على كل شيء، فيشهده في نفسه وفي غيره من خلقه، عبد الحق هو الذي يتجلى له الحق، فيعصمه في أقواله وأفعاله وأحواله عن الباطل، فيرى الحق في كل شيء؛ لأنه الثابت الواجب القائم بذاته والمسمى بالسوي باطل زائل ثابت به، بل يراه في صورة الحق حقًّا والباطل باطلاً.

الوجود: اسم الظفر بحقيقة الشيء أصفى مراتب الشهود التي أشاروا به إلى الوجود، والحق عينه بعينه فهو عين الحقيقة عند فناء الرسوم بالكلية، ولا يشبهه غيره، ولا يمكن تعريفه؛ لأن معرفته وجوديًّا قوله تعالى في التجريد: ﴿فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ﴾ [طه: 12] عبارة عن التجريد الحقيقي، وتجريد الحقيقة عن الكونين؛ لأن الإنسان هو حقيقة الحق متنزلاً بالتعيينات إلى عالمي الروح والجسم ومراتبهما التجريد عن رسوم الغير به.

التفريد: ما طمع به في أحب واجب عليه، وما أمر به جمعًا بأن الله في الموجودات قد ضرب مثلاً لنفسه بنفسه بالواحد في الأعداد، ومنه المعلوم ما من عدد إلا هو في الحقيقة يرجع إلى الواحد، فالاثنان هو شهود الواحد مرة مرة،

(1) ذكره الغزالي في «الإحياء» (6/ 455).

والثلاثة من شهود مرة مرة ومرة، وهكذا جميع الأعداد، فلو طلبت تعدد من الأعداد وحقيقة من تجرده عن الواحد لم تجده، ونسبت ذلك كانت الأعداد لا ينتابها وخز من الشفعية ما يثبت الوترية.

هو الأول والآخر ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟﴾ [المجادلة: 7] فمن أشهد الله [...][1] معيته له فقدْ فَقَدَ شفعه، وافهم عنّي ما أقول لك به، فإني ما أقول إلا بما يقال لي به، وإنه الحق اليقين منزه عن المعية.

المعية: ليس مع شيء ولا معها شيء، وهو مع كل شيء بصفاته، وكذلك العبد الذي وحَّده وأشْهَده سرّ الوحدانية، والمعية معيته بصفة وصفتني بقوله: ﴿إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: 46] ورب عبد أشهده معيته له مطلقًا لقوله ﷺ لأبي بكر: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: 40] معية الصفات عامة لجميع المخلوقات، وإنما اختصاص الأنبياء والأولياء بالشهود والتأييد بالروح منها.



(1) كلمة غير واضحة بالمخطوط.

فصل
في الكمال

ونحن نقول والله أعلم، وأجل وأحكم ما نقول إلا بما يقول الله، ويأخذ بيد: كلما قمت وقعدت قالوا لك: هذا خاصة، قلت: لا، ولكن للناس عامة، أنا أشهد وهم لا يشهدون، وصاحب جمع الجمع له في كل المقامات واردات، وفي كل الحضرات له مشاهدات، ومن كل الأسماء عليه تجليات، فتارة يتكلم بلسان الحقيقة مع استهلاك صرف، وتارة بلسان الصحو العالي صرفًا، أو مع شيء من السكر ليس في ذاته سواه، ولا في سواه ذاته؛ أي: اعرف مظاهر الحق لا تعدو الحق فيها، فليس كل ما يظن العبد فهو حق، أو ظهر الحق له فهو حينئذ عبد!!

قال أمير المؤمنين ورئيس أهل الكمال علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكرم وجهه: كمال الإخلاص له نفي الصفات عنه؛ أي: نفي الصفات الزائدة لا نفي الصفات التي هي عين المعرفة إحاطة بعين الشيء كما هو في ذلك حقيقة.

وافهم أيها العبد المخلص أن طريقتنا طريقة الكتاب والسُّنَّة، وهي القدم المحمدي، فاعلم وتحقق أن الحق هو الظاهر، والعالم غير ما ظهر قط كان يظهر أبدًا وقد مَنَّ الله وعاف الله بعض عبيده من هذا الداء، والحق عين الأشياء لا هي عينه.

وقال: الحق عين الأشياء من حيث الظهور لا من حيث هي الأشياء، والحق عين الأشياء لا الصورة، وقال: الحق يكون الأشياء ولا يكون هو فإنه عين ما ظهر، وليس ما ظهر عينه، ليست الأشياء مثله إذا كان عينها، وليست عينه هو عين كل شيء في الظهور، وما هو عين الأشياء في ذواتها بل هو هو والأشياء أشياء، الأشياء استفادت الوجود من الحق؛ لأنها على قدمها الأصلي إنما استفادت المظهر به للحق، واحذر من التخليط، فإن عين المظهر من عين الوجود.

والظهور: حكم الصفة الإلهية من حيث صورته المقدرة ذات التشبيه هي حكم الماهية لاسيما وقد شهدت الكمالات الإلهية، بل المطلق من ذل العبودية وظهور فقرها وذلها وفنائها.



فصل
في الحق الذاتي

ونبهنا على الذاتي شهادة قوله: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾﴾ [مريم: 93].

﴿وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [الروم: 26] واخرج أيها العبد الصادق من حضيض الكثرة إلى أوج الوحدة، نطق بهذا أفعالهم وأقوالهم.

قال الله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾﴾ [الحج: 6] المعنى: إن وجود كل موجود وجود وجوده؛ إذ ليس في الوجود وجود سواه البتة، وخلق جملة المخلوقات خلقها بالحق للحق.

قوله تعالى: ﴿خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٤﴾﴾ [العنكبوت: 44] فظهر الحق بعضه لبعض، ودلَّ عليه إن ثم تبني هولك من الحق في الدار الآخرة؛ أي: الرؤية، وإلى ما عبَّر عنه قوله: ﴿يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ﴾ [النور: 25] والفكر هنا مما أوجده الله من الحق آياته على ذلك دلائله، فالحق ـ وفقك الله ـ بوجوب وجوده وعموم حقيقته قد ملأ أركان الوجود كلها، وشمل نواحي العالم وأطبق على أطباق الفكر، فلم يكن للباطل من الوجود نصيب، ولا من الحقيقة حظ، من حيث إن الحق العلي أوجد له من حيث هو، ولما أوجده ما أوجده من الحق سواه أظهرهم للوهم ضدًّا هو الباطل تميز بالنفي قبل الإثبات.

التوحيد قوله: لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، وذلك توهم وجود ضد له، فلا لشيء وجود البتة، قال الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٠﴾﴾ [لقمان: 30] ثم إن الله هو الواجد الحق، أوجد عين الوجود الحق من العدم، فإنه موجد العدم كما هو موجد الوجود، ثم أظهر الوهم المعدوم وجود الشيطان والعيون كلها، وما جر إلى الباطن امتحانًا منه للعقول بذلك؛ أعني: الشيطان وعمله وما يدعو إليه باطل لا حقيقة لها في

محبة الحق المبين سبحانه، ولا في رضاه؛ لأنه لم يكن حقيقة الوجود إلا العلي الأزلي، وإن كان قد أحاطت به قدرته ومشيئته، والله خالق كل شيء وموجده على الحقيقة.

قال: ﴿وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَٰنٍ﴾ [سبأ: 21].

وقوله: ﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [يونس: 55].

وافهم بأن الله تعالى قال: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [يونس: 26] ومن ذلك من أسمائه، فإن المتحقق بالحق المتصرف بالحقائق يفعل ما يفعل من طور وراء الأطوار الحس والعقل والوهم، ويسلط على العوارض بالتغيير والتبديل صورة الحق هو محمد ﷺ لتحققه بالحقيقة الأحدية والواحدية، ويعبر عنه بصاد، ولمَّا لوَّح إليه عبد الله بن عباس رضي الله عنه حتى سئل عن معنى صاد فقال: «**جبل بمكة كان عليه عرش الرحمن**».

صورة الإله: هو الإنسان الكامل؛ لتحققه بحقائق الأسماء الإلهية، القابلية الأولى: هي أصل الأصول وهي التعين الأول، قابلية الظهور: هي المحبة الأولى المشار إليها بقوله تعالى: «**أحببت أن أعرف**»(1).

الرتق: إجمال المادة لوحدانيته المسماة بالعنصر الأعظم المطلق المرتوق قبل خلق السماوات والأرض، المفتوق بعد تعينها بالخلق، وقد يطلق على نسب الحضرة الواحدية باعتبار ظهورها وعلى كل بطون وغيبة كالحقائق المكنونة في الذات الأحدية قبل تفاصيلها في الحضرة الواحدية، مثل أحدية وجه الحق عن شهود الكثرة الخلقية، ولا تزاحم في شهود أحدية الذات المتجلية في غيرها، تناسب أهل رتبة الكمال من أين لهم إلا من تلك المنحة؟

قوله: ﴿وَلَقَدْ أَرَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا﴾ [طه: 56] وهو أعلم بالسبع آيات، وذكر الأسماء الحسنى والصفات، العلي تعالى عمَّا يقول الظالمون والجاحدون علوًّا كبيرًا، عبارة عن أول موجود خلقه الله وهو قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ۝٣٨ مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ [الدخان: 38، 39] الإفراد الخارجي عن نظر القطب.

(1) ذكره العجلوني في «كشف الخفاء» (2/ 132).

وهو الغوث عبارة عن الواحد الذي هو موضع نظر الله من العالم في كل زمان، وهو انتقال ذلك المحل العظيم من واحد إلى واحد، لكن تعينات صورته من تلك العين وأحكامها ومصدرها الوحدة، ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ﴾ [البقرة: 115].

﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الأعراف: 180].

﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ يُلْقِى ٱلرُّوحَ﴾ [غافر: 15].

قوله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [الأنعام: 103] على أن ليس غيره سواه لا تدركه غيره، بل مدركه هو الله، فلا غير إلا هو، فهو المدرك لذاته لا غير، فلا تدركه الأبصار؛ لأنها محدثة، فالمحدث لا يدرك القديم الباقي، فهو بعد لم يعرف نفسه؛ إذ لا شيء ولا أبصار إلا هو، فهو يدرك وجوده بلا وجود الإدراك وبلا كيف لا غير.



فصل
في معرفة الحق بالحق

عرفنا الحق بالحق بلا شك ولا ريب، فلما عرفت النفس فصارت مطمئنة ليس لها معنى وجود ولا رسم، فصرنا مع الله جل وعلا، فأثبت الله الحق ما أثبت، فصحَّ العبد عبد مع الله خالص لا لشيء ولا لطلب شيء، فنحن في هذا المقام، ومن كان فيه من السابقين على فيضان إمداده، فأول قدم منا في سلوك التجريد لا نرى السوى، ولا نرى سوى الله فلا نسأله شيئًا غير ما أوقعه في القلب حيث عرفنا النفس، فكل من عرف نفسه لا يرى غير الله، وكل إناء يرشح بما فيه، فمن لا يرى لا يُرى ولا يفهم ولا يدرك، ومن يُرى يرى ويفهم ويدرك، فالواصل تكفيه الإشارة، وغير الواصل لا يصل بالتعليم ولا بالفهم ولا بالتقدير ولا بالعقل ولا بالعلم إلا بخدمة فاضل واصل، وأستاذ عارف بالله كامل، يرحمه الحق به ويتولاه، ويشرف في قلبه، ويهلك خواطره وشيطانه، سالك على طريقة القدم ليهتدي بنوره وهمته، ويصل إلى مقصوده إن شاء الله تعالى.

فقد وفقنا الله وإياهم فيما يحب ويرضى من الأقوال والأفعال والعلم النافع والهدى ﴿وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [الحج: 6].

قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا لِنَهۡتَدِيَ لَوۡلَآ أَنۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُۖ﴾ [الأعراف: 43] ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، والله الموفق للصواب وهو يهدي السبيل.

ومن لم يعرف نفسه في الابتداء لا يعرفها في الانتهاء، وإنك على الصراط المستقيم، وإنك لسالك على المنهج القويم بعد السحق والمحق والتحقق بالحق والتميز ﴿فِي مَقۡعَدِ صِدۡقٍ﴾ [القمر: 55] لا نعاين سواك، والعجز عن إدراك إدراك، عجز أحد المدركات عن مدركاتها الكونية، وهو التخليص أيضًا فهمنا علم ذوقي ما يدركه إلا أهله المستحقين الممتثلين على طريق القدم المحمدي، وتخص فيه بالحقيقة المحمدية، وهي التجلي من اسمه الجميل الحميد، ففيه تقيد النواظر عن التصرف الذي ينبغي لها وجميع المدركات، ويرى جميع المكونات وجوده

وجود العشق والمعشوق والعاشق، ولا بينه وبين جميع المخلوقات تفاوتًا، ويرى وجود جميع المخلوقات الكل وجوده، ولا يرجح نفسه بالوصول على من يشم الوصول قط، ولا يفرق بينه وبين الحيوانات والجمادات، وافهم وعرِّج على تصحيح عبوديتك الموصلة إلى ربها وخالقها.



فصل
في أسرار الذات

وأما أسرار الذات فلا لأحدٍ فيها مجال ولا مدخل إلا بالإذن القائم على رتبة الكمال، لكن قد تطفح منا قطرات من مظهرها وسرها المصون ﴿لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: 37] وصاحب هذا المقام يشاهد الاسم الذي بيده الختم الإلهي، وكيفية فعله به في الوجود فيه بختم النبوة والرسالة والولاية، وبه يختم على القلوب المفتى بها، فلا يدخل فيها كون بعد شهود الحق بحكم التحكم بالملك، لكن يدخل بحكم الخدمة، والأمر، ثم يخرج وما وقع بعد هذا المقام من تعلق الخاطر بحب جارية أو غير ذلك، فذلك حكم الطبع من جهة السر الرباني المحتوم عليه الذي هو بيت الحق، ومقعد صدق ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْۚ﴾ [الشورى: 22].

وافهم حب الأنبياء ـ صلوات الله عليهم ـ أصل الحب في الكون مطلقًا، غير أن أسرار العامة وإن لم يختم عليها بخاتم العناية لكن ختم عليها بغير ذلك، فلما ظهر خاتم النبيين وقائد الغر المحجَّلين محمد ﷺ خاتم الأنبياء خاتم الأولياء عليه الصلاة والسلام.

قوله: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ﴾ [هود: 120].

و﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَۚ﴾ [طه: 99].

وقوله: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا ۝٧﴾ [الأحزاب: 7] تجلى الاستواء إذا استوى رب العزة على عرش اللطائف الإنسانية، كما قال: «**ما وسعني أرضي ولا سمائي ولكن وسعني قلب عبدي المؤمن**»[1] ملك هذا العرش جميع اللطائف، فيتصرف فيها ويحكم بحكم المالك في ملكه، ونصرف الملك في ملكه، إلا فهو القطب

(1) سيأتي تخريجه.

تجلي الولاية الفلك الأقصى من سبح فيه اطَّلع، ومن اطَّلع علم، ومن علم يقول في صورة ما علم؛ فذلك المجهول الذي لا يعرف، والنكرة التي لا تتصرف ولا تتقيد بصورة، ولا يعرف له سريرة، يلبس الكل حاله لبؤسها إمَّا نعيمها أو بؤسها، وقوله: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾﴾ [المؤمنون: 115] غض الطرف عن الأكوان بمشاهدة من هو منزه عن كل نقصان.



فصل
في المظهر القدسي

وهنا نفس مظهر القدس قائم بإشارات الأزل وهو النفس الذي يسمى صدق النور، والنفس الأول للغيوب سراج، والنفس الثاني للقاصد معراج، والنفس الثالث للمحقق تاج؛ أي: مطهر من لوث الغيرية بماء القدس؛ أي: الشهود المتعين للحدثان؛ لأن القدس هو الطهر والنزاهة عن لون السوي، والكون والاسم منه القدوس؛ أي: المنزه عن أحكام الإمكان والحدوث، وكل ما يتسم بالسمات الخلقية؛ لأن التعدد والتكثر في الحقيقة شرك، والشرك نجاسة.

قوله: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ [التوبة: 28] والمراد من هذا النفس تجلي الأحدية قائم بإشارات الأزل إمداد التجليات الذاتية من التجلي الأزلي الموجب لقيام الكل بالأمداد الاتصالية، وهو الفيض الدائم السرمدي والتجلي الذاتي من الأزل إلى الأبد لم يبق شيء، ولهذا التجلي تُشفى الحدوث بسطوة القدم، ويبقى القديم وحده لا شريك له، ولهذا يسمى صدق النور، وإن النور اسم من أسماء الله يوجد به العالم كله.

قال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [النور: 35] وهو الوجود الخارجي الظاهر، وإنه المظهر للكل، والتجلي الذاتي الأحدي المعبر عنه بهذا، النفس هو أصل مجمع الأسماء؛ لأن الحق أخذ بذات كل بالأسماء وجمع الحضرات، لله الحمد قبل وبعد.

قوله تعالى عز من قائل: ﴿فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾ وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾﴾ [مريم: 49، 50] ثم ذكر موسى وهارون وإسماعيل وإدريس عليهم السلام.

قوله تعالى جل ذكره: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ ۚ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۩ ﴿٥٨﴾﴾ [مريم: 58].

ونطق الحق ـ عزَّ من قائل ـ فيما حكى عن أحوالهم جميعهم: ﴿قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَـٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾﴾ [الإسراء: 107، 108].

* * *

فصل
في شرح الصدور

وافهم الخبر والعلم اللدني الذوقي المبسوط في الصدور المشروحة، قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١﴾ [الشرح: 1] فلمَّا صحت الحقيقة عيانًا وبيانًا يضمحل ويزول حجاب العلم بنور الأعيان فيطوي حسية التكاليف عن عزِّ الأزل حسية رؤيتها تكليفات من الله على العبد؛ لأنه رآها بعين الخليقة، فإذا صار الحق سمعه وبصره رآها بعين الحقيقة أفعالاً صادرة من الله يلتذ بها؛ لأنها تجليات فعلية من الحق صادرة من صفات الإلهية، تجلَّت في صفات صور مقوماتها المذكورة، فيراها حق الربوبية.

وافهم إشارات التعريف لمعهود النفع والدفع، وبلوى وامتحان، حتى يكون ما عدا ذلك آثار على ما يشاء من قبض وبسط، أو بالغيرية من معنى اسم من سائر أسمائه جل ذكره، أو يعرف به من ذلك الوجه الذي شأنه التعريف من نعم أو نقم.

قال الله عزَّ من قائل: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ [النحل: 53] فذكر النعمة على تواليها وتوابعها، ثم قال: ﴿ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ﴾ [النحل: 53].

وقال عز من قائل: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ [الرعد: 2] المعنى: وتطاير هذا كثير وقع، هكذا الخبر عن اسمه الله بالكليات ومجاري القضايا على مسالكها، وضمن الآي التي بالأسماء معانيها مطابقة لمعاني ما جاء في الآيات، هذا موضع الكتاب المبين والعالم والأسماء الحسنى لمن استرشد كل معلم منها فأرشده، والله كل الكل وإليه يرجع الكل والكل مرشد إليه ومعبر عنه، والاختصار يوجب الاقتصار، وإلا فالجود أوسع والمقصود أعظم من سير حال منازل السائرين.

قال الله حاكيًا عن خليله إبراهيم عليه السلام: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى﴾ [الأنعام: 76] وجه الاستشهاد بالآية أن الخليل عليه السلام لما غلب عليه الشوق والطلب في علم حضور الحق لكل شيء وتجليه في صورته، فكان كلما لمح نورًا

وبهاءً وكمالاً في شيء قال: ﴿هَٰذَا رَبِّي﴾ وذلك لشدة عطشه إلى لقاء ربه كالعطشان الذي كلما لمح سرابًا حسبه ماءً، فلو لم يكن خليل الله عطشانًا إلى لقاء ربه لما حصل هذا.

فللّه الحمد والشكر على نعمائه وعلى فيض رحمته من المعدن المحمدي، وهو شهود وحدة الذات في الحضرة الواحدية الأسمائية أعف شهود وحدانيتها المحيطة لجميع الأسماء والصفات، وكلاهما شهود الحق بلا خلق؛ لأن الأول هو شهود الذات وحدها شهود الكثرة في الوحدة، واستهلاك الكل بالكلية، في جمع الجمع عند الأولين شهود ما سوى الله قائمًا بالله، وعند الباقين شهود الحق في الخلق شهود الوحدة هو الجمع والاستهلاك، وافهم العروج بعد النزول والخضوع والمحو، فإن كل واحد من هؤلاء ساتر عن المراتب وهو عين الجمع.



فصل
في دقائق الطريق

فلما كنا في السلوك والتجريد ودقائقه كنا في أدق الطريق الدقيقة، فكيف يطمع في النهاية طامع؟ فلا له فيها مطمع إلا من حيث تحققه بالتقوى.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: 13] وسلوكنا إلى الله وفي الله بالاتصاف بصفاته والفناء في ذاته، حتَّى لنا الوصل الحقيقي في الأبد كما في الأزل.

الزجاجة المشار إليها في آية النور هي: القلب، والمصباح والروح والشجرة التي تتقد منها من الزجاجة المشبه به.

والكوكب هو: النفس.

والمشكاة هي: البدن، الطباع الكونية هي: العدم لقبول تجلي الحقائق، ويعبر بالوصل عن فناء العبد بأوصافه في أوصاف الحق، وهو التحقق بأسمائه تعالى المعبر عنه بالإحصاء للأسماء، كما قال ﷺ: «**من أحصاها دخل الجنة**»(1) افهم حقيقة الحقائق هي الذات الأحدية الجامعة لجميع الحقائق، وأسماء حضرة الجمع وحضرة الوجود الحقيقة المحمدية هي الذات مع التعين الأول، فله الأسماء الحسنى كلها، وهو الاسم الأعظم.

وأما العارف المحبوب المقرب، فلما حق له الكمال، فكان ينطق ويقول: يا قوم هلمُّوا واغترفوا من بحر إمداد الحق، واشربوا من فيضه الأقدس، فهو إمداد الفيض السرمدي الأبدي، فكان ينادي بالهياكل البدنية الإنسانية المزجاة من عالم الغيب والشهادة والحق والخلق سجود القلب هو فناؤه في الحق عند شهوده إياه، بحيث لا يشغله ولا يصفه عن استعمال الجوارح.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ﴾ فجاءتهم البشرى ﴿...تَتَنَزَّلُ

---

(1) أخرجه البخاري (10/ 85) ومسلم (17/ 259).

عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [فصلت: 30، 31].

قوله: ﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ﴾ [النحل: 102] فالروح من أمره وهو الحق، والقدس صفته وهو الحق، والملك رسوله وهو الحق، فكل ذلك حق من حق ﴿وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ﴾ [الإسراء: 105] فأي سبيل للباطل عليه قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحجر: 9].

﴿تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: 42].

﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: 56].

وافهم واعلم لما وصل العارف إلى مقام حقيقة انمحاق السالك في الحق؛ أعني: الوصول التام يقين وحقيقة واضحة وشمس شارقة.

سعة القلب: هي تحقق الإنسان الكامل بحقيقة البرزخية الجامعة الإمكان والوجود، فإن قلب الكامل هو هذا البرزخ، قال الله تعالى: «**ما وسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن**»(1) ولله الحمد والمنة.

وجدنا من الحق ـ جل وعلا ـ تجلي رقيق نسيم شهود الحقيقي الذاتي من غير واسطة مادة ولا مدد، ونشهد الله ذاتًا وصفاتٍ وأسمائه وأفعاله بالمعرفة، وكل غير ذلك خيال محدث ماله أثر لكن هذه عزت عن أكابر أولياء الله.

قوله: ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾﴾ [الصافات: 164] ومنهم من يطلعه الله على قدر وسعه وكل واقف على مراد الحق، وأكثر العامة هم الذين اقتصر علمهم على الشريعة، ويسموا علماء الرسوم العنقاء كناية عن الهيولى؛ لأنها لا تُرى كالعنقاء، ولا توجد إلا مع الصورة فهي معقولة، وتسمى بالهيولى المطلقة المشتركة بين الأجسام كلها العنصر الأعظم.

عوالم اللبس: هي المراتب النازلة عن الحضرة الأحدية؛ لأن الذات الأقدسية تنزل تعيناتها كلها، وعين العالم هو الإنسان الكامل المتحقق بحقيقة البرزخية الكبرى؛ لأن الله ينظر بنظره إلى العالم فيرحمه بالوجود، كما قال

---

(1) سيأتي تخريجه.

تعالى: «**لولاكم ما خلقت الأفلاك**»[1] والإنسان المتحقق بالاسم البصير لاق كل ما يبصر في العالم من الأشياء فإنه يبصره بهذا الاسم.

❊ ❊ ❊

(1) سيأتي تخريجه.

فصل
في عين الحياة

عين الحياة هو باطن الاسم الحي الذي من تحققه شرب من ماء عين الحياة، ومن شرب منه لا يموت أبدًا؛ لكونه حيًّا بحياة الحق قوله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ﴾ [الأعراف: 43] فلما أطلعني الله ـ جل وعلا ـ على أسرار خفية، ومعانٍ جلية، ومعانٍ دقيقة كشفًا حقيقيًّا ثابتًا، فلم يظهر منه إلا القليل من حضرة ذاته وصفاته، افهم من خضعت له الملائكة بالسجود، فإذا سجدت له الملائكة نص القرآن: ﴿فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾﴾ [ص: 73، 74] انظر إلى قول الحق المبين: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ [الجاثية: 13].

فأدخل العالم كله أجمع تحت تسخير هذا الإنسان الأرفع، فما من ملك أعلا إلا بك مشتغل وما من ملأ أدنى إلا ويتضرع إليك ويبتهل، كلهم مستغفرًا لك ومصل عليك، وملك يوصل سلام من الحق تعالى إليك، وإذا كان الحق تعالى يصلي عليك فكيف بملائكته! وإذا كان الخالق ناظر إليك فما ظنك بخليقته، وما من فاكهة ونعمة عند تناهيها إلا متضرعة لك خاضعة تؤدي ما أودعها الله تعالى من المنافع فيها، فما في الوجود كذلك كل حقيقة ودقيقة إلا ومنك إليها ومنها إليك، وكذلك كل دقيقة، فنقد الرقائق على عدد الحقائق والرقائق، فلولا ذلك ما صحَّ الإنسان في أحسن تقويم، وقطره القديم واستخرج من معصورات الحق لما سكر به، وله تعشق لما صحَّ عند وجود الحق، ولا كان له الملك الأعلى، ولا ظهر بالموقف الأجل، ولا عنت له الأملاك ولا دارت بنفسه أجرام الأفلاك، فاشكر الله أيها الإنسان على ما خصَّك به الرحمن من كمال هذه المِنة العظيمة الذي لا يوصف قدرها ولا يؤدى شكرها.

قوله تعالى: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾ [البقرة: 285] فالقطب الذي عليه

مركز دائرة الوجود من الأزل إلى الأبد واحد باعتبار حكم الوحدة، وهو الحقيقة المحمدية ﷺ وباعتبار الكثرة بالتعدد، وقبل انقطاع النبوة قد يكون القائم بالمرتبة القطبية نبيًّا ظاهرًا كإبراهيم - صلوات الله عليه وسلم- وقد يكون وليًّا خفيًّا كالخضر عليه السلام في زمان موسى -عليه السلام- قبل تحققه بمقام القطبية، وعند انقطاع النبوة؛ أعني: نبوة التشريع بإتمام دائرتها، وظهور الولاية من الباطن انتقلت القطبية إلى الأولياء مطلقًا، فلا يزال في هذه المرتبة واحد منهم قائم في هذه المرتبة ليحفظ به هذا الترتيب والنظام، قوله سبحانه: ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ [الرعد: 7].



فصل
في النور السابق

وافهم النور السابق في القدم، وحقيقة النور الأصلي جامع له في الأستاذ الكامل المكمل الموسوم بالخلافة المحمدية، حتى يكون سجية له وافهم تفقد وجودك وشهودك في شهوده حتى لا يكون شاهده غيره، فلما حصل الشهود ثم التزم الطي لذاتك في ذاته المتظاهرة في صورة العالم، ثم احذر أنك ترى المتظاهر غير نفسك، وليس المراد إلا فقدان عينها وطيها في الشيخ الكامل والأستاذ الأمين سُمي جبرائيل عليه السلام الأمين، والتوحيد ينادي وينقسم إلى تجليات: توحيد التجلي الصفاتي، ثم توحيد التجلي الذاتي(١) وهو عين حضرة الإمكان المترائي لك بنفس الرحمن في مجموع صوره الجامعة لحقائق الأكوان الجامعة لصورة الحق والخلق بلا خلاف، فهذه حضرة توحيد الأفعال الظاهرة بما لك وبك، الفعال جل وعلا تنزه عن كل شيء، وتحققه الكمال الكلي من كل نقصان. وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الصافات: 96].

﴿إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾ [الذاريات: 23].

﴿وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٥١﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٥٢﴾﴾ [الحاقة: 51، 52].

سجية لك أيها الطالب السالك، استهلك شاهدك فيه، واستخرج من خزائن الأسماء المتجلي بها المسمى بها على مقتضى صفاته القائمة بذاته، وهي تنقسم

(1) قال الشيخ المصنف: **التجلي الذاتي**: استهلاك الكل في عين واحدة الجمع المطلقة، المجردة عن النعت، التي هي عينها وغيبها، وغيبها عينها، وملكوتها شاهدها، وشاهدها ملكوتها، وملابسها لوابسها، ولوابسها ملابسها، المتسمية بأسماء هي هي ولا هي هي، وعارفها معروفها، وحضرتها حاضرها، تنفي أضدادها راجعة إليها تميزها سقط بها، فلا هي إلا هي إلا غاية مشهد العارفين المستهلكين في عين معروفهم، وهذا التجلي غاية التجليات ومنتهى مرام أهل المقامات، وصاحبه هو العارف الواصل، والكامل هو الحكيم، والحكيم ها هنا حكيمان: حكيم كامل وحكيم أكمل.

إلى: صفات فعلية وصفات ذاتية وهي: الحياة، والعلم، والقدرة، والإرادة، والكلام، والسمع، والبصر.

وافهم تغاير الأفعال الصفاتية بتجلي القابض والباسط والمعطي والمانع والهادي والمضل، والتوحيد الذاتي استهلاك الكل في عين واحدة الجمع المطلقة المجردة عن النعت التي غيبها عينها وعينها غيبها، وملكوتها شاهدها وشاهدها ملكوتها، وملابسها لوابسها، ولوابسها ملابسها، المتسمية هي هي ولا هي هي، وعارفها معروفها، وحضرتها حاضرها بنفي أضدادها، راجعة لها تمييز بما سقط بها، فلا هي إلا هي، هذا مشهد العارفين أهل المقامات المستهلكين في عين معروفهم، وهذا التجلي غاية التجليات، ومنتهى مراتب أهل المقامات، وصاحبه هو العارف الواصل، والكمال هو: الحكيم، والحكيم ها هنا حكيمان: حكيم كامل، وحكيم أكمل.

وافهم يا مخلص، أيدك الله بالتوفيق ومنحك من الفضل العظيم من فيض المعدن المحمدي العذب الرائق بكل نعمة ولذة، اركب سفينة النجاة واتباع الشريعة، وخذ ما أمرك الحق به على لسان المظهر المحمدي، وهو طاعته، ومراده قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: 31].

قوله: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: 7].

قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: 56].

فافهم ذلك إذا وصلت إليه واقفًا على وجه الحكمة في ظهور كل صفة من عين ظهور الحق المالك السابح في بحار طمطام ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: 88] النجاة: السلامة والامتثال والاتباع للشريعة وهي الهداية، والله أعلم.

* * *

فصل
في مشرب العلم اللدني

ونحن قابضو العنان فيما ذكرناه في هذا العلم اللدني، واختصرنا ﴿لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: 37] .

﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾ [القصص: 28] ولم نستوعب من هذا النمط إلا أنا اختصرنا واقتصرنا على النافع منها، والأهم منها ريبنا من ذلك ما هو مفهوم عندنا من إكسير مجرب وترياق عجيب، وكل لفظة منه فما يعبرون عنه أهل العلم، ولا يدخلون فيه بشرح إلا لمن له لوعة، والإرادة ولزوم العبودية الرقية المحضة، وكلما أوردناه للمحب المخلص في قلبه ولا له فيه حول ولا قوة من غير تسبب ولا عمل ولا اجتلاب، فكان له الفناء الكلي والإخلاص العيني، فلا له وجود مع أستاذه، ولا يطلب له مطلب إلا إقباله عليه، فكان كافيه عن أعماله وإخلاصه وصدقه فقال: «**مثقال ذرة من عمل أهل البر يوازن عمل الثقلين**»(1) كافة الجن والإنس.

انظر إلى هذا العلم اللدني، والمشرب الصافي الهني، وإثبات الموصل إلى ذلك القرب، سلب أوصافك عنك بأوصافه بأنه الفاعل فيك لا أنت، ﴿مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ﴾ [هود: 56] الواحد **الوقفة**: الحبس عن المقامين، **القبرة**: خمود نار البداية المجردة، **والتجريد**: إماطة السري والكون عن القلب والسرّ، **التفريد**: وقوفك بالحق معك، **اللطيفة**: كل إشارة رقيقة المعنى الذي يلوح في الفهم، لا يسعها العبادة، ويكون بالإشارة بلا عبارة، هنا بحر عميق وأكثرهم واقفين بساحله، ويلتقطون ما خرج على ساحته لئلا يهلك الفائضون في طلب جواهره بأخلاق النفسية المجاهدة، حمل النفس على المشاق البدنية ومخالفة الأهواء على كل محال ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ

(1) لم أقف عليه.

ٱلۡمَأۡوَىٰ ﴿٤١﴾﴾ [النازعات: 40، 41].

وافهم الوعظ المحبوب لا يخرج إلا من السلطان الزاجر ﴿وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۚ﴾ [الأنعام: 18].

﴿وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ﴾ [الأنعام: 103].

﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ﴾ [المؤمنون: 14].

وخذ عنَّا حقيقة اليقين من غير شك ولا ريب أهديك صراطه المستقيم ﴿لَا تَبۡدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ﴾ [يونس: 64] إن الله يهدي من يشاء، ونحن في حق مريدنا بالمحو والفناء في تزكيته، فلا له معنا وجود؛ ليكون محمولاً على غفلاته وخطراته، فلا له معنا خطرة ولا غفلة، قد فنى منا، فلا له طلب في لوائح أو بوارق أو شوارق كشف السابقين، قد يكون ذلك مع من لا له أستاذ يحفظه من هوى النفس والشيطان، فيقع في التلوين والتصنع، وهو ناقص هذا المذكور، لكن تولينا المخلصين المريدين الصادقين مريد ومراد، وما هذا مريد، صحَّ المراد وثبت المراد ﴿وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٖ ﴿٢٠﴾﴾ [إبراهيم: 20] وقد رحمك بأستاذك؛ إذ هو معك على خطراتك وسكناتك من حيث لا تعلمه، فيكون من فيض فضل الله علينا وعلى آل يعقوب، ﴿إِنَّهُۥ حَمِيدٞ مَّجِيدٞ﴾ [هود: 73] السكينة والطمأنينة عندما تزول العلل والعيون الناقصة، فقد أدركنا كثير لا يعدون بالجملة من ذلك العلل؛ لأنا أفردناهم بالتحقيق وخلعنا من أخلص وأقبل.

افهم قوله: ﴿لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ﴾ [آل عمران: 164].

﴿إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [يوسف: 53].

❊ ❊ ❊

فصل
في حقيقة التصوف

والحقيقة التصوف، والتصوف الوقوف مع آداب الشريعة ظاهرًا أو باطنًا، وهي الأخلاق الإلهية.

افهم إثبات مكارم الأخلاق وتجنب سفاسفها بصحبة الاتصاف بمحض العبودية، وكن عبدًا محضًا فقيرًا إلى الله في كل لحظة وطرفة.

وقوله: ﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ۝٣﴾ [الحديد: 3].

﴿أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءِۭ﴾ [الطلاق: 12]. ﴿وَأَحۡصَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ عَدَدَۢا﴾ [الجن: 28].

﴿يَعۡلَمُ خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ وَمَا تُخۡفِي ٱلصُّدُورُ ۝١٩﴾ [غافر: 19] كيف لا يشاهد خلقه؟!

﴿أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ۝١٤﴾ [الملك: 14] سبحان من لا فاعل سواه ولا موجد بذاته إلا إياه.

﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ۝٩٦﴾ [الصافات: 96].

﴿لَا يُسۡـَٔلُ عَمَّا يَفۡعَلُ وَهُمۡ يُسۡـَٔلُونَ ۝٢٣﴾ [الأنبياء: 23].

﴿قُلۡ فَلِلَّهِ ٱلۡحُجَّةُ ٱلۡبَٰلِغَةُۖ فَلَوۡ شَآءَ لَهَدَىٰكُمۡ أَجۡمَعِينَ ۝١٤٩﴾ [الأنعام: 149] وأشهد سبحانه نفسه وملائكته وجميع خلقه على من اصطفاه واجتباه واختاره من ذلك الوجود سيدنا محمد ﷺ الذي أرسله إلى جميع خلقه وإلى الناس كافة ﴿وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ۝٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ﴾ [الأحزاب: 45، 46] ﷺ فبلغ بما أنزل إليه من ربه، وأدى أمانته، ونصح أمته، ووقف في حجة وداعه، فخطب وذكر وحذر وبشر وأنذر ووعد وأوعد، وما خصَّ بذلك التذكير أحداً دون أحد عن إذن الواحد الصمد، ثم قال: «**ألّا هل بلغت؟ فقالوا: بلى يا رسول الله ﷺ اللهم فاشهد**»[1].

(1) أخرجه أحمد (4/ 337، رقم 18986)، والنسائي (2/ 422، رقم 4002)، وابن خزيمة (4/ 250، رقم 2808)، والطبراني (4/ 7، رقم 3478).

وأنا مؤمن بكل ما جابه ﷺ ما علمت منه وما لم أعلم، والحق مقدس عن الجهات والأقطار، مرئيًّا بالقلوب والأبصار، استوى على عرشه كما قاله، وعلى المعنى الذي أراده، وكما أن العرش وما سواه به استوى، وله الآخرة والأولى «**كان الله سبحانه ولا مكان وهو الآن على ما عليه كان**»[1] خلق الممكن والمكان، وأنشأ الزمان ﴿هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ [الحشر: 22].

﴿تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [النحل: 3] لا راد لأمره ولا معقب لحكمه ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ﴾ [البقرة: 269].

﴿وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ﴾ [آل عمران: 26] ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن.

قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ [النحل: 90].

﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ﴾ [الأنفال: 33] فمن القرآن الذي نعت له وجبل عليه ورضي به قوله: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ﴾ [المؤمنون: 96].

وقوله: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ [الأعراف: 199].

وقوله: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [آل عمران: 159].

وقوله: ﴿فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾ [الحجر: 85].

وقوله: ﴿فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ﴾ [الزخرف: 89] وهذه مخاطبة من الحق لصفيه ونبيه خاتم النبيين محمد ﷺ وخاطبه في وحده مختصرة في المقاصد والإقفال، وكان ﷺ إذا نزلت عليه آية من القرآن العظيم فيها رجاء ومنن وعطاء يفرح ويستبشر لأمته، وإذا أنزلت آية فيها خوف وعدل يظهر فيه بعض قبض وخوف، وكل هاتيك شفقة ورأفة بأمته، ويجمع الأمم من قبله؛ لأنه الرحمة لجميع العوالم السماوية والأرضية وجميع مخلوقات الحق؛ لأنه محل الرحمة الواسعة ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: 43].

قوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأنبياء: 107].

قوله: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ﴿٥﴾﴾ [الضحى: 5] ﷺ.

---

(1) ذكره العجلوني في «كشف الخفاء» (2/ 130).

قـــولـــه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝١﴾ [الحجرات: 1].

﴿إِنَّ بَطۡشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ۝١٢ إِنَّهُۥ هُوَ يُبۡدِئُ وَيُعِيدُ ۝١٣﴾ [البروج: 12 ـ 13].

﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ﴾ [الحشر: 22].

❊ ❊ ❊

فصل
في بحور القرآن

وافهم وتفطن بقلبك في بحر آي القرآن، وتدبر آياته ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ [يوسف: 2].

﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴿٢٢﴾﴾ [البروج: 21].

وقوله: ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ [آل عمران: 101].

﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾﴾ [الإخلاص: 1] والتفطن لمزيد البيان في موارد هذا البحر من الخطاب في القرآن من مفاتيح الفهم ومن وجه إليه، وبعض الخطاب الإقبال على النبي ﷺ إعظام إفهام في القرآن ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا﴾ [الفرقان: 45] ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا﴾ [الفرقان: 47] تفاوت الخطابين بحسب تفاوت المخاطبين.

قوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا﴾ [الأنبياء: 30].

﴿خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ﴾ [البقرة: 63] الإسلام.

قال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾ [الشورى: 13] الخلق محجوبون عن الله بنفوسهم الأمَّارة بالسوء المتابعة لهويتها ولذاتها من المأكول والملبوس، وضيعوا أوقاتهم فصارت ضائعة؛ لاشتغال بعضهم بالبعض، فمن أراد به خيرًا ألهمه الرشد والهداية والصواب والزهد في الدنيا وأهلها، ففي قريب يفنى ألَّا يبقى إلا الله، وينفرد العبد في قبره بعمله بين يدي مولاه وخالقه مستيقظ من رقدة غفلته.

فصل
في التسليم للمرشد

نبهنا على غوامض النفس اللوامة، ويكفي المخلص في إرادتنا الصادق شرفًا، ولا يمكن معرفة ما ذكرناه من شرِّ النفس وغوائلها إلا بشيخ مرشد مهدي بالمشيخة الثابتة، فهو نائب رسول الله ﷺ يدعو إلى الله على بصيرته، ونحن لا ننطق ولا تخرج منَّا كلمة إلَّا تكون مملوءة بالنور من نور قلبه فيفتح في سمع الطالب لطلبه وتوجهه فيغرس فيه من شجر الإيمان قوله: ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ۝٢٤ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾ [إبراهيم 24، 25] وكلما قال في خلوته: «لا إله إلا الله» يأتيه كلما يطلبه.

وكن أيها الطالب والمريد المخلص الصادق في الإرادة تكون مع الشيخ كالطفل الرضيع مع الأم لا تأكل ولا تشرب ولا تتحرك إلا بإذن الشيخ فلا له اختيار، ويعرض أمره ويرده إلى شيخه؛ لينال حقيقة الإيمان، واليقين والخواص يكونان معه في مرتبة عالية ودرجة فوقية لا يرقاها إلا من تولاه بنظره ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الجمعة: 4].

وانظر وتفكر في من لا له شيخ مرشد ملقح يكون غارق في حب الدنيا الخسيسة الذي ما سويت عند الله جناح بعوضة، ولو سويت عند الله جناح بعوضة ما سقى منها كافرًا شربة ماء، وهؤلاء المتزينة المتصنعة يأكلون بدينهم الدنيا والجاه الذي هو محبة الجاه للمنزلة عند الخلق، فيكون الجاه له منحة لضعفه، فيكون في طلب المال حب الرياء والنفاق والتصنيع، نسأل الله السلامة.

وأما المنتسبون إلينا فقد توليناهم بتحقيق الفناء والإرادة وقمع الشيطان عنهم والنفس الأمارة بالسوء، كذلك فيكون في مهماته لما استقوى بدر القلب بنور الإيمان، والعلم نال به رؤية من أحاط به علمًا.

وافهم ما أقول لك به فإني ما أقول إلا بما يقال به حقيقة التوحيد حقائق الموهوم لظهور المعلوم، الاستغراق في عين الجمع لفناء الرسوم الخلقية كلها،

وهو المشار إليه بقوله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١﴾ [النصر: 1].

افهم بقدر الرسوم يكون القرب على قدر بقائه يكون البعد، فليس الحجاب إلا أنت فمتى فنيت ظهرت لك الحقيقة، واصعد عن العلم، فإن العلم حجاب عن المعلوم، وافهم أركان المعرفة مشاهدة القرب بالفناء الكلي ومحو الرسوم.

وأما التوحيد الأحدي اختصه لنفسه؛ أي: استأثر الله به، ليس لغيره فيه نصيب، ويفهم ذلك ويتحقق بفناء الخلق كلهم وبقاء الحق وحده، فلا يمكن لغيره عنه عبارة ولا إليه إشارة، لا يستحقه بمقدار كنهه وحقيقته إلا هو ولا يبلغه غيره ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ﴾ [الأنعام: 91].



فصل
في عين الجمع

ولاح لنا وللعارفين من صفوته حال البقاء بعد الفناء في عين الجمع؛ لأنهم في حال استغرقوا فيه فانيين عن أسرارهم غائبين عنها، وفي حال البقاء ردوا إلى الخلق باقيين به فعرفوا أن الحضرة الأحدية لا نقد لها، وكل ما ينعت فهو من الواحدية، فافهم في سورة النجم في حق محمد ﷺ: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾﴾ [النجم: 9، 10] جل وعلا فصحَّ ما نصَّ به القرآن كلام الرحمن في مخاطبته النبي ﷺ في إسرائه: ﴿۞ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾﴾ [الإسراء: 1] وذلك هو الخاتم للرسالة والنبوة والولاية قوله: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾﴾ [الأحزاب: 40] وهو البشير النذير ﷺ.

قوله: ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ﴾ [التوبة: 21] ومنه الدعوة إلى الله على بصيرة، ومع ثباته على الصراط المستقيم الذي هو طريق التوحيد الذاتي بقوله: ﴿يسٓ ﴿١﴾ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣﴾ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [يس: 4: 1] وهو من أجل المقامات وأصعبها ولهذا قال: «**شيبتني هود**»[1] وذلك لقوله: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ﴾ [هود: 112] فإن الدعوة إلى الله مع كون المدعو على الصراط المستقيم، وهو صعب لا يمكن إذا كان الداعي على بصيرة يرى أنه يدعو من اسم إلى اسم حياة الوجود، وحياة حضرة الجمع هي حياة بالحق لا يرى شيئًا إلا هو قائم بالله.

---

(1) أخرجه الترمذي (5/ 402، رقم 3297) وقال: حسن غريب، والحاكم (2/ 374، رقم 3314) وقال: صحيح على شرط البخاري. وأخرجه أيضًا: ابن أبي شيبة (6/ 152، رقم 30268).

قوله: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: 54].

﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [النساء: 87] انظر وافهم ألا ترى إلى مقدم القوم والباب الأعظم لمدينة هذا العلم وساقيهم من شراب الكوثر الذي خصَّ به نبينا محمد ﷺ علي بن أبي طالب ـ كرم الله وجهه ـ كيف ابتدأ بالإشارة في عين الحقيقة بقوله: كشف سبحات الجلال من غير إشارة، وهو محض تنزيه الذات من التعدد والأسمائية، وأكده بقوله: صحو المعلوم مع محو الموهوم، إشارة منه إلى فناء الرسوم كلها في أحديتها، وصرح بذلك جذب الأحدية بصفة التوحيد، ثم ختم بقوله: نور مشرق من صبح الأزل، فيلوح على هياكل التوحيد، إشارة لبيان معنى الفرق، والجمع هو تعينه مع أحدية الفرق والجمع، والله يسقينا شراب إخواننا الصادقين والمريدين المخلصين من هذا الشراب مشرب شرابًا طهورًا، أو استجاب لنا دعاء نبينا محمد ﷺ في صحيح الحديث قوله: «**أعطنا نورًا واجعل لنا نورًا وأعظم لنا نورًا وزدنا نورًا**»[1].

وافهم الأخلاق وهي حقيقة المعنى بالطهارة من النجاسات، وهي الظاهرة لمكارم الأخلاق وإزالة سفاسفها من النفوس حتَّى يكون له الطاعة، وبعد تصحيح الطاعة المشاهدة في حق العوام.

وأما الخواص من الصديقين[2] فطاعتهم باليأس منهم بإقبالهم على كل شيء بحسب إرادتهم لمولاهم في كل شيء، ويقول: «**من أطاعني في كل شيء أطعته في كل شيء بإقباله إلي، فإن صح الإقبال والتوجه يراني في كل شيء من التجلي**

(1) أخرجه البخاري (21/ 101)، ومسلم (5/ 145).

(2) **الصدِّيق**: الكثير الصدق، كما يقال: سكِّيت، وصريع، إذا كثر منه ذلك، والصديق من الناس من كان كاملاً في تصديقه لما جاءت به رسل الله علمًا وعملاً، وقولاً وفعلاً، وليس يعلو على مقام الصديقية إلا مقام النبوة، بحيث إنه من تخطى مقام الصديقية حصل في مقام النبوة، قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ۝٦٩﴾ [النساء: 69] فلم يجعل تعالى بين مرتبتي النبوة والصديقية مرتبة أخرى تتخللهما، وإليه الإشارة بقوله ﷺ: «**كنت أنا وأبو بكر كفرسيّ رهان، فلو سبقني لآمنت به ولكن سبقته فآمن بي**» **والصديقية**: كمال الصدق وتماميته تصديق الصادق في كل ما أخبر به.

العظيم العزيز»[1] تجلي إشارة من طريق السرّ، فيكون بصره لا بصرك، وتشهده بالقلب من حيث لا يشهدك، فمشهد القلب يبقيك ومشهد البصر يحرقك ويغنيك، وهذا التجلي ما له مطلب سوى الحق من حيث تعلق الهمّة لا من حيث الكسب والأعمال.

***

(1) قال الشيخ أبو بكر بن سالم: افهم الطاعة الصحيحة المشاهدة في حق العوام، وأمّا الخواص من الصديقين، فطاعتهم بالإشارة منهم بإقبالهم على كل شيء؛ لأنها تثبت فيهم حسن الإرادة لمولاهم في سلوكهم على معراج أسنى طريقة القوم أهل الكمال، فهم أهل حضرة الوصل والاتصال، فلا يرون لأحد فعلاً من الأفعال ولا حركة في طاعتهم إلا بما أيدهم الله به، ونفى عنهم النفس والهوى وكيد الشيطان الرجيم، فهم في تحقيق عبوديتهم يرون قربه إليهم من كل شيء، لا يخافون فقر الدنيا الفانية الحقيرة: ﴿قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ﴾ [النساء: 77] فإنهم قد صفت قلوبهم وسرائرهم، فهم في لذات نعم القلب المنور، وتوالت عليهم المعاني وورد عليهم من فيض الحضره المقدسة ما لا يقدر قدره ولا يفهمه ويعرفه إلا أهله ومستحقيه .﴿وَكَانُوٓاْ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَاۚ﴾ [الفتح: 26] لأنه قد تولاهم بمكارمه وإحسانه واصطفائه، فهم في أدق طريق صراطه المستقيم، وإنما الشأن كل الشأن في فهم التحقيق، وصحة ما ذكرناه في الحقيقة الإمكانية.
وظاهر الوجود بحكم تلك الحقيقة الإنسانية ليست إلا تعينًا بتعين الاعتبار، حقيقتها علمي بعقل إلهي للصورة الإنسانية بحسب ما هي عليه في جميع وجوداتها من وجودين: وجود على روحي ومثالي وحسي، وكذا جميع الحقائق الممكنة، وكلما سوَّى هذا باعتبارات العلم جملة وتفصيلاً عدم باق على عدميته ما ظهر ولن يظهر أبدًا، وأثبت له الوجود العلمي، وذلك الوجود هو عين العلم لا غيره، ولا زائد عليه عن العلم المحقق. وأمَّا وجوده الخارجي فوهم وخيال، وإنما الظهور والوجود للحق تعالى، فليس غيره تعالى ظاهرًا ولا موجودًا أبدًا كما كان أزلاً، وحكم الجسم ليس له وجود في الخارج عن إيراده وعقليته، ليس لوجود الأعيان وجود في الخارج عنه، ومن هنا حكم الوجود إنما هو نفي الوجود عمَّا سوى الله تعالى. والعوالم كلها مظاهر وحدانيته بالتجليات، ولا موجود إلا هو ولا وجود إلا له، وتلك التعيينات ومصدرها الوحدة «**كان الله ولا شيء معه وهو الآن على ما عليه كان**» ومجملها ومفصلها: التوحيد.

فصل
في الترقي عن العلم والعمل

وافهم الصعود عن العلم والعمل، فإن بقيت مع عملك وعلمك حجبت عن المعلوم؛ أعني: انفراد الحق في صدر ما يصدر في الكون، وكل متحرك وساكن وقبض وبسط، وهو وحده لا شريك له جل ثناؤه وتقدست أسماؤه وهو حسبنا ونعم الوكيل ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: 3].

﴿قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا﴾ [الطلاق: 3].

﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾﴾ [الحديد: 3] واسمه الظاهر هو تجلي لاسمه الباطن، فلما لاح لنا من وجه الحقيقة وجه ذاتي وشمس يقين، وطلعت علينا شمسها الصاحية على الوجه الأحدي، فمن نظر إليها بعين غفلته ما حقت له شمس يقين، ومن نظرته وأشرقت في قلبه من نورها المضيء؛ لأن لا عين إلا عين القلب ولا سمع إلا سمع القلب، وهو المضغة التي إذا صلحت صلح سائر الجسد كله ألا وهي القلب.

قوله: مخاطبة لقلوب العارفين إلا ﴿لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: 37] وأمَّا نحن فنراها شمس ذاتية، والصفاتية تابعة ﴿يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [البقرة: 142] إلى الجمع؛ أي: الحق وحده منفردًا، فصح وجوب وجوده وكريم مشاهدته من كل شيء خلقه، وهو ما عبَّر عنه قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾﴾ [المجادلة: 7].

﴿وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا﴾ [يونس: 61].

فصل
عدم رؤية ما سوى الله

فلما خرج العبد الصادق إلى المحل العالي نظر سائر الأعيان بأن يراها كلها صادرة وواردة ومقبلة ومدبرة كلها من الله ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الصافات: 96] ونسبة أعمالك إليه كسبية وإلى الله خلقية، والله خالق وأنت كاسب، وفي هذا تُثاب وتُعاقب، فنحن نحمده على نعمائه ونشكره ونؤدي شكره، وشكره من شكر ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ: 13] لا نرى حول ولا قوة ولا إرادة ولا حركة ولا سكون يقع إلا بالله وحده.

وقوله: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾ [الزمر: 3] وفنينا في الذات الأحدي ما فنينا إلا حقيقة، ولا نشهد موجود إلا الله، ونشهد الخلق لا فعل له، ومن فهم علمنا هذا فقد حاز وفاز، فلما شهدنا عدمه وصلنا إلى الحضرتين، وقرة العين بشهود التوحيد وهو عند الكمل العارفين - نفع الله بهم - أجل من الشمس لا تحتاج إلى دليل من غير نور محرق، حتى يكون إفراد الشهود موهب قوة يقين؛ إذ لا مؤثر إلا الله، وترى الأفعال كلها من الله.

وافهم أن ما لا يدرك إنما لشدة ظهوره وقوة نور أنيته من اللوامع، وبروق سناء الجمال.

واحذر أن تشهد لنجاتك من العذاب والعقوبة والطرد وسيلة من الأعمال الصالحة والحسنات نسأل الله العافية.

وكن في إسقاط الحدث الكُلي، فلا له رسم ولا له وجودًا أبدًا، وكل عمل بغير إخلاص وصدق ويقين يكون مصحوب بالعلل، وكذلك بعض إشارات المحققين لا تخلو من العلل، فإنها مواجيد ذوقية لا تقع تحت العبارات، ولا تحيط بها الإشارات، ولا تشفي بيانها الكمالات، وافهم العلل هي الجهالات، وافهم الشهود هي الأقوال المصنوعات التي يستدل بها على المكون الصانع، والدلائل التي يستدل بها العلماء بالنظر والفكر وفراسة العقل وبراهينه، فتوحيد

العام إنما يصح بالاستدلال.

قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: 22] ولكن ما فسدتا، فليس فيهما آلهة غير الله، وفيه أمثال ذلك، والمكاشفة والمشاهدة والمعاينة، وخذ المشاهدة بالشواهد بتعين الحق، وينمو على مشاهد الشواهد، فيجب عليك قبول التوحيد بالأذن السمعية، وهي أخبار الكتاب والسنة التي يسمعها من النبي محمد ﷺ لقوله: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد: 19].

﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [البقرة: 163].

و﴿شَهِدَ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: 18] وسورة الإخلاص وأمثالها، ولا يوجد حقيقته وحلاوة معناه إلا بنظر الحق إياه بنوره المقرون في قلب المؤمن، ويزيد وينمو بالمواظبة على مشاهدة الشواهد بنظر الأعيان والتفكر فيها ومطالعة حكمة صنائعها في أحوالها.



فصل
في سر العلم

وافهم هذا العلم اللدني الذوقي، ومطالع الأنوار الإلهية، وانظر في استشراف الأولياء على أسرار علم على قدر مقاماتهم التي وهبهم واهب الفضل سبحانه ما استشرف بهم، وهي العناية الكبرى على حبائل الشيطان ومصائده ومكائد النفس ومخادعها، وانطوى عليهم سلطان الهوى كيف يتصرف في الخلق بأعوان الشهوات وإدمان الأهواء يرحمه الله، وقديم القدم عصموا بإطلاعهم على ذلك، وشهودهم له عصمة علم لا عصمة حال، فكذلك علماء هذه الأمة، وهم المتبعون في القدوة وأولهم الصحابة -رضوان الله عليهم- ثم التابعون وتابعي التابعين إلى هلم جرا، على هديهم وسلوكهم في طريقتهم المثلى والرغبة في الفريق الأعلى مثل أبي بكر الصديق رضي الله عنه الذي فُضل على غيره بالسرّ الذي وقر في صدره، وعمر رضي الله عنه لما جعل من المحدثين، وسماع سارية لما دعاه عمر من المكاشفات بروايات القوم، هل هو إلا أمر إلهي وسرّ رباني وخرق عادة في الأجسام؟ إذ بينهما مسيرة أيام مما لا يبلغ الصوت في العادة، فذلك يكن مع كشف له من عالم الأرواح بعضها من بعض، وإن ما بينهما افتراق ولا لحقها زمان يسهل عليه.



فصل
في التصريف وأهله

وافهم تحقيق البروز، فالعارف الكامل معين مشارق الأرض ومغاربها، ويخترق العالم بتلك الصورة، وقال ﷺ: «**زويت لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك أمتي ما زوي لي منها**»[1] وهنا كنز أقمنا جداره حتى يبلغ اليتيمان أشدهما ما يجب عليك في نفسك، فعالم الملكوت ليس مثل عالم الشهادة، كذلك المنام ترى نفسك في أعلى عليِّين تارة بالمشرق وتارة بالمغرب، وأنت في شبر من الأرض في مضجعك ففضلت هذه الأمة على غيرها.

إن الذي يدركه الإنسان في النوم يدركه في اليقظة، والسبب في الفرق بينهما واضح، وذلك أن الواحد أنزل لك القوة المدركة من مكانها إلى العالم الأدنى ما تحجبت عن أصحابها بذلك، فإذا نام في ذلك المحل ارتفعت إلى موضعها لكن ارتفاعها ارتفاعًا معتلاً، وقد نبهنا على مشاهدة الاعتدال، فافهم إن كنت ذا فهم وإلا سر في طريقك وخله لأهله.



(1) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (8632).

فصل
في التصريف والفتح

فنحن نقول: نراها عيانًا ورؤيانا من غير رؤيا الجسم فنرى في الخلق من العلل، لكن من أثبتناه تزول منه العلل كلمح البصر هيهات هيهات جفت الصحف ورفعت الأقلام ونادى منادٍ.

قوله: ﴿يَٰقَوۡمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ﴾ [الأحقاف: 31] فما فوق قوله قول لعبده، ولا دليل أجل منه دليل لعبده الذليل الخطير الذي من تولاه بنظر الإكسير ويا لها من نظرة، وكم من كامل فيها، وكم من عارف من ضواحي مشارقها، وقد منحنا من صدق، وتوجه إلى هذا الباب تطوي عنه مسافة الدنيا، وتكون الآخرة الأبدية أقرب إليه من نفسه، فعاش في نعمة طافية، وانتماء التقوى معهم وعزم الأمور فيما أيدناهم به، وخلصناهم برمق نظرنا وأرشدناهم على الكتاب والسنة وعين الهداية، ومحينا عنهم نفوسهم ورسومهم وحواسهم فيكونون في طي التجريد الصحيح، وهذه كلها من منن الحق وجوده وكرمه لنا ﴿وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٖ ٢٠﴾ [إبراهيم: 20].

﴿ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [الجمعة: 4].

﴿...إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ﴾ [البقرة: 156 ـ 157] فبشر الصابرين بجميل الجزاء منه إليهم، وهي الصلاة والرحمة منه عليهم؛ ولذلك إخوانهم المهتدون ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ﴾ [البقرة: 157].

﴿وَمَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّۗ﴾ [الزمر: 37] ومن هداه فلا مضل له.

قال: ﴿مَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِيۖ﴾ [الأعراف: 178] فمن في الهداية فعاقبته الشهادة الأبدية.

﴿وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا﴾ [الطلاق: 3] والصبر راحة في الدنيا، ونعيم في العقبى وأجر بغير حساب بدليل

قوله: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: 10] فلولا أن الصبر سرّ الله في أحب العبادات ما جعل الأجر عليه بغير حساب.

وقوله: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟﴾ [الأعراف: 137].

وقوله: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟﴾ [السجدة: 24].

وقال تعالى مخاطبًا لنبيه محمد ﷺ: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [الحجر: 97].

وقوله: ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [آل عمران: 186] فجعل الصبر والتقوى من عزائم الأمور، وافهم أنه لا يكون إلا مع وجود الإيذاء والفتن.

وقوله تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: 35].

﴿وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الأنفال: 46] وتطييب قلوبهم بالصبر واحتمال الأذى، قال الله تعالى ﴿قَالَ لَا تَخَافَآ ۖ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾﴾ [طه: 46] فمن كان ربه معه ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الأحقاف: 13].

قوله: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾ [الرعد: 24].

❊ ❊ ❊

فصل
في التجريد والتوحيد والتفريد

فلما ظهر لنا في سابق سلوكنا في قدم التجريد فكنا مخلصين مع الحق، ولا نرى إلا نعمه المشرفة علينا من نور شمس اليقين وعين اليقين، فلا نرى في الوجود غيره منزه من ملكه وملكوته فلا نرى في الوجود غير الله فلله الحمد والمنة، فكنا من الذين أنعم الله عليهم من السابقة الأزلية والفيض الإلهي الأقدس من عين الجود لا ببذل المجهود وخصنا بخصائص، والله قسم ما ظهر منها شيء؛ لأنَّا حفظناها بما حفظ الله علينا؛ لأنها تسعها الصدور ولا تحويها السطور، والله شاهد على ما نقول وهو حسبنا ونعم الوكيل ﴿نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾ [الأنفال: 40] فلا تزال في طي الخمول الكلي لرفع همتنا مع الله.

قوله: ﴿ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: 153].

قوله تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ﴾ [النحل: 127].

قوله: ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [الشورى: 10] وهذا أعظم الدلائل وأحسن الطرق إلى رضا الله تعالى.

قوله: ﴿فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ۝٥﴾ [المعارج: 5] على نبيه المصطفى محمد ﷺ، وافهم الإشارة على ما هو عليه، وصلاته وسلامه على صفيه الذي أقسم به إقامة حق محمد ﷺ وعلى آله كثيرًا لما خص الشهود الحقيقي بالصفوة، وهو أصفا الأصفياء؛ لأنه مجمع الكمالات كلها والخير التام ـ عليه أفضل الصلاة والسلام ـ بتنزيهه وتطهيره عن النقائص كلها؛ لصفاء فطرته وسريرته، الذي أقسم الله به في سورة يس مرموزًا بالإيماء إليه بذكر الحرفين الدالين على الوقاية والسلامة المقتضيين للكمال والتكميل على أنه أقام بتبليغ الرسالة وأدائها، والدعوة إلى الله على بصيرة مع ثباته على الصراط المستقيم، وهو من أجل المقامات وأصعبها، فهو هو ﷺ فقال في حقه بعد أن طوي بساط الأكوان علوًّا: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ

قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝﴾ [النجم: 8-9] ﷺ وعلى سائر الأنبياء.

وكما حصل في حق إدريس عليه السلام ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِۚ﴾ [النساء: 158] وافهم لأنه جل ثناؤه وتقدست أسماؤه سبحان من لا يدرك كنهه إلا هو ولا وصفه إلا هو تنزه عن المكان والزمان «**وهو الآن على ما عليه كان**»[1] ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَۖ﴾ [الأنعام: 103] وهو العظيم الذي علت مكانته وعزت ذاته وتجاوز حد النهاية؛ فالجلال والكبرياء صفاته ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [يونس: 107].

قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء: 48].

وقوله: ﴿۞ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝﴾ [الزمر: 53].

وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: 53] ولا ذنب أعظم من الشرك، ومن آمن وأسلم لرب العالمين وقال: أشهد ألَّا إله إلا الله وحده لا شريك له وجبت له المغفرة و«**التائب من الذنب كمن لا ذنب له**»[2].

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ [مريم: 60] وقال سيد النبيين المقربين خاتم الأنبياء والمرسلين قوله: «**لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك**»[3].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ﴾ [الزمر: 67]؛ يعني: المقربين من الأنبياء والمرسلين ومن دونهم من الأولياء والصديقين وسائر عباده المؤمنين جميعًا، ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ﴾ [الأنعام: 91] بل هو فوق ما عرفوه، وقدروه وراء ما قدروه به.

---

(1) سيأتي تخريجه.

(2) أخرجه ابن ماجه (4250) والطبراني (10281)، وقال الهيثمي (10/ 200): رجاله رجال الصحيح إلا أن أبا عبيدة لم يسمع من أبيه، والبيهقي (20348)، والقضاعي (108)، قال المنذري (4/ 48): أخرجه ابن ماجه والطبراني كلاهما من رواية أبي عبيدة ابن مسعود عن أبيه، ولم يسمع منه، ورواة الطبراني رواة الصحيح. وقال المناوي (3/ 276): قال ابن حجر: حسن.

(3) سيأتي تخريجه.

فافهم أن جميع الأولياء وصلوا إلى القدر فوجدوه صمتًا لا يفتح، فوقفوا إلا أنا لما تولينا من فيض وجوده الذاتي الأحدي والحكمة الذوقية، ففتحت لي فيه روزنة من روازنه فولجت فيها فدفعت القدر بالقدر؛ فهذه هي منن الحق تعالى كمالات لا يعرفها غيره ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْۚ﴾ [الشورى: 22] والمشيئة يستند إليها كل شيء فدخل القضاء والقدر، وهو غالب بحكم الله ومشيئته، ومن كان قدر المشيئة له فله فيها التصريف الرباني كما قال: دع الحق يتصرف لي خيراً من تصرفي وأكثر، وإرادتنا بلا واسطة ولا سبب ولا غاية تقيده مشهد دون مشهد، ولا تخصيص بنظر دون نظر، ولما أشعت علينا شمس الحقيقة، فوجدت نسبة الموجودات إلى ذاتي كنسبة شعاع الشمس إلى الشمس فنادى منادٍ: التوحيد الجواب يا عبدي لابدَّ من الفناء عن الوجود، فبفنائك عن الموجودات تحصل في الشهود، وبفنائك عن الموجودات إلى مقام الوجود، فإذا فنيت عن فنائك أبقاك به على أنك عينه فيراك معدومًا من حيث خليقتك، موجودًا من حيث حقيقتك بتجلي الأسماء والصفات.

كما هي لذاتك بحكم أصالة الملك لا بالتبعية ولا بالنظر إلى حقيقة، بل بنسبة الكمالات كلها إليك كنسبة الصفات إلى الذات، ولم تزل سائر بهذا المعنى حتى تفقده، ولا تجد سواك لما ينكشف لك في باطنك مواقع نجوم الأزل من سماء علة العلل بلا واسطة اسم ولا صفة ولا نسبة، بل هو وجودك لمعانيك الباطنة عين كل موجود فعرفت الواحد الأحد الصمد الذي ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌ ۝٤﴾ [الإخلاص: 3-4] هذه سورة الإخلاص المخلصة من شوائب العلل والشرك والضد «**فضل تلاوتها كثلث القرآن**»[(1)] حديث نبوي، وليس قلب القرآن العظيم.

اعلم أن تلك الإشارة هي المشار إليها بجميع الكمالات، وعينك المسماة بجميع الأسماء والصفات، فلا يتصنع ولا يتعمل فالاستجلابات حجاب، والآلة شغل فقير، الرجوع إلى الأصل إهمال للفرع، كل هذا دون، وتضيع من مالك إذا كان التجلي، فالطريق فيه أن كل الكمال كمالك قال تعالى لنبيه: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ

(1) أخرجه الطحاوي في «مشكل الآثار» (1039).

أُمِرْتَ﴾ [هود: 112] فقال ﷺ «**شيبتني سورة هود**»[1] فهم ذلك من فهمه وعلم ذلك من علمه ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾﴾ [فصلت: 35].

***

(1) أخرجه ابن سعد (1/ 435)، وأبو يعلى (107)، والطبراني في «الأوسط» (8269) قال الهيثمي (7/ 37): أخرجه الطبراني في «الأوسط» ورجاله رجال الصحيح، ويأتي في سورة الواقعة، ورواه أبو يعلى إلا أن عكرمة لم يدرك أبا بكر وزاد وسورة هود.

فصل
سر تحقق الأسماء والصفات

إشارة إلى ما ذكرناه في هذا المعنى منزلاً لا تحتمله العبارة، وجميع المعاني الكمالية التي عبرت عنها بالأسماء والصفات، ثم نسبتها إلى الله تعالى أولاً، فإنه لابدَّ لك من تعلقها، ثم نسبتها إليه ثانيًا، ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص: 88].

﴿مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [هود: 56].

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [هود: 115].

﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَىِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾﴾ [هود: 114].

﴿وَٱصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٥﴾﴾ [هود: 115].

﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴿١١٩﴾﴾ [هود: 118ـ 119].

﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾﴾ [هود: 120].

قوله: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾﴾ [هود: 123].

﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: 3].

﴿قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا﴾ [الطلاق: 3].

﴿حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌ﴾ [القمر: 5].

فصل
في الحقيقة الأحدية

فلما قطعنا النظر إلى الصفات، ثم إلى حقيقة الذات الأحدي في الحضرة الواحدية الجامعة الفردية من ذاته إلى ذاته وكل مرتبة ما خلا هذه عدمية أيضًا مع قطع النظر من المتعين، فسبحان الذي وسع بجوده ورحمته وعلمه وحكمه، ونظر العين الواحدة الحقيقة حضرتها الجلالية تقهر أعيان الأعيان وتقضي عليها غيرة أحدية، ولكنها من حيث اليقين رضي عن كل معين قابل، ومتعين مقبول، رضي إلى خصائص بخصوصية لكونه جهده واستطاعة عنه، والعالم صورة تفصيل النشأة الإنسانية.

والإنسان صورة جمعها الأحدية هي عين العالم، والعالم شهادته وظاهره لكون الكثرة، والتفرقة حجاب الجمعية الأحدية غيبًا باطنًا، والإنسان روح العالم وقلبه وسرّه الناطق، كما أنه إظهار خليقته في الخليقة وعظمته، كما أن الله وصف نفسه على لسان رسوله، وصفه لنا بالحجب فقال ﷺ: «**إن لله سبعين ألف حجاب من نور وظلمة**»[1] فالاحتجاب بالحجب من السلطنة والخلافة مقتضيًّا، فلما ظهر العالم من لطيف وكثيف جسم وروح بتعين وجود الحق من عوالمها فكثر أنها بعين المشابهة، وكل من العالمين حجاب على الآخر، فتحجب اللطيفة الكثيفة والكثيفة اللطيفة؛ وذلك لأنه لاحظ في الوجوب الذاتي من تحجب الغير به، فلما شهد العارف بالله عين الأعيان زالت حجبها وبانت العين الواحدة، وهي الحقيقة عين هذه الأعيان فزال عن عينها الغير والحجاب، ولكن افهم العزة من الغيرة أوجبنا الغيرية والأين ﴿ وَلَوْ رَحِمْنَٰهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّواْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾ [المؤمنون: 75].

(1) سيأتي تخريجه.

فصل
في أحدية جمع الجمع

وافهم الكمال في أحدية جمع الجمع، والانقياد، والطاعة، والدخول تحت حكم صاحب الجمعية التي بين اليدين اللتين في قبضتهما عالم الأرواح اللطيفة وعالم الطبيعة الكثيفة، وإبليس في أحدهما، ولكن حقيقة إبليس منافٍ لحقيقة آدم بالحقيقة والطبع؛ لأن حقيقة آدم عليه السلام صورة ظاهرة أحدية جمع الجمعيات الإلهية.

قوله تعالى: ﴿إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ﴾ [ص: 71: 74].

وقوله: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾﴾ [ص: 78] انظر في إبليس اسمه عزازيل كان أعبد الملائكة، فلما أمر بالسجود لآدم فاستولى عليه الكبر فنطق: ﴿خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ﴾ [ص: 76] فخلد في النار أبد الآباد، محجبة الحق عن مراده في رضا ربه لما سبقت عليه الشقاوة في أزل السابقة عليه ـ نعوذ بالله من غضب الله ـ سبقت عليه في مشيئته القاهرة ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [يس: 83].

﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [سبأ: 3].

وقوله: ﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [يس: 53].

﴿قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ [الزمر: 68].

وقوله: ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ [لقمان: 28] وافهم هنا علم عزيز إلا لمن أرشده الله تعالى ووفقه لما يرضيه.

فصل
ما في الوجود حقيقة إلا هو

فلما شهدنا عينه الذاتية والبقاء، وإنه لم يكن ما في الوجود إلا الله من التجليات والعطيات والهبات في كل موطن في مقام وحال، وهذا العالم أعلا عالم بالله في هذا المشرب والمشهد، وهو من يعرف الاستعداد له بدلالة الحال والأصل المذكور مجملاً؛ ليعرف لك مجملاً ما تقبله من الفيض والتجلي، والعالم بالتفصيل له على الكل كالتفصيل مثل ما ذكرناه خاتم الأولياء، وشهوده في جميع أحواله وعلومه وتجلياته وهيئاته التي أقامه الله فيها إلى آخر عمره من منن فضل الله العظيم وجوده الفائض عليه، وطابت له المشارب بالكأس من بحر ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: 54].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [النحل: 77] وذلك أن مشيئة الله على كل شيء، ومشيئته مشيئة الله، فإنه قادر على ما يشاء، وإنه لا يشاء خلاف ما يعلم، ولا يريد خلاف الحكمة خلاف، فإنه العليم الحليم، والحليم العليم لا يشاء ولا يريد أن نفعل ما يناقض الحكمة بقدرة الله تعالى، إنما تتعلق بالمقدورات بموجب إرادته ومشيئته تعالى والإرادة، والإرادة إنما تتعلق بالمراد على التعيين والتخصيص بموجب ما اقتضته الحكمة والعلم، فالعلم الأزلي ما يتعلق بهذه العلوم المذكورة ما يخالف الحكمة على وجه، ولا يقبل وجوداتها لاستعداد قبول الوجود، بل بموجب العلم والحكمة استعداد القابل، والحكيم الأزلي قد حكم الأشياء بحكمته قبل إيجادها، ثم أوجدها بحسب مراتبها، والحكمة تكون في ما وضعها فلا جاز في حكمة الله تعالى تجويز ما يناقض الحكمة الإلهية لغير الأسماء الجمالية في قابليات الكمالية من قابليات كمل الأنبياء، ومن قبل الانفعال لكمل الآدميين في مظهرته تلك الكمالات الأسمائية فآدم ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ مظهر أحدية الجمع الأسماء، ومظهر النفس الواحدة من حيث اعتبار ذاتية الذات، وإطلاقها لا يكون على اسم ولا صفة ولا حكم ولا نعت.

والاعتبار الثاني من أحدية الذات ومقتضياتها، وتظهر بحسب الإطلاق والتقييد والفعل والانفعال والأسماء والذات، فيكون في الأنبياء الثاني وهو شيث تعين بسريرته الفائضة والواهبة والوجود، ثم تعين المواهب والحكم الإلهية والرحمانية والذاتية في كمل الأنبياء على ما سيأتي بعد شيث ـ عليه السلام ـ الذي أحدية عين الجمع الفيض الرحماني والعلوم الوهبية الروحانية النورانية، فأول تعين الأسماء في مرتبة الجمعية الإنسانية بعد مرتبة الفيض شيث عليه السلام إنما كانت التجليات التنزيهية في نوح عليه السلام بعد ظهور كمال ظهور أسرار المشيئة بقوم نوح، فنوح صورة أحدية جمع التنزيهات التوحيدية.

ومظهر تجليات الأسماء السلبية المقتضية للنزاهة والطهارة في الفعل في إدريس عليه السلام ثم تفصلت الحقائق الثبوتية بعد تعينها، وظهور أحدية جمع كمالاتها بإبراهيم عليه السلام وتحققت أمانته في أولاده إلى سليمان عليه السلام في مرتبة ظاهرية أحدية جمع جميع الكمالات الأسمائية، وكملت في داود ـ عليهما السلام ـ ثم ابتدأ بظهور مرتبة الجمع في الباطن فيمن بعد سليمان إلى عيسى ـ عليهما السلام ـ حتى ظهر كمال الدعوة والبطون فيه، ثم كمل الأمر في مرتبة جمع جميع الأسماء والذات في مقام الفردية الكمالية البرزخية محمد الخاتم ﷺ ثم ابتدأت الصور الكمالية الأحدية الجمعية بآدم الأولياء وهو أول، وفي مفرد في الولاية المورثة على النبوة الختمية الجمعية في مرتبة الباطن والولاية بآدم الأولياء.



فصل
في الولاية المورثة

وانظر هنا إلى أول مفرد في الولاية المورثة عن النبوة الختمية الجمعية الكمالية أحدية الجمع، وهو علي بن أبي طالب ـ كرم الله وجهه ورضي عنه ـ فظهرت الحقائق الجمعية الكمالية أحدية جمعية في مظاهر الكمالات الإنسانية الأحدية الجمعية من الأولياء والورثة المحمديين الإلهيين إلى أن ختمت في عيسى ابن مريم عليه السلام، وصلوات الله عليهم أجمعين.

فصح في ذلك القول والنمط العزيز الحديث الصحيح، وإذا انتهت مواهب التفصيل الوهب جمعًا وتفصيلاً في الصور الجمعية الكمالية الإنسانية في الصورة التفضيلية الفرقانية، نورانيتها في كمل الأنبياء والأولياء، وظلمانيتها في الفراعنة والجبابرة والمردة والعفاريت، فأظهرت ختمية مرتبة الوهب الذي كان مفتتحه ومختتمه، والله أعلم وأحكم وهو يهدي السبيل في التنزيه، واقتضيت على مقتضى معتقدهما من التنزيه، ولم يشهد سوى مشاهدها المبينة؛ لأنه تعالى نزه وشبه، وجمع بين التشبيه والتنزيه في آية واحدة فقال: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾ [الشورى: 11] فنزه ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشورى: 11] فشبه، وهو جمع بينهما، بل في نصف هذه الآية.

قوله: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾ [الشورى: 11] ونصف الآية الثاني يطرد التشبيه ظاهرًا، ولكنه عند التحقيق وتدقيق النظر الدقيق عين التنزيه الحقيقي في صورة التشبيه وصفة الآية.

قوله: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشورى: 11] إثبات تخصيص السمعية والبصرية؛ يعني: لا يسمع ولا يبصر في الحقيقة إلا هو في السميع؛ يعني: كل سمع، والبصير؛ يعني: كل بصر، وهو حقيقة تنزيهية المحققين فافهم.

والعجز عن درك الإدراك إدراك، فأقرت أهل العقول بالعجز عن إدراك الحقائق على سبيل الإحاطة والحصر، إلا طائفة جاهلة لجمعية الأمر عادلة عن

طريقة السرّ؛ لأنهم يخطئون ويقولون: العقول كافية في إدراك الحقائق، وهي تضاف عن ذلك، وعزت أن تدرك إلا لأهلها قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ﴾ [القَلَم: 42-43].



فصل
في المشرب المحمدي

ولما ذكرنا في المحمديين ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: 88] أعني: المشرب المحمدي، شهود كل شيء اضمحلال، كل شيء في عين الحق وجهه، كل حقيقة في حقيقة عينه الثابتة فهي وجه الحق الذي ظهر به وفيه وله وهو الباقي من قوله: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾ [الرحمن: 27] فبثبوت الحجب والستور يبقى وجه نور النور ﴿وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ [لقمان: 22] فلما ظهر السرّ المصون من خزائن الأسرار فكانت ظاهرية الإلهية، والإلهية باطنها وهويتها.

والله هو الفعال بالأفعال كلها، وهي أحدية جمع الحقائق الفعلية الوجوبية المؤثرة بأول صورة وجدت في المادة العمائية الكونية، فكانت طرفية واحدة القوى الفعالة في المواد المنفعلة في أحدية جمعها الذاتية الطبيعية، كما أشار رسول الله ﷺ إلى ذلك بقوله: «**أول ما خلق الله الدرة البيضاء**»[1] وهي حقيقة الجسم الكلي على أحد معينها، وذلك أن هوية المادة الهيولانية لما قبلت الكمية والكيفية عمت جوهر واحدًا جمليًّا، واندمجت جميع الصور الجسمانية، وأحاطت به التجليات الأسمائية، فطرحت ماء فاستوى عرش الحياة على ذلك الماء قبل وجود الأرض والسماء، فألحت فيه وطرحت عليه أشعتها الأنوار والأضواء، فنتجت جواهر الماء على صورة الهوى، فصعد بخار عمائي إحاطي أحدي جمع ما اتصل بنور التجلي البسيط المتجلي المحيط، فصار بتلك محيطًا ووحدانيًّا بسيطًا، وذلك في أقصى باقي قوة الجواهر من الصعود، ووجدت بالنور الرحماني والمستولي عليه بالرحمة والوجود.

فتكون منه الفلك الأعظم وفيه ذلك العرش، ويسمى هذا الفلك فلك الأفلاك، وهو السرّ الواحداني الإحاطي النوراني جوهر الذي فيه مستوى

(1) ذكره بعض السادة الصوفية في كتبهم، وهي العقل الأول والحقيقة المحمدية.

رحماني على واحدة أحدية جمعية بين حقائق أربع هي خامسها، وذلك قبل وجود القضاء ذي التنافي والتقاصي، وإحاطة هذا العرش من إحاطة المستوى عليه، فإنه قد أحاط بكل شيء رحمةً وعلمًا، وهي نفس الرحمان عليه بالكلمة في العرش من إحاطة نفس الرحمان واحدة، وهو الأمر الإلهي لاتحاد الكائنات.



فصل
في المسألة العرشية

قال خاتم الولاية المحمدية الخاصة ﷺ: واعلم أن لهذا العرش قوائم نورانية أشهدتها، ونورها نسبة الفرق، ومع هذا رأيت ظلاً فيه من وجه قدرها؛ وذلك الظل ظل مقر، ذلك العرش لا يكون بحجب نور الرحمن، وفي جوف العرش ذلك الكرسي كحلقة ملقاة في أرض فلاة، ومن هذا الكرسي تقسم الكلمة إلى: حكم، وخبر، وهو للقدمين الواردين في الحديث، كالعرش لاستواء الرحمان، وله ملائكة قائمون به، لا يعرفون إلا الرب تعالى، وهذا الرب بوجه الاسم المعني في تجليه، فوجد فلك الأفلاك، وإليه الفلك الأطلس متمايز الأجزاء، وكم هذه الرموز والمناطق والمعاني التي لا يفهمها ولا يعلمها إلا العالمون من المؤمنين ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [النور: 37].

﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرعد: 28].

افهم أيها العارف نفسه انظر وافهم قوله: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّاهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝٣﴾ [الحديد: 3] وهو الهادي والمضل اللطيف والشديد والقهار والمنتقم وغير ذلك، وهي أحدية جمع جميع الأسماء والمسمى التي تقتضي لكمال الاقتدار، كما يعرف الأعمى نور ظهور أنوار القدرة وكمال القدرة، والجمع بين المتنافيات والمتنافرات والمتشاكلات من وجه وجوده لا يكون خارجًا عن حكمه، ولا شيء يشبهه ولا شيء يناقضه.



فصل
في حقيقة الحقائق

افهم حقيقة الحقائق الظاهرة بالإنسان الكامل الحقيقي الواحد الأزلي الأبدي المسمى بالاسم الله خاصة، وهو الاسم الأعظم لذات الله الدال على أحدية جمع الجمع الكمالات الذاتية مسمى الله تعالى خاصة، وهو الاسم الأعظم من حيث إنه متعين بالحقيقة الإنسانية، الكمالية الذاتية استغرقت جميع الذوات الموجودة، والنسب العدمية، المفقودة والأفعال، والإطلاق، والنعوت، والصفات المذمومة، بحيث لا يخرج شيء أصلاً عن حيطة ولا سبق لمتوهم، وهو أن يسمى الله بتلك الصورة، وهي التي تستغرق جميع الصور المعنوية العينية الأسمائية الفعلية المؤثرة، والعينية الكونية والمظهرية في جميع الصور الروحانية العلية النفسية، وجميع الصور المثالية الجبروتية البرزخية، واللطيفة الفلكية والعنصرية والسماوية والأرضية، وصور نسب الإضافة العدمية، فإن العالم بكماله وتمامه صورة تفضيل هذه الصورة الإنسانية الكمالية الجمعية الذاتية.

فافهم إنَّ هذا العلم اللدني الذوقي لا يعلمه ويفهمه إلا من وفقه الله تعالى لباب هدايته بأمر الشيخ المتولي مما هو شيخ القرب بنسب، أو هو والده فلا له فيه مدخل، بل يوجب على المخلصين المحو الكلي من غير عقوق؛ لأن هذا الكامل المربي أب الروح وذلك ابن الجنة والنطفة، فيستخرج الشيخ الكامل عنصراً للسرِّ له من الإكسير، فثبت وصح عند أهل الكملاء ذلك.

وثبت عند الجمهور والأكابر ليس هو كالشيخ الذي يوصلك إلى الله في هذا العالم لمن علمه، إنما الشيخ الذي يوصلك إلى الله في يومه بنظرة واحدة، فكان له اللقاح والنجاح، فيكون سفره إلى طريقة الله في طي المعنى ما هي بالرياء ضاق، فنظر الشيخ الكامل ينظر إلى قلب المقبل فيتشوف فيه، فيخرج ما كان فيه من الهوى والحظوظ والسِّوى، فلا يكون عما قليل إلا وقد أوصله إليه بامتثاله والفناء فيه، فلا شيء دق أو جل غيره.

افهم.. إنما هي ربوبية تولت عبودية، وإذا رأيت إظهار البشرية والأجسام، فاعدل إلى رؤية المعاني، ستكسب السعادة بنظره على ما أثبتنا له مراد الله وقد يتوجه إلينا البدوي الغافل الحائم على حب الدنيا والغفلة، فلما أحدقوا إليه بنظرة فكانت له السعادة ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الجمعة: 4].

﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ﴾ [البقرة: 105] من عباده، ويكون لقاحه ونجاحه من غير سبب ولا واسطة، بل يسري إليه المعنى سراية لطيفة.



فصل
في سر الأحدية

وكلامنا هذا أخرجناه على ميزان العدل وبينه الوضوح، قال الله تعالى جل وعلا: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: 80] وقال ﷺ: «**هذه يد الله**»(1) وأشار إلى يده ﷺ.

وقال في نص القرآن: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: 17] فافهم هذا النفي وإسناده إليه وافهم الحديث النبوي عن رسول الله ﷺ: «**مازال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه ويده ورجله وسائر قواه**»(2).

وافهم.. فإذا ظهر الحق في العبد كان الله ولا شيء معه أصلاً ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [غافر: 16] وافهم جدًّا لا هزلاً، فكان العبد سمعه الحق، وبصره الحق، وسائر قواه كما قال ﷺ كذلك هو الرامي حقيقة في إذا رميت قيد الله به الحق، والحق هو الرامي لنفسه والرمي عن محمد في قوله: ﴿وَمَا رَمَيْتَ﴾ [الأنفال: 17] وإثباته الرمي للحق ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: 17].

والثاني: قرب النوافل، وهو كون الحق بوجوده محمولاً في آنية العبد وهوية له، فهو «**سمع العبد وبصره ولسانه ويده وسائر قواه**» الحديث الصحيح المثبت في المقامين، فمن ذكرهما فتذكر -والله أعلم- فيظهر على هذا العلم المعتبر عند معتبرها، ومن لم يشهدها كذلك فقد حجابات الأشياء، ولم يرَ الحق الموجود والمشهود فعمى عن الحق، فإذا أخبر بخلاف مدركه لم يسمع فهو الصم، وليس له أن ينطق بالحق عن الحق فافهم قوله: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا

---

(1) أخرجه النسائي (3611).

(2) أخرجه البخاري (6137)، وابن حبان (347)، والبيهقي (20769)، وأبو نعيم في «الحلية» (1/ 4).

يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ﴾ [الأعراف: 179] فافهم.

وكان الصديق أبو بكر الصديق رضي الله عنه إذا سئل عن علم فيقول في جوابه: «الله ورسوله أعلم» فهو رضي الله عنه من خوفه من الله ما وسع الجواب ولا وسع حسن الظن فيه أنه لا يفوته جواب ذلك، ويقول: انقطع الوحي بعد انتقال سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

قوله في الغار: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفْلَىٰۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَاۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: 40].



فصل
في منَّة التصريف

ومن المنَّة والعطية الكبرى أن الله قد مَنَّ على كذا أو كذا سنة بإعطاء التصريف، فأخذنا الذي يليق ونُحمد عند الله، وتركنا غيره اختيارًا منا لكمال المعرفة، فإن المعرفة تقتضي حكم الاختيارات، ومنذ أربعين سنة ما اخترنا إلا ما اختاره لنا، وصبرنا على ما أمر به الرسول محمد ﷺ قوله: ﴿فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ۝٥﴾ [المعارج: 5].

﴿وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ [النحل: 127].

وافهم في الرسول محمد ﷺ فكان لا يبالغ في إظهار الحجة ﴿قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ۝١٤٩﴾ [الأنعام: 149] وكان يطلب بالظاهر مع شفقته على قومه، فيقول: «**اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون**»[1] فكان لا يبلغ في ظهور الحجة شفقة عليهم ورأفة بهم والتخلق لهم، ولا يؤمن إلا من أنار الله قلبه بالإيمان بالحقيقة والرسل -عليهم الصلاة والسلام- من قبله يكون منهم على أممهم ما كان في القرآن العظيم: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ﴾ [الأنعام: 38].

وما صح في أكمل الرسل، وأعلم الخلق وأكملهم في الحال ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [القصص: 56] ولو كان للهمة امرؤ لابدَّ لم يكن أحد أكمل من رسول الله ﷺ ولا أعلى ولا أقوى همة منه، وما ذُكر في إسلام أبي طالب عمه، وفيه نزلت الآية التي ذكرناها، وكذلك قال: ﴿مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ﴾ [المائدة: 99].

وقال: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [البقرة: 272] وزاد في سورة القصص: ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [القصص: 56] أي: الذين أعطوا العلم بهذا الاسم في حلل عدمهم بأعيانهم الثابتة، باعتبار العلم تابع للمعلوم،

(1) سيأتي تخريجه.

انظر إلى السابقة بعلم المهتدين أن من كان مؤمنًا في بيوت وحال عدمه فظهر بتلك الصورة في حال وجوده، وقد علم الله بذلك منه أنه هكذا يكون قوله: ﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾﴾ [ق: 29] ﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [النحل: 118].

وافهم سرّ القدر ﴿لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: 37].

﴿قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ﴾ [الأنعام: 149] والحمد لله أولاً وآخرًا ظاهرًا وباطنًا في بيان الآيتين.

❊ ❊ ❊

فصل
في الأمر الإلهي

وسنذكر في الذوق المحمدي -إن شاء الله تعالى- بترتيب الرضا والغضب الإلهي عليه، فلابدَّ أن يترتب على حكم القديم الذي يقضي إلى حكم القابلية، والاستعداد للكمال والسعادة، انظر إلى تجلي قبول الرحمة، والفيض، والعناية، والإتيان بالأعمال والأخلاق، والعلوم بالأحوال المقتضية للسعادة وخصوص قابليته، ويترتب على ذلك الرضا من الله، وأما تقابل الأسماء بسرِّ القدر فكان أعيانًا معينة تقتضي بحقائقها، واستعداداتها الذاتية بعين الوجود الحق، فهذه لطيفة، لله الحمد والشكر على ما أولانا من المعرفة به.

وتحقيق حق اليقين وعين اليقين فتعين في هذه المرتبة العالية مع اللبس من خلع الرضا منه، فلم يكن معنًا إلا زيادة في طي كل شيء وفي الخمول والفناء الحسي، فزالت عنّا الإشكالات من أول سلوكنا، فكنا مع الله في الحركات والسكنات والخطرات والإرادات ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: 88].

وقوله: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [الرحمن: 26ـ27] فلا تزال في طي كشفي التجليات ومظهرنا مغانم للمؤمنين، وكنا نبشر المؤمنين ﴿وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً﴾ [الفتح: 20] وما يقدرون عليها إلا من فيض الفضل والجود.

قوله: ﴿وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ [الفتح: 20] وحصلت لهم الهداية إلى الصراط المستقيم ﴿رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [آل عمران: 53] اللهم اهدنا فيمن هديت، وكان ﷺ إذا قدم إليه الزاد قال: «**اللهم بارك لنا فيه وأطعمنا خيرًا منه**»[1].

(1) أخرجه أحمد (1978)، وابن سعد (1/ 397)، والترمذي (3455) وقال: حسن لا يصح، وابن ماجه (3322).

فمن أعطاه الله ما أعطاه بسؤالٍ عن أمرٍ إلهي، فإن الله لا يحاسبه به في الدار الآخرة، ومن أعطاه الله ما أعطاه بسؤال عن غير أمر إلهي، فالأمر فيه إلى الله إن شاء حاسبه، وإن شاء لم يحاسبه، ونرجو في العلم خاصة أنه لا يحاسبه به، فإن أمره لنبيه بطلب الزيادة في العلم حتى أمره لأمته فإن الله يقول: ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ﴾ [الأحزاب: 21] فأي أسوة أعظم من هذا لمن فهم وعقل.



فصل
في النسبة بين العبد والرب

وافهم أيها الطالب المخلص أن محمدًا ﷺ هو النسبة التي بين العبد والرب، فآدم من دونه استحق للاتصاف بالصفات الإلهية؛ لكونه نسخة من محمد ﷺ فينبغي لك أيها العبد أن تعرف أولاً: صحة النسبة التي بين الله وبينك، ثم ينبغي لك ثانيًا: أن تعين بالله من اتصافه الكمال، وما استحقه من قدس الكبير المتعال، ثم ينبغي لك ثالثًا: أن تعرف اتصاف محمد ﷺ بتلك الأسماء والصفات الإلهية حتى يسلك فيها طريقه القويم وصراطه المستقيم والحق تعالى يقول: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ﴾ [التوبة: 128].

﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: 21] وإنك محتاج إلى سلوك معرفة نفسك.

وافهم ما أقول لك به في معرفة أن محمدًا ﷺ هو النسبة التي بين الله وبين عبده، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأنبياء: 107] هي الرحمة التي عمت الوجود جميعه ﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [الأعراف: 156] هو محمد ﷺ هو الواسع لكل ما يطلق عليه اسم الشيئية على الأنوار الخفية والأنوار الخلفية، فأخَّر ذكره في آخر الآية قال: ﴿...فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ﴾ [الأعراف: 156ـ157] تنبيهًا على أنه من اتبع محمدًا ﷺ في طريقه المخصوص دون سائر الأنبياء فسوف يلحق بمقامه المحمدي هو معنى قوله: ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [الأعراف: 156] أي: يصيرون بالرحمة، فالرحمة رحمتان: رحمة خاصة ورحمة عامة:

فالرحمة الخاصة: هي التي يتدارك الله بها عباده في أوقات مخصوصة.

والرحمة العامة: هي حقيقة محمد ﷺ فكان مظهر الوجود الكمل، أول ما خلق الله روح محمد ﷺ كما ورد في حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه فيرحم الله

بالموجودات الكونية فيخلقها على نسخته العظيمة؛ ولذلك سبقت رحمة الله غضبه(1) لأن العالم كله من نسخة الحبيب، والحبيب مرحوم، فحكم الرحمة في الوجود لازم، وحكم الغضب عارض؛ لأن الرحمة من صفات الذات، والعدل فعل.

وفرق كثير بين صفات الذات وصفات الفعل؛ ولذلك يسمى بالرحمن الرحيم، ولم يسمَّى بالغضبان ولا بالمغضوب، وجاز أن يقول: إن الله لم يزل رحمانًا رحيمًا، ولم يجز أن يقول: إن الله غضبانًا ولا غضوبًا على الإطلاق، وسرّ ذلك كله سبقت الرحمة الغضب؛ لكون الوجود للحبيب كالمرآة للصورة، أو

---

(1) قال الشيخ أبو بكر: «وذكر ﷺ عن الحق: «**إن رحمتي سبقت غضبي**» ومن هنا: الذي حكم عليه المتأخر حكم عليه المتقدم، فنالته الرحمة إذا لم يكن غيرها سابق، فهذا معنى سبقت رحمته غضبه، وهي الغاية والكل سالك إلى الغاية، فلابد من الوصول إلى الرحمة، ومقاومة الغضب فيكون لها في كل واصل لها بحسب ما يعطيه الواصل إليها، قوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ﴾ [الكهف: 58] فصح النعيم لأهله سابقة السعادة، وصح العذاب النار للأشقياء من خلقة، قوله تعالى: ﴿أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر: 46] لأن قلوب الكفار الأشقياء أشد قساوة من الحجارة والحديد؛ لأن الحديد تلينه النار، وتعمل فيه مثل الدروع، وغير ذلك من المنافع لبني آدم في هذه الدار، وتلزمك الشفقة والرأفة على عباد الله، قوله تعالى: ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [الأنفال: 61] فوجب من هنا القصاص على مقتضى الشريعة المحمدية، وهي الحضرة المقدسة الأحدية الواحدية، فكل علم، وسرّ نتج منها، قوله تعالى: ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ﴾ [هود: 123] حقيقة وكشفًا فاعبده، وتوكل عليه، والمعنى في الأول، والظاهر بتعين الأحكام الظاهرة، والأحوال والباطن بالتدبير ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: 3] ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [سبأ: 47] وكتاب مسطور جليًّا تقرأه هذه الأمة المحمدية؛ ليعلم ﷺ علم الأولين والآخرين، وأيوب ـ على نبينا وعليه السلام ـ مع دعائه في رفع الضر عنه، حيث قال: ﴿۞ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [الأنبياء: 83] فحقت له الإجابة، وكشف الضر، والبلاغة لا يقدح في صبره، وإنه صابر، حيث قال تعالى: ﴿نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [ص: 30] أي: رجّاع إلى الله في لذة بلائه، نص القرآن واصبر صبرًا جميلاً: ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ﴿٦﴾ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا ﴿٧﴾﴾ [المعارج: 6ـ 7] الصابرون هم في أعلى مجلس من مجالس الحضرة المقدسة الأحدية، ولا يشهده، ولا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار بلطفه، وسريانه في أعيان الأشياء، وهو اللطيف الخبير، والذوق والتجلي في الحديث الصحيح: «**فإن لم تكن تراه فإنه يراك**» هو مقام الإحسان، فلا نعبره إلا بذلك، إن فهمت، وعلى الله قصد السبيل».

كالصفة للذات، أو كالبعض بالنسبة إلى الكل، فعمت الرحمة جميع الموجودات نسبته ﷺ فخاطبت جميع الكائنات جميعها: يا محمد، فجميع ما هو للحبيب حبيب، والحديث: «**كنت كنزًا مخفيًّا**»[1] وتجلى عليه الحق، ونسخ فيه جميع الأمم، وكان الشاهد لهم والشاهد عليهم ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: 38].

وقوله: ﴿لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: 143] وقال في حقه ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: 52] ومن ذلك اسمه الداعي سمى به محمداً ﷺ قال الله تعالى في حق نفسه: ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ﴾ [يونس: 25] وقال في حق محمد ﷺ: ﴿وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ﴾ [الأحزاب: 46] وقد سماه الله بذلك كله، ومن ذلك اسمه العزيز قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ﴾ [التوبة: 128].

وقال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ﴾ [المنافقون: 8] مخاطبًا له ﴿يسٓ ۝١﴾ [يس: 1] يعني: يا إنسان ﴿وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٣ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٤ تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ۝٥﴾ [يس: 2: 5] فتنزيل: خبر تأويل اسمه إنك، وحقيقة معناه إن الله أقسم بالقرآن أن محمدًا ﷺ تنزيل العزيز؛ يعني: إن الهيكل المحمدي تَنزّل إلهي للحقيقة المحمدية التي هي حضرة الجمع والوجود فافهم.

❊ ❊ ❊

(1) سيأتي تخريجه.

فصل
في فردانيته

وافهم في الدلائل الثابتة بالحديث على انفراده ﷺ أنه قال: «**إن الله قسم الخلق قسمين فجعلني من خيرهما قسمًا**»(1) قوله: ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ﴾ [الواقعة: 27].

﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ﴾ [الواقعة: 41] فأنا من أصحاب اليمين، وأنا خير أصحاب اليمين، ثم جعل القسمة أثلاثًا فجعلني من خيرهم ثلثًا وذلك قوله: ﴿فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ۝٨ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ۝٩ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝١٠﴾ [الواقعة: 8: 10] فأنا من السابقين، وأنا خير السابقين.

ثم جعلهم قبائل فجعلني من خيرهم قبيلة، قوله: ﴿وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟﴾ [الحجرات: 13] فأنا أتقى ولد آدم وأكرمهم على الله ولا فخر.

ثم جعل القبائل بيوتًا فجعلني في خيرهم بيتًا فذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: 33] وعن أُبي رضي الله عنه قال: قلت له متى وحيت لك النبوة قال: «**وآدم بين الروح والجسد**»(2).

وفي حديث أنس «**أنا أكرم ولد آدم على ربي ولا فخر**»(3).

وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما: «**أنا أكرم الأولين والآخرين ولا فخر**»(4).

وعن عائشة -رضي الله عنها- عنه ﷺ قال: «**أتاني جبريل فقال: قلبت مشارق الأرض ومغاربها فلم أرَ رجلاً أفضل من محمد ﷺ ولم أرَ بني أب أفضل من**

---

(1) أخرجه الحكيم (1/ 330)، والطبراني (2674) قال الهيثمي (8/ 215): فيه يحيى بن عبد الحميد الحماني، وعباية بن ربعي، وكلاهما ضعيف. والبيهقي في «الدلائل» (1/ 170) وأورده ابن أبي حاتم في «العلل» (2693) وقال: قال أبي: هذا حديث باطل.

(2) سيأتي تخريجه.

(3) أخرجه الدارمي (48)، والترمذي (3610).

(4) ذكره عياض في «الشفا» (1/ 430)، وأخرجه الدارمي (1/ 26) بنحوه.

بني هاشم»[1].

وعن أنس ﷺ «**أن النبي ﷺ أتى بالبراق ليلة أُسري به فاستصعب عليه فقال جبريل** ﷺ: أبمحمد تفعل هكذا؟ فما ركبك أحد أكرم على الله منه فَارْفَضَّ عرقًا»[2] فإن معاجزه لا تعد ولا تحصى، وانظر إن آدم عند معصيته قال: «**اللهم بحق محمد اغفر لي خطيئتي**».

وفي رواية أن الله تعالى قال: «**يا آدم من أين عرفت محمد ﷺ فقال: لما خلقتني رفعت رأسي إلى عرشك فإذا فيه مكتوب لا إلٰه إلا الله محمد رسول الله ﷺ فعلمت أنه ليس أحد أعظم عندك قدرًا ممن جعلت اسمه مع اسمك، فأوحى الله إليه وعزتي وجلالي إنه لآخر النبيين من ذريتك، ولولاه ما خلقتك ولا قبلت توبتك**»[3] فهو ﷺ أصل العوالم كلها على ما وسعها، وقامت به جميع ما يحتاج إليه العالم، وهذا المعنى لا يمكن إلا بالقدرة التامة والصفات الإلهية جميعها، وله كل الأسماء يتصرف بها في العالم بحسب استعدادهم.



---

(1) ذكره عياض في «الشفا» (1/ 166).

(2) أخرجه أحمد (13008) والترمذي (3131) وابن حبان (46) والبيهقي في «دلائل النبوة» (655).

(3) أخرجه الطبراني في الصغير (992).

فصل
النُّورية والبشرية

ولما كانت هذه الحقيقة مشتملة على الجهتين الإلهية والعبودية، فلا تصح لها ذلك أصالة بل تبعية ببقاء الخلافة، فلها الإحياء والإماتة، واللطف والقهر، والرضا والسخط، وجميع الصفات لتتصرف في نفسها وفي بشريتها، وخذ من قوله جل وعلا: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَاْ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾ [فصلت: 6].

وقوله: ﴿وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: 62].

وقوله: ﴿۞ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾﴾ [يوسف: 101] وفي ما نطق به سليمان عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيٓ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾ [ص: 35] لتتصرف في العالم، فله الإحياء والإماتة، واللطف والقهر، والرضا والسخط، وجميع الصفات ليتصرف في العالم وفي بشريته أيضًا؛ لأنها منه، وبكاؤه ﷺ وضجره لا ينافي ما ذكرناه؛ لأنها بعض مقتضيات ذاته وصفاته ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [يونس: 61] وهو من حيث مرتبته، ولو كان أنه يقول: «**أنتم أعلم بأمور دنياكم**»[1] من حيث بشريته.

والحاصل أن ربوبيته للعالم بالصفات الإلهية التي له من حيث مرتبته وعجزه ومسكنته وجميع ما يلزمه من النقائص الإمكانية، ومن حيث بشريته الحاصلة من التقييد والتنزل إلى العالم الباطن فيصير مجمع البحرين ومظهر العالمين، فنزوله أيضًا كماله، كما أن عروجه إلى مقامه الأصلي كماله؛ فالنقائص أيضًا كمالات باعتبار آخر يفرقها، ويفهمها من كان له قلب منوَّر بالنور الإلهي.

---

(1) أخرجه مسلم (2363).

فصل
في الخلافة والقُطبية

ولما كانت هذه الخلافة واجبة من الله تعالى في العالم حكم ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِ حِجَابٍ﴾ [الشورى: 51] وصح وجوب الخلافة في كل زمان من الأزمنة؛ ليحصل لهم الاستئناس، ويتحقق بالكمال اللائق له من كل الناس، وقال: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ۝٩﴾ [الأنعام: 9] لأن حقيقة ظهورها قبل لا يكون ممكنًا، فظهرت الحقيقة بصورة خاصة كل منها على مرتبة أهل ذلك الزمان قوله: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [النور: 55].

وافهم لتكون عين الحقيقة المحمدية الجامعة للأنبياء لظهور كل منهم ببعض الأسماء والصفات، وإذا اعتبرت حقيقتهم وكونهم راجعين إلى الحضرة الواحدية أحكام الوحدة عليك حَكمْت باتحادهم ووحدة ما جاءوا به من الدين الإلهي كما قال: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾ [البقرة: 285] فالقطب الذي عليه مدار أحكام العالم، وهو مركز دائرة الوجود من الأزل إلى الأبد واحد باعتبار حكم الوحدة، وهو الحقيقة المحمدية ﷺ باعتبار الكثرة بالتقييد، وقبل انقطاع النبوة قد يكون بالمرتبة القطبية نبيًّا ظاهرًا كإبراهيم عليه السلام وقد يكون خفيًّا كالخضر عليه السلام في زمن موسى عليه السلام قبل تحققه بمقام القطبية، وهذا عند انقطاع النبوة نبوة التشريع بإتمام دائرتها وظهور الولاية من الباطن، انتقلت القطبية إلى الأولياء مطلقًا فلا يزال في هذه المرتبة واحد منهم في هذا المقام ليحفظ به هذا الترتيب والنظام قال: ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ [الرعد: 7].

وقوله: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: 24] إلا أن تختم بظهور خاتم الأولياء وهو الخاتم للولاية المحمدية، فإذا كملت الدائرة أيضًا وجبت قيام الساعة باقتضاء الاسم الباطن، والمتولد من الظاهر والباطن هو الحد الفاصل بينهما ظهور كمالاته وأحكامه، فيصير كل ما كان صورة أتى يظهر ما هو مستور

في الباطن من هيئات النفس على صورتها الحقيقية، فتظهر سورة الجنة والنار والحشر والنشر على ما أخبر به الأنبياء -صلوات الله عليهم أجمعين- وما هو أعظم دليل وكتاب مبين.

وقوله: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾ [آل عمران: 7].

وقوله: ﴿فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى﴾ [طه: 7].

﴿وَقُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ [الإسراء: 85].

وقوله: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ﴾ [ق: 37] أو كلمة من الله في عيسى، وقوله في محمد ﷺ: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾﴾ [النجم: 11].

و﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾﴾ [الشرح: 1].

﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾﴾ [الشمس: 7] وفي الحديث الصحيح: «**إن روح القدس نفث في روعي إن نفسًا لن تموت حتى تستكمل رزقها**»[1][2].

* * *

(1) أخرجه ابن أبي شيبة (34332)، وهناد في «الزهد» (494)، والدارقطني في «العلل» (875)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (10376).

(2) روح القدس: هي اللطيفة التي يقيمها الحق في الهيكل العبدي، حال طمس النور العبدي، وفناء الروح الخلقي، من غير حلول من ذاته لطيفة غير منفصلة عنه، ولا متصلة بالعبد عوضا عما سلبه منه. وروح القدس عند ابن عربي: هي الحقيقة الإسرافيلية التي تظهر على هياكل المحققين؛ لتقديس أرواحهم من نقائص أحكام البشرية وغيرها.

فصل
ظهور وغلبة النور القلبي

ولما ظهر وغلب النور القلبي وظهر سلطانه على القوى الحيوانية واطمأنت النفس وتسمى مطمئنة ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرعد: 28].

قال الله تعالى: ﴿بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [ق: 15] ويكون باختفائه كاختفاء الكواكب عند ظهور الشمس، وجعل هنا تستر وجه العبودية بوجه الربوبية، فيكون الرب ظاهرًا والعبد مختفيًا، وقد كنا هكذا، ولا يزال في مرتبة الفناء الكلي والتواضع لله خالص في المشاهد المعنوية وفي مظهر التجليات الرحمانية فنادى منادٍ: ﴿يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ﴾ [الأحقاف: 31] ليكون حينئذ الحق سمعه وبصره كما صح ونطق به في الحديث الصحيح.

فلما برز لنا من غزير الأنوار فكنا نكابدها غيرة على السرّ بالاختفاء من لطفه الحقي، والعلم بكيفيته على ما هو عليه مختصًّا بالله لا يمكن أن يطلع إلا من شاء من عباده الكمل قال تعالى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾ [الأعراف: 143].

قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [العنكبوت: 43] وعلم منه كشفه ﷺ مبدأه الرؤيا الصادقة، وآخره ظهور الملك له، أو ما علمت أنه ﷺ كان يشهد الحق فيما يدرك وما يرى، ولا يغيب عن شهود الحق كما قال عليه السلام: «**اللهم إني أسألك لذة النظر إلى وجهك الكريم**»[1] فصرح بشهود وجهه تعالى، وإنه في شهوده غاب عن لذة ما شهد؛ لفنائه وحيرته الكبرى، فسأل الله اللذة فيما شهد، وهي تارة على مرتبة الشهود فافهم.

ولما طلب ﷺ الزيادة في اللبن انتقل إلى العلم وما ذكر في ذلك؛ لأن اللبن أول غذاء فطري نغذي به المولود الجسماني، والعلم الفطري أول غذاء تتغذى به

(1) ذكره الغزالي في «الإحياء» (2/ 122).

الروح؛ لهذا كانت الصورة للنسبة مظهر العلم، ثم إنه ﷺ كان إذا أوحي إليه أخذ عن المحسوسات المعتادة فيصحو ويغيب عن خاصة من عنده، فإذا سرى عنه أورد ما أدركه، وكذلك مظهر الملك على صورة رجل حتى وصل إلى صورته الحقيقة فقال: «**هذا جبريل أتاكم يعلمكم أمر دينكم**»[1] وقال لهم: ردوا على الرجل فسماه الرجل من أجل الصورة الذي ظهر لهم فيها، وقال: هذا جبريل، فإنه جبريل عليه السلام بلاشك ولا ريب، وقال يوسف عليه السلام: ﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ [يوسف: 4].



(1) أخرجه ابن حبان (173)، والدارقطني (2/ 282) وقال: صحيح أخرجه مسلم بهذا الإسناد.

فصل
العلم الوهبي

افهم من هذا العلم اللدني، وإياك أن تدخل في شيء من ذلك العلم وما نعرفه ﴿وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ﴾ [إبراهيم: 25] وهي للكمل ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [النور: 35].

﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ﴾ [الأحزاب: 4].

وقوله: ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ﴾ [هود: 123] حقيقة وكشفًا ﴿فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ [هود: 123] وهو حسبنا ونعم الوكيل ﴿نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾ [الأنفال: 40].

﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا﴾ [الطلاق: 3].

﴿۞ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾ [الملك: 1].

﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ [المؤمنون: 14].

وقوله: ﴿إِنَّ وَلِـِّۧىَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩٦﴾﴾ [الأعراف: 196].

فما بعد قول الله قول ولا بعد حديث الله حديث ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ ۖ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الأنعام: 149].

وقوله: ﴿وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ [الأعراف: 43] فكنا في مشاهد الفناء الكلي، ومشهد الحق وهو عين الحقيقة فهو الدليل والمدلول عليه والشاهد والمشهود فلا يفهمها ويستحقها إلا أهلها ﴿وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا﴾ [الفتح: 26].

﴿وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا﴾ [التوبة: 40] بإشراق نور الحقيقة فانقطعت الأسباب عند تجلي المسبب فهو اصطفاء محض ووجود صرف ليس للكسبية فيه مدخل بل هو مشهد قرب.

فصل
في الفيض الجودي والعيني

وافهم أن العلم الذاتي الأحدي وجميع الحقائق والأعيان الثابتة والعلم الإلهي الأزلي هي قوابل الفيض الجودي والعيني، وهي شؤون ذاتية وتجليات ذاتية من عين اختصاصية، ومعنويتها معانٍ مجردة في العلم الأزلي، وهو من الفيض الأقدس.

وافهم ﴿مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: 59] يعني: لا يكون علمها إلا للهوية المطلقة الكبرى التي هي للعبد بالوحدة الحقيقية، وهي من حضرتها الجلالية تقهر أعيان الأعيان وحقيقة السجود لآدم عليه السلام من الملائكة والصور، الجميع للإذعان والانقياد والطاعة، والدخول تحت حكم صاحب الجمعية بين اليدين، التي من قبضتهما عالم الأرواح اللطيفة وعالم الطبيعة الكثيفة، وإبليس في أحدهما.

ولكن حقيقة إبليس منافية لحقيقة آدم بالحقيقة والطبع؛ لأن حقيقة آدم عليه السلام صورة ظاهرية في جميع الجمعيات الإلهية والجمعيات الكونية، وإنما جمع الله بين اليدين؛ لأن العين الإنسانية التي هي حقيقته تقتضي الاعتدال وكمال الجمع بين التقيد والإطلاق والكثرة والوجد وعدم الانحصار في تعين جزئي، بخلاف حقيقة إبليس فإنها صورة الانحراف في التعين المجازي إلى الثانية الجزئية المقيدة بالاستعلاء والاستكبار، والظهور والعلو على حقيقة العين إذ بالتعين يكن تحجبه وتعلوا عليه، وهذه حقيقة تقتضي التفرقة البادية المفضلة على باقي العناصر.

وافهم السرّ الجزء الأعظم في نشأة الإنساني الماء ثم الأرض، وهما يعطيان بحقائقها وصورهما وقواهما وروحانيتهما اللين والإذعان، والطاعة والقبول، والانقياد والإيمان، والثبات والوقار، والتؤدة والسكينة، والخشوع والاستكانة والخضوع، والعلم والحلم والأناة وما يشاكل ذلك، والجزء الأعظم في نشأة إبليس والشياطين النار، وهي حقيقتها وصورتها وروحانيتها تعطي الاستعلاء

والاستكبار، والخفة والطيش، والفسوق والكبر، والخيلاء والتسلط، والكفر والجحود، والحقد والحسد، وهذه صورة الانحراف، وهم حجبوا عن وجه المحتجب، وافهم بعين الواحدة الذي بها قيام الكل وهو قيام الكل.



فصل
في صورة الخليفة

وقد أشرنا في هذا السرّ العظيم إلى الحقائق الوحدانية المقتضية بالذات لجمع جميع الحقائق الكونية؛ ولهذا صحت الخلافة؛ فالإنسان حامل الأمانة، وإن لم يظهر الخليفة بالصورة المشتملة في الرعايا لم يطيعوه، وكان قاصرًا عن درجة الخلافة، فلم يصلح لها ولم تصلح له، إذا لم يكن عنده ما تطلبه الرعايا، ولم يوصل ذلك إلى الجميع جمعًا وفرادى لم يكن خليفة.

وافهم ظهورها في الخليفة ظهورًا جمعيًّا أحديًّا كماليًّا، ليس هو كظهور كل منهما في كل من المظاهر، إذ ليس كلاً منهما من كل وجه أحدهما مما في غير الوجوب والإمكان، لا حرف ولا كلمة إلا وهي الإنسان الكامل، وأفضل وأكمل منه خارجًا عنه مع حصول فضائله بخصيصة به له، فافهم إن كنت ذا فهم، والله الملهم والهادي للصواب فما أكمل إنسان عرف قدره، وملك أمره، وكمل سره، ولم يتعد طوره، ولزم حيث كونه حقيقة الاعتدال.

وقوله: الرعايا إلى هذه الخلافة، وقع الخليفة من حيث كل حقيقة حقيقته من ذات الخليفة، ونشأته برزخ من حيث أحديته جميعها بين حقيقة ما منسوبة عليها، فلما وردها التجلي الإلهي على المظهر الكمالي الإنساني تلقاه بحقيقة الأحدية الجمعية الكمالية سرى سر التجلي في كل حقيقة من حقائق ذات الخليفة، ثم فاض نور التجلي منها على ما يناسبها من العالم، فما وصلت الآلاء والنعماء الواردة للتجلي الرحماني على حقائق العالم إلا بعد تعينه في الإنسان الكامل بحقائق العوالم، وأعيانها رعايا للملك الحقيقي المالك لهم، وعلى الخليفة رعاية رعاياه على الوجه الأنسب والأليق والأفضل، وفيه تفاضل الخلائق بعضهم على بعض، افهم والله ولي التوفيق وهو يهدي السبيل، كان الله ولا شيء معه هو الله الأحد الصمد الذي ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [الإخلاص: 3-4] من حيث ذاته العينية، معناه الإنتاج والإيجاد

ولا يقتضي الإظهار والإشهاد لأنه بالذات كامل أبد الآباد.

والهوية الكبرى المحيطة بالكل ولا له مثل ولا كفوًا من أحد فافهم والله أعلم ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: 76] ومن دلائل التنزيه في آية واحدة فقال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: 11].

﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾﴾ [غافر: 19].

ومصير الكل إلى الله الواحد القهار قوله: ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: 88].

قوله: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [الرحمن: 27] فاستترت الحجب والستور ويبقى وجه نور النور ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾ [لقمان: 22].



فصل
في النبوة والولاية

وافهم من حيث أشرنا إلى النبوة والرسالة يكونان بالاختصاص الإلهي، وليست بكسب ولا مجازاة عن عمل، أو ثواب عن سابق حسنة أو طاعة يكونان بنتيجة عنها، ولا لشكر بعبادة متوقعة منهم عليها، فإذا كانت كذلك فلا يحصل لأحد بعمل ولا كسب ولا همّ فيه، إن القائلين من أهل النظر الفكري بأيهما يحصلان لمن كملت علومه، وأعماله هي اختصاصيات إلهية، لم يطلب منهم عليها جزاءً ولا شكورًا، وإن وقع الشكر منهم دائمًا، وإن أتوا بالأعمال الصالحات في مقابلة ذلك، فليس ذلك مطلق بالقصد الأول من الاختصاص؛ لأنهم لا يطلبون بذلك عوضًا عن ذلك، كما قال رسول الله ﷺ حيث قام في الليالي حتى تورمت قدماه، فقيل في ذلك: أقصر فقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، فقال: «**أفلا أكون عبدًا شكورًا**»(1) وهذا لم يرد طلب الجزاء والشكر قوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [آل عمران: 101].

قوله: ﴿بَلْ هُوَ ءَايَـٰتٌۢ بَيِّنَـٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ [العنكبوت: 49].

وافهم الحكمة من علم الهداية ومراد الحكمة بموجب الشهود والعيان وحكمه من الغيب إلى الشهادة فهو ترجمان رسول الله ﷺ وعلى آله الطيبين الطاهرين، ومن يقف على العلم اللدني من أهل الله المتقين فيكون له مشرب من مشاربهم وأذواقهم، فيكون في درجة العارفين الكملاء الفضلاء بما يتجلى عليهم من الفيض والمعدن المحمدي الذي من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدًا -هذا العلم اللدني الذوقي- وعاد أغض منه تجليات عرفانية قوله: ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ [الأنعام: 124].

﴿قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَـٰلِغَةُ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾﴾ [الأنعام: 149].

---

(1) سيأتي تخريجه.

﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ﴾ [المؤمنون: 14].

قوله: ﴿إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡكِتَٰبَۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ١٩٦﴾ [الأعراف: 196] والحديث ذكر فيه هذا العلم، وإن طائفة من أهل العلم يؤخذون به من عنوان الظاهر ولا لهم في عنوان المعنى والباطن شيء، فهم المغرورون من هذه الأمة.



فصل
في حقيقة العلم اللدني الوهبي

ونحن نقول -والله أعلم- وعلمنا من قوله: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكهف: 65] وهم أخذوا العلم ميتًا عن ميت، تؤتيهم حظوظهم، فأخذهم الميل إلى الجاه والمنزلة عند الناس، نسأل الله العافية: ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: 167] فما خادعوا إلا نفوسهم، وهم علماء الرسوم ونقلة الأحكام فقط، والعلم قوله: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: 28].

وقوله: ﴿وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت: 43] وإنا أخذنا، والله قسم علمنا من الله الحي الذي لا يموت، فاعلم ذلك يا حامل الأسفار كناية الحق فقال: ﴿كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارً﴾ [الجمعة: 5].

وقوله: ﴿مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكهف: 65] اللهم ارزقنا العلم اللدني، والمشرب الصافي الهني شراب أهل الذوق والشوق، فهو شرابًا طهورًا، ومناطقنا قولاً من رب رحيم، ولا يقبل هذا العلم إلا إذا كان عالمًا عامرًا قلبه زاهدًا في الناس وفي الدنيا، وأخذ في الحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ: «**ازهد في الدنيا يحبك الله، وازهد فيما في أيدي الناس يحبك الناس**»[1] حديث حسن من الأربعين.

ولما شهدنا عين النصيحة لمن توجه ورمق طريقة الكتاب والسنة فهو من العلماء الصادقين، وفي الحديث الصحيح «**علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل**»[2] أتى بكاف التشبيه، والروايتان صحيحتان، فالآخذون عن أرواح الرسل من

---

(1) أخرجه ابن ماجه (4102)، قال البوصيري (4/ 210): هذا إسناد ضعيف، والطبراني (5972)، والحاكم (7873) وقال: صحيح الإسناد، والبيهقي في «شعب الإيمان» (10522) وقال: خالد بن عمرو هذا ضعيف. والقضاعي (643)، وابن الجوزي في «العلل المتناهية» (1352).

(2) ذكره العجلوني في «كشف الخفا» (1744).

كونهم ليست علومهم وأحوالهم ومقاماتهم جمعية محيطة، والآخذون علومهم عن الله كما قال: «**لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك**»[1] وأبي

(1) قال سيدي عبد الكريم الجيلي: والخُلق هو: الوصف، والأوصاف العظيمة هي أوصاف الله تعالى.
وسئلت عائشة ـ رضي الله عنها ـ عن أخلاقه؟ فقالت: «**كان خُلقه القرآن**» إشارة إلى حقيقة التحقق بالكمالات الإلهية؛ لأن القرآن إنما هو عبارة عن كمالات الله تعالى، وأيضًا القرآن كلام الله، والكلام صفة المتكلم، وهو خلق محمد ﷺ؛ يعني: وصفه، فهو متصف بأوصاف الله تعالى جميعها، ظاهرها وباطنها، وهو المعطي لكل منها حقها كما يعطي الموصوف صفاته حقها. فإنه ﷺ كان جامعًا لمحاسن الأخلاق، حاويًا لها على الإطلاق؛ لأنه مفطور على كمال الأخلاق الضرورية، مجبول مخلوق على كمال الأخلاق الكسبية
فالأخلاق الضرورية: منها ما هو ضروري محض ليس للمرء فيه اختيار، فقد كان كامل الأخلاق الضرورية المخلوقة عليها ذاته في جبلته ﷺ مثل: قوة عقله، وزيادة حظه من الإدراك القلبي، وصحة قياسه الفكري، وصدق ظنونه، وصحة فهمه، وفصاحة لسانه، وحلاوة منطقه، وقوة حواسه وأعضائه، واعتدال حركاته الضرورية. والأخلاق الضرورية الممازجة بالكسب، مثل: غذائه، ونومه، ويقظته، وملبسه، ومسكنه، ومنكحه، وماله، ومعاملته للناس، وأمثال ذلك، فقد وردت الأحاديث الصريحة الصحيحة بكماله في جميع ذلك حتى تواترت الأخبار بأنه كان من ذلك على أجمل حالة وأحسن حلية، فهو الغاية القصوى في كمال هذه الأوصاف الضرورية.
وأما المكتسبة: فإنها إنما كانت فيه جبلية فطر عليها، وما جعلناها مكتسبة إلا باعتبارها من حيثها؛ فإنها قد يكتسبها المرء وأما هو ﷺ فإن جميع أوصافه كلها أوصاف جبلية فطر عليها، لم يتصف يومًا من الدهر بنقيض كمالها، ولم يتخلق بضد حسنها وجمالها، بل كان حاويًا بالطبع لجميع الأوصاف المحمودة عقلاً وشرعًا، كالعلم، والحلم، والصبر، والسكون، والعدل، والزهد، والرضا، والتواضع، والعفو، والعفة، والجود، والشجاعة، والحياء، والمروءة، والصمت، والصدق، والوفاء بالوعد، وعرض الحسب، وطول الجاه، والمودة، والوقار، والرحمة، وحسن الأدب والمعاشرة، والهداية للخلق، وحب الخير لكل أحد، وإعطاء الحكمة حقها في سائر أموره كلها... وكثير من كريم أخلاقه لم يتفطن لها أهل العلوم، وهي مذكورة عندهم في الكتب بالأسانيد الصحيحة عن ثقات الرواة، وقد تحقق بمعرفتها الكُمَّل كشفًا وقد يعرف ذلك بطريق التتبع لأقواله وأفعاله وأحواله ونسبة بعضها مع بعض، وكيف يحصرها العلماء أو تحويها الكتب وهي من فوق الحصر، ووراء الغاية والنهاية. فمن تأمل في ذلك تيقن أن جميع هذه الكمالات إنما يكون لأكمل المخلوقات وحده؛ لأن كل نبي لابد له من جميع الكمالات البشرية على قدر مقامه عند الله، وكذلك جمع محمد ﷺ لها على قدر مقامه، ولا مقام أعلى من مقامه عند الله؛ لأنه القائل: «**آدَمُ وَمَنْ دُونَهُ تَحْتَ لِوَائِي وَلا فَخْرَ**» فله=

بكر ﵁ يقول: العجز عن درك الإدراك يكون عن الله في الصورة المحمدية هم كما أنه منا أقطاب المقامات وأكمل الكمل وراثة، أوسعهم إحاطة بالمقامات والعلوم والأحوال والمشاهدات، وهو خاتم الولاية المحمدية الخاصة في مقام الختمية، فولايته أكمل الوراثات والكمالات والسعة والجمع، وإحاطة علوم رسول الله ﷺ وأحواله ومقاماته وأخلاقه قوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾[1] [القلم: 4].



= من كل وصف وصف نهاية مما هو عليه مما تقتضيه مرتبة ذلك الوصف من الوجود، فشجاعته في نهايتها، وكرمه كذلك، وجميع أوصافه بالغة نهاية المراتب، فلا كشجاعته شجاعة، ولا كسخائه سخاء، ولا كأوصافه صفة لأحد؛ لأن كل أحد إنما يتصف بشيء من الصفات المحمودة على قدر قابلية نفسه، واتصافه إنما هو على قدر قابليته الذاتية، وكم بين قابلية محمد ﷺ وبين قَوابل العالم. [كتابنا: مصطلحات الجيلي ص 185].

(1) سيأتي تخريجه.

فصل
في مكاشفة العلوم اللدنية

فكنا نشهد من تلك المعاني والعلوم اللدنية يقظة ومنامًا ومطابقة في الجميع، حذف القذة بالقذة حتى أنه جرى معنا في الفيض الرباني، ومن المعدن المحمدي الرائق المختوم المفتوق إلى ما منَّ الله به علينا وعلى آل يعقوب ﴿إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ﴾ [هود: 73].

قوله تعالى: ﴿۞ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾﴾ [يوسف: 101]، المعنى في ذلك علوم جمة ودرجات متفاوتة، ليس هي على ظاهرها، بل هي على معنى عظيم، خذ منه ما ظهر لك على شريعة الرسول محمد ﷺ فكل علوم المرسلين والنبيين- عليهم أفضل الصلاة والسلام على الدوام- توالت الجميع إلى الحيطة الواحدية الختمية المحمدية قوله: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾﴾ [الأحزاب: 40].

فانظر أيها الطالب، وتوجه وانصت وافتح سمعك وبصرك إن كنت ذا سمع وبصر، اخرج عن نفسك وعلمك، وحسبك ونسبك ووجودك وتعالى إليّ نوصلك في أقل من ساعة من الأوقات بالمواهب والعطيات، فتشاهد الله في ذلك وينادي: ﴿يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ﴾ [الأحقاف: 31] ولا نزال نطالب المدبرين والصادين وأهل البين إلينا؛ ليفوزوا بالسعادة الأبدية وإثبات أقدامهم على الصراط المستقيم، فكنا نقول هلموا يا أهل الله الجميع إلى الله ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: 88].

﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [الرحمن: 26 ـ 27].

والطالب والمطلوب الشامل الجامع، والمظهر الكامل، والتجلي الشامل

عينًا من الظهور إلى الخمول والتواضع والسكينة؛ لأنا نعلم من الله من فيضه تفصيليًّا فرقانيًّا، ولكن المطلوب والقصد الأول هو كمال الجمال والاستحلال، بحيث لم يرَ ولم يوجد عندنا كمال الظهور في المظهر الأكمل، ولا يحصل المراد المطلوب من اتحاد العالم بقدر قابلية العالم بدون الإنسان الكامل، وافهم قوله: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾ [ص: 72] وهنا التسوية عبارة عن: حصول الغاية، وعبارة عن: التوجه النفسي الرحماني بالفيض الجودي والنور الوجودي.



فصل
في التجلي الدائم

وانظر الفيض التجلي الدائم إن كان الدائر مجردًا؛ فالتجلي بدل من الفيض بمعنى التجلي، فينال القبول فيض التجلي، وثبات التجلي من القول الثابت الحق، إنه عصمة المعتصم وهو حسبنا وكفى، والحمد لله دوامًا على فيض تواتر نعمه ظاهرة وباطنة فهي من السرِّ: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ﴾ [الزخرف: 59] دائمة سرمدية فلا تزال ولله الحمد والشكر من تنعم نعمه الفائضة من المعدن المحمدي ﷺ وعلى أهل بيته الطاهرين، وعلى أصحابه رضي الله عنهم أجمعين، وعلى من دخل طرقهم من الفضلاء التابعين.

وافهم لما تجلي في التعين بين المظهر والتعيين بفناء الظاهر والوجود الحق الباطن، والباطن عين الظاهر بالظاهر فيها والكل الغيبية، ثم دائمًا من الغيب إلى الشهادة، ومن الشهادة إلى الغيب، ومن العلم إلى العين، وإلى كل من العين والكل هو وما ثم إلا هو ﴿إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ [غافر: 3] كما قال الله تعالى، وكما أن صورة الرحمن مستوية على عرش الوجود، كذلك صورة الله مستوية على عرش قلب العبد المؤمن كشفًا وشهودًا وإيمانًا وصدقًا وحقًّا موجودًا، قال رسول الله ﷺ حكاية عن الله: «**ما وسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن**»(1).

وافهم العبد المؤمن هو القابل الكلي، والجامع الكوني الأولي، الذي تظهر به الأسماء والصفات، والذات تجلي تابع ما عليها من الكمال، يؤمن بقابلية الكلية المختصة، ويعطي الأمان صورة الذات والأسماء والصفات الظاهرة.

وافهم القابلية تعود إلى مقابلة الإنسان الكامل؛ لينال الفيض الأقدس في قبضة كل التعينات والكمالات.

وافهم وكما أن آدم عليه السلام كان أول صورة إنسانية وقوله: ﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن

(1) تقدم تخريجه.

سُلَٰلَةٖ مِّن مَّآءٖ مَّهِينٖ ﴿٨﴾ [السجدة: 8] فآدم صورة الإنسانية العنصرية، وافهم ما جرى في آدم وما كتب عليه من أكل الشجرة ليخرج من الجنة للكمال الإنساني، وكان آدم عليه السلام يعبد الله في الجنة عبادة التعريف، وهذه عبادة التكليف، فكان له ولذريته من خواصهم الكمال ولا هنا تعين.



فصل
في جمعية القرآن

وافهم القسم في القرآن: ﴿ۚ نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ١﴾ [القلم: 1] ولما ذكر قول الله نص القرآن في الختمية المحمدية، وذكره ذوق كل نبي بما يخص بالمقام الختمي المحمدي فصلوا ذلك عن غيره، وبعد التفصيل والتمييز -والله أعلم- فجمعوا بين الأول والآخر، والظاهر والباطن، والمقامات الختمية الأحمدية، وخصوص كل نبي من دون كل مقام؛ تنبيهًا لكم.

والفرق بين الأذواق والمقامات، وفضل الله واسع لجميع هذه الرحمة التي وسعتكم فوسعوا؛ يعني: أهل هذه العلوم والمقامات، والفروق التي بينها وبين التوحيد منَّوا به على الطالبين وعلومهم وأرشدوهم، ولا تمنعوا فعلاً وصفةً، بل اعلموا بالشيء الذي أمرت به، وأُنبئت بإخراجه، وإظهار ذلك انتفاع واتِّباع، وجعل العلم عن إنبائه فلا فائدة في كتمه وإخفائه، فلا أظهرنا إلا ما فيه يمكن الفائدة، وطرقه طريق سلوك ومعراج، وإثبات على القدم المحمدي فيما أمر به ونهي عنه قوله: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ﴾ [الحشر: 7].

ونحن نحمد الله الذي لا إلٰه إلا الله ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡكَبِيرُ ٱلۡمُتَعَالِ ٩﴾ [الرعد: 9].

﴿وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف: 18] وذلك لأن عموم الخلق في حجاب عظيم في حقيقة الأمر وجهل عميم غالب عليهم عن جلية السرّ، نسأل الله العافية من ذلك، فلا يصلون إلى الحق في علومهم، ويصلون به في حجابية الخلق عن الحق، بموجب نور كمية مفهومهم يثبتون الأمر على الفرق والتمييز، ونحن وعلماء الخواص الماضيون ما نؤخذ من العلم إلا ما أثبتناه في القرآن العظيم ﴿فَإِذَا قَرَأۡنَٰهُ فَٱتَّبِعۡ قُرۡءَانَهُۥ ١٨ ثُمَّ إِنَّ عَلَيۡنَا بَيَانَهُۥ ١٩﴾ [القيامة: 18-19] وأثبتوا الكمل من الأولياء، كذلك فافهم ما أثبتوا إنشاد القرآن العظيم إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، وحده في الوجود،

والشهود خصوصياتهم من حيث ما هم عليه، وكلهم على هذا الأول الواحد فأراد رسول الله ﷺ بأمر الله أن ينقذهم من الضلال، ويرحمهم بالعلم الحقيقي بحقيقة الأمر على ما هو عليه في نفسه، وهو أعلى مرتبة الرحمة وأكملها.



فصل
في عدد الطرائق بعدد الأنفاس

قوله تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: 48].

وقوله تعالى: ﴿وَمِنْهَاجًا﴾ هي مؤدية إلى إكمالها المخصوص والطرق، وإن كانت كما ذكرنا، فإنها ترجع إلى طريقتين كليتين مشتملتين على طرق لا تتناهى بعدد الأنفاس غير المتناهية إلى الأبد تسمى إحداهما في طرق التحقيق: «سلسلة الترتيب والوسائط» التي في مراتب الوجود من العقل إلى العلم، إلى اللوح على الطبيعة، إلى الهباء إلى العرش، والكرسي، والفلك، والسماوات، والأرضين، وافهم، وأشار إليها رسول الله ﷺ بقوله: «**إن لله سبعين ألف حجاب من نور وظلمة لولا كشفها لأحرقت سبحات وجهه**»(1) وما أدرك بصره بالحجب الظلمانية.

وافهم قوله تعالى جلَّ وعلا: ﴿۞ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾﴾ [الفرقان: 1] وأقبلت عليه وتدلت أغصان أثمار المعاني، فتدلت من الحق إليه وقال: ﴿...وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ﴾ [الأحزاب: 45-46].

وقوله: ﴿يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾ [المائدة: 16] فما فسره المفسرون إلا على قدر ما ظهر لهم؛ أعني: القرآن العظيم قوله تعالى: ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الزمر: 28] وهم على قدر ما ظهر لهم ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: 76] وصنفوا تصانيف فيها أشكال، ولا يمكن فيه إلا التوقف إلا لمن له بصيرة، وظهر له من المعاني والرموز، فلا يكون

---

(1) سيأتي تخريجه.

إظهاره له وتفسيره بخَطْرٍ كالذي لعبد الله بن عباس؛ لأن معه نظرة النبي ﷺ حيث أتى به عمه العباس وهو طفل ﵁ فقال النبي ﷺ: «**اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل**»[1].

والتأويل: إشارة إلى كل علم يفهمه عبد الله بن عباس، فيكون لازم الأدب من خوف الله، فكان من أمره أنه هاجر من مكة إلى الطائف إجلالاً لمكة المشرفة واحترامًا لها، ولجلالة فضلها حرمة لها من خوف الله.



(1) أخرجه البخاري (143)، وأحمد (2439)، وابن حبان (7055)، والبيهقي (2446).

فصل
في العلم المحمدي

وافهم العلم اللدني النافع من أهل هذا الفن الشاربين من كنز المعدن المحمدي، فهم أئمة الطريقة والحقيقة إلى الله ورسوله محمد ﷺ قوله: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَۚ﴾ [التغابن: 12].

قوله: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: 31] ولزوم الكل الجميع أن يكونوا على الكتاب والسنة متابعين له فيما أمر به ونهى الحديث «**عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي عضوا عليها بالنواجز**»[1] فهو ﷺ خاتم الرسل والأنبياء، وختم مللهم به؛ فكل ما كان في ملل المرسلين - عليهم الصلاة والسلام- بحرفٍ وأمرٍ وإشكال وتحليل وتحريم يكون كله منطوي في سنة سيدنا محمد ﷺ وكل أمر وحكم لهم مؤكد لأمر رسول الله ﷺ فنص القرآن الختم لهم والشهادة لهم على من خالف من أممهم، فكان لزوم طريقته ﷺ هي الشريعة المحمدية والحقيقة البارزة لها وانتظامها في طي معانيها، ولكن أكثرها إشارات ورموز وكنوز ومعانٍ لا يدركها مدرك إلا من فاض منها عليها من أمطارها السمائية؛ لأنها تفيض من مدد جمع الجمع الأحدي لا تفصل عنه؛ لأنه مرتبة الجمال الكلي فيكون في المرتبة التفصيلية، ويكون في من نبه أحدية جمع الجمع الإنساني.

وافهم قوله إلى جناب الحق وإلى جناب حقيقة الحقائق، وهي السارية في كل مظهر مقابل وجهها، وأسفار وجهها بلا برقع تظهر شمسها ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعۡمَى ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَلَٰكِن تَعۡمَى ٱلۡقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج: 46] وكان الروح الأمين يأتي رسول الله ﷺ على صورة دحية؛ ليكون ظاهره هيكل رجل، وليكون ستره في مجلس الصحابة رضي الله عنهم ولطفًا من الله بهم لئلا يلتفتون إلى صورة جبريل الأمين عليه السلام

---

(1) سبق تخريجه.

فما هو إلا رسول بالوحي من رب العالمين إلى نبيه سيد المرسلين بأي القرآن العظيم.

كلام الحق ليس هو بمخلوق، ولزوم الأدب مع ذلك للكل محق روحانية العظماء على ما خلقه الله تعالى في طي هيكل جسم رجل واحد من الصحابة.

انظر وافهم في فضيلة محمد ﷺ ورأفة الحق به، ولطفًا من الحق فيه، ورأفة ورحمة وكمالاً ومنحة من العطايا والمواهب والرضا قوله: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ۝٥﴾ [الضحى: 5] نص القرآن فما بعد ذلك عطية، ولا هبة لمثله من إخوانه المرسلين عليهم أفضل الصلاة والسلام.



فصل
في الوهب الفيضي

ولله الحمد والشكر على نعمائه وفضله وجوده على ما أيدنا به من التأييد، وجعل سلوكنا على أدق الصراط المستقيم، صراط الذين هداهم الله من غير طلب منا ولا استعداد، إلا من مظهر مقابلته ونعمته التي به بدت من فيض الفضل العظيم ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الجمعة: 4] ولا يزال عطشنا الأزلال، مشارب المعدن الزلال.

وأما سؤال لسان الحال؛ فالجائع يطلب بجوعه الشبع، والعطشان يسأل بحالة عطشه الري، ونحن في الحمد المطلق لا نتقيد بتلك الصفة ولا نطلب ولا نسأل، فيكون فاقة بسؤال، أفضل من عطاء بسؤال، والباعث للسؤال لا يخفى قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ﴾ [البقرة: 186].

وقوله: ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ﴾ [غافر: 60] فوقعنا في أمرنا بالأدب، والاستغراق في منته، وسوابقه في أزله، وقدمه في تحقيق العبودية الرقية المحضة ﴿نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [ص: 30].

﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ [الإسراء: 3] فشكرنا قبل مظهر نعمه بعين وجوده لنا في أزله وفي طي رحمته ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: 43].

وافهم الإشارات إلى النبوة والرسالة لا يكونان إلا بالاختصاص الإلهي، وليست بكبس ولا مجازاة على عمل، أو ثواب عن سابق حسنة وطاعة، يكونان بنتيجة عنهما، ولا شكر على عبادة متوقعة.

وافهم أن كامل العلم تابع للمنة، وسابقة السعادة واللوازم لابدَّ من كمال العلم والعمل، ولا يتوقف عليها ولا يستند إليها قال الله تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ﴾ [المائدة: 48].

وافهم أن الشهود الغالب إنما كان إلا لما اضمحل السوي، والكائنات فيها برزت فيه، وعلى مقتضى مرتبة الحق في ذلك ﴿ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾ [فصلت: 11].



فصل
في مشهد الأحدية

ولما غلب علينا تحقيق العبودية فظهرت لنا مشاهد، مشهد الأحدية وهي جامعة الحقيقة وكلياتها بالماهيات بالحقائق، وجزيئاتها بالهويات لأهل النظر، فالماهيات هي الصورة بصفاته من الذات الإلهية بالفيض الأقدس، والتجلي الأزلي بواسطة الحب الذاتي بمفاتيح الغيب التي لا يعلمها إلا هو، ظهورها وكمالها لا يكون إلا من الفيض الأقدس، والأسماء الخارجة عن الخلق والنسب لا يعلمها إلا الله هو؛ لأنها لا تعلق لها بالأكوان، وأشار النبي ﷺ في دعائه قوله: «**واستأثرت به في علم الغيب عندك**»(1) وهذه الأسماء بذواتها طالبة للباطن هاربة من الظاهر، لم يكن لها وجود فيه.

والمعاني إنما هي: مشكاة النبوة والولاية والإيمان بها، والمتعينات حقائق الإلهية من شأنها عدم الظهور، فسبحان من لا يعزب عن علمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم.

قال ﷺ: «**خصصت بفاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة**»(2) وهي مصدرة بقوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ [الفاتحة: 2] مجمع عوالم الأجسام والأرواح كلها قوله: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾ [الكهف: 110].

وقوله: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ﴾ [الزخرف: 59].

﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾ [البقرة: 285] فالقطب الذي عليه مدار أحكام

---

(1) أخرجه أحمد (4318)، قال الهيثمي (10/ 136): رجاله رجال الصحيح غير أبي سلمة الجهني، وقد وثقه ابن حبان، وابن أبي شيبة (29318)، والطبراني (10352)، والحاكم (1877) وقال: صحيح على شرط مسلم.

(2) أخرجه مسلم (449)، وأحمد (21604)، قال الهيثمي (6/ 312): أخرجه كله أحمد بأسانيد، ورجال أحدهما رجال الصحيح.

العالم هو مركز دائرة الوجود من الأزل إلى الأبد، وهو واحد باعتبار حكم الوحدة المحمدية، وهو الحقيقية المحمدية ﷺ وباعتبار الكثرة يتعدد، وقبل انقطاع النبوة يكون القائم بالمرتبة القطبية نبيًّا ظاهرًا كإبراهيم ﷺ وقد يكون خفيًّا كالخضر عليه السلام في زمن موسى عليه السلام قبل تحققه بمقام النبوة، وهذا عند انقطاع النبوة نبوة التشريع بإتمام دائرتها، وظهور الولاية من الباطن انتقلت إلى الأولياء مطلقًا واحد بعد واحد، وقد ذكرنا في أول الكتاب قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝٦﴾ [الحج: 6].

وافهم قوله تعالى: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: 46] ورب عبد أشهده معيته له مطلقًا كقوله ﷺ لأبي بكر: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: 40] وهو ﷺ في الغار، والملائكة لا يُحصي عددهم إلا الله حوله بلا مظهر منهم في عين النبي ﷺ الظاهرة؛ لقوة الحق، والملائكة صافة حول العرش بالتسبيح والتقديس، سبحانك ما أعظم شأنك.



فصل
في الإنسان الكامل

وانظر إلى العقل الأول، وقيل فيه أول؛ لأنه أول عالم للتدوين والتسطير، والتفاته إنما كان للحقيقة الإنسانية؛ لأن لها الكمال من هذا العالم ومن كل عالم، كما تقدم أن لها مثالاً، فإن عند ظهوره ظهور صورة الخلافة والنيابة عن الله تعالى، فلابد من تقدم وجود العالم عليه، وأن يكون هو آخر موجود بالفعل، وإن كانت له الأولية بالقصد فعين الإنسان هي المقصودة، وإليه توجهت العناية الكلية، فهو عين الجمع والوجود والنسخة العظمى والمجتبى الأشرف الأكمل في نشأته.

وافهم قولي: الإنسان هو الإنسان الكامل، وهو حقيقة نبينا محمد ﷺ حيث ما ظهرت بالمراتب، فأوجد الله هذا الجوهر المديد البسيط، ليس له مادة ولا في مادة ذاته، ولا صفة له، وحقيقة إضافة الشيء الذي هو صورة الجمال والكمال فكان هو ﷺ والحقيقة نفي الرسوم بالكلية، إشارته إلى وجود ذوق التجريد عن الكونين؛ لأن الإنسان الكامل هو جامع حقيقة الذات قال الله تعالى: ﴿فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى ۝١٢ وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ ۝١٣﴾ [طه: 12-13] أي: إليك.

قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ﴾ [الحج: 63].

وقوله: ﴿وَٱصۡطَنَعۡتُكَ لِنَفۡسِي ۝٤١﴾ [طه: 41] وليس الفهم عندي ظاهرًا بل هو باطن، اختلاع النعل؛ أعني به عن الكونين والجهتين؛ أي: المتجلي بالذات والصفات تابعة، فإذا حصل نفي الكونين ظهرت الحقيقة.

افهم التفريد قال الله تعالى: ﴿وَيَعۡلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ ٱلۡمُبِينُ﴾ [النور: 25] والاستشهاد إنما هو في الحضارات، يعلمون أن الله ليس إلا الوجود الحق، وما عدا الوجود إثبات الواحد المبين ذاته بذاته لذاته هو القدم القدمية الصرف، وبذلك صح وثبت عن إشارة الذات الأحدية، والشهود المطلق الذي الكل به موجود بالحق قوله تعالى: ﴿فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلۡحَقُّۖ فَمَاذَا بَعۡدَ ٱلۡحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُۖ فَأَنَّىٰ تُصۡرَفُونَ ۝٣٢﴾ [يونس: 32].

فصل
في التوحيد

فلما انكشف للقلب مظهر الأحدية الجمعية بادر حاضرًا ﴿إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [النساء: 171] فلما جاءت أمداد الفتح المبين قوله: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١﴾ [الفتح: 1] شهد مشهد الحق في كل شيء قبل كل شيء قوله: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١﴾ [النصر: 1] الانتصار هو: ملاحظة العبد بنظرة إليه؛ يعني: حقيقة، فحصل هناك التجلي ببروز العين الواحدة في تجليات جمعه، ولو تكاثرت التجليات فلا يكون إلا من باب واحد.

وافهم ومن فهم علم، ومن شهد الخلق لا علم له فقد فاز، ومن شهدهم لا حياة لهم فقد حاز، ومن شهدهم عين العدم فقد وصل لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝٣﴾ [الحديد: 3].

وافهم واسمع بمجرد السمع لا غير من أطاعني في كل شيء أطعته في كل شيء، فلما برزت الطاعة من العبد في الامتثال إلى ربه ظهر له في كل شيء، فلما أقبلنا بصرف العبودية وأفنينا الحواس قابلتنا المنن من الحق وذلك من الفضل عند طهارة النفس، لما ظهرت أشعة الأنوار وبانت من فيض معدن الكوثر من الباب الأعظم حضرة نبينا محمد ﷺ فظهر نور مشرق من صبح الأزل فيلوح على هياكل التوحيد، إشارة وما فيه تأويل ولا تفضيل ولا تمييز، بل مأمنه بما منَّ به خزائن مواهبه الفائضة على كل مواجه ومقابل بقابليته، فيكون في ذلك له عطاء نور أجلى ووهب ووفاء وجلاء، ولما حصل لنا العرفان والبيان وإيضاح معرفة النفس فكانت معرفة الله حال «**من عرف نفسه عرف ربه**»[1].

---

(1) تقدم تخريجه.

قوله: ﴿أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: 86] على لسان يعقوب عليه السلام **في علم أولاده فرد أمره إلى الله مولاه، فثبت له جميع أولاده وأهله في مجلس واحد.**

ومقام الرسول محمد ﷺ ومعرفة نفسه فقد عرف ربه وقال ﷺ: «**عرفت ربي بربي**»[1] أشار ﷺ إلى أنك لست أنت أنت هو بلا أنت لا هو داخل فيك ولا أنت خارج منه، ومعرفة الله لا تحتاج إلى فناء الوجود، وفناء الفناء في ذلك غلط وسهو واضح، فإن معرفة الله لا تحتاج إلى فناء الوجود ولا إلى فناء فنائه، ولا شيء ولا وجود له ذكر «**من عرف نفسه عرف ربه**» وما قال من أفنى نفسه عرف ربه[2].



(1) تقدم تخريجه.

(2) قال المصنف: والنبي ﷺ عرف ربه في الابتداء، وسلك الطريق بالمعرفة، ولهذا ابتداؤه انتهاء الصديقين، وانتهاء الصديقين ابتداؤه، ومن تقدم في الانتهاء ابتداؤه العشق وابتداؤهم الشوق، وشتان ما بينهما العشق والشوق، ليس في المقامات مقام أعلى وأجل في الابتداء والانتهاء من مقام نبينا محمد ﷺ خاتم الأنبياء وخاتم الأولياء.

فصل
في الدين الخالص

افهم المراد التلاشي عن كل شيء سواه، قال تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ [البقرة: 163].

وقوله: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ (٢)﴾ [الزمر: 2].

﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ [الزمر: 3] فكن في التجريد الخالص والفناء الكلي فتكون لك الدرجة العالية بفنائك.

افهم قوله: ﴿وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾ [الجن: 28].

﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ (١٩)﴾ [غافر: 19] وانظر وامعن النظر وفقك الله لتوفيقه انظر الصحيح.

انظر قوله: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ (٩)﴾ [الرعد: 9].

قوله تعالى: ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [النحل: 3].

﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ [سبأ: 3].

﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة: 137] لا راد لأمره ﴿لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ﴾ [الرعد: 41].

﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ﴾ [البقرة: 269].

﴿تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ﴾ [آل عمران: 26] ويهدي من يشاء ويضل من يشاء، ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، لو اجتمع الخلائق كلهم على أن يريدوا شيئًا لم يرده الله تعالى ما أراد، ولو أرادوا شيئًا لم يرد الله إيجاده وأرادوا غير ما أراد ما استطاعوا ذلك ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ (٩٦)﴾ [الصافات: 96].

﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ (٢٣)﴾ [الأنبياء: 23].

﴿فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الأنعام: 149] وكما شهد الله وملائكته وجميع خلقه، فإني أشهد وإياكم على نفسي أنه لا إلٰه إلا هو، كذلك إني أشهد الله وملائكته وجميع خلقه وإياكم على نفسي بالإيمان لما اصطفاه واجتباه واختاره من وجوده نبينا محمد ﷺ رسالته لجميع الناس.

وافهم أن الشهود الذاتي من مظهر الحق الصرف مظهر الصفات من العلم بحقيقة الذات، وانظر إلى باطن اللُّب والتقوى بأكمل الأولياء ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأنبياء: 23].

﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾ [الصافات: 180: 182].

❊ ❊ ❊

فصل
في أوج الكمالات

فلما صعدنا بنور العقل النوراني إلى أوج الكمالات إلى أعلى شهود الحضرات ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾﴾ [النجم: 42].

﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾﴾ [النجم: 9-10].

واعلم أن الحق من حيث إطلاقه الذاتي لا يصح أن يحكم عليه حكم أو يعرف بوصف، ويضاف إليه نسبة من وجود أو وجوب، ومقتضى عين الذات الأحدي وهي حقيقة العنصرية المحمدية ﷺ ولا نزال طامعين وشاربين من شراب المعين، ويكون بعين الري والعطش في بعض الأوقات؛ لأن لسان الحب والشوق والذوق لا يزال إلى العطش، ولسان الوصل بالتلذذ ويزوده الري فيكون صاحياً شاكراً حامداً شاكراً عارفاً كاملاً، وقد أشار إليه رسول الله ﷺ وقد ذكرناه في شيء من كتبنا أو مذاكرتنا ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ [الأنعام: 124] وكان يقول في مناجاته: «**أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك**»[(1)] ولا أبلغ كل ما فيك من التعيين والتنبيه على تعرف، والإحاطة من التعريف بالشهادة في معرفة الحق إلى غاية الغايات.

افهم قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾﴾ [النجم: 42] وفي الأحاديث النبوية تنبيهات كثيرة إلى ما ذكرناه، من تتبعها بعض التقيض وتفهم إلى ما ذكرته تلقاه ثابتًا صحيحًا واضحًا جليًّا، فترحمنا بما أذن لنا فيه من الذوق والشوق، وقيضنا فيه لسان اللفظ.

وافهم ومن أسند القرآن من حيث تسميته بالأعراف الذي أخبر به أن رجاله يعرفون كلا بسيماهم، وهذا من خاصة الإشراق الذي ظهر على لسانه في مقام

---

(1) تقدم تخريجه.

النبوة اسمه المطلع كما قال ﷺ في أمر القرآن: «**بل في كل آية منه لها ظهرًا و بطنًا وحدًا ومطلعًا وإلى تسعة أبطن**»[1] وفي رواية إلى تسعين بطنًا، وقد نبهت على ذلك في تفسير الفاتحة قوله: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾﴾ [الحجر: 87] إشارة إلى إطلاقه في جميع الأسماء والصفات، وأوسع التجليات وأظهرها نص القرآن له ﷺ وهو مشهد الكمال الكلي والمشهد العيني؛ لأن محمداً ﷺ صح على أكثر الصحابة.

وأكثر المفسرين ليلة الإسراء أنه رأى الحق بشحمة عينيه بلاشك ولا ريب ولا خلاف، وكان الكليم موسى بن عمران عليه السلام على الطور يسمع، ولا يرى له صورة فتعشق وطلب منه الرؤية نص القرآن ﴿رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِي ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ﴾ [الأعراف: 143] انظر في مقام موسى ما تحمل الرؤية، فطلب الرؤية عليه السلام وهو في الأرض على طور سيناء، والحق في كل شيء فما قدر تحمل شيء من الرؤية، ومحمد ﷺ حمل إليه بأمره والملائكة حافين من حول العرش، وكان قائد البراق جبريل عليه السلام فركب على البراق، ولما كان في صعوده ما كانت، فانتهى جبريل إلى مقامه فوقف فلو تقدم قدر شعرة لفني في طرفة عين، لكن قوله: ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾﴾ [الصافات: 164].

وهذا الوارث والخاتم محمد ﷺ استوعب كل وصف من التجليات الكمالية قوله: «**لي وقت لا يسعني فيه غير ربي**»[2] ولا يعرف سر قوله: «**كان الله ولا شيء معه**»[3] إلا من ذات هذا المشهد، ولا سر قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ﴿٥٠﴾﴾ [القمر: 50] ولا يعرف، ولا يتحقق هذا السرّ الأعظم أيضًا إلا من ذاق هذا المشهد.

* * *

(1) انظر: اللمع للطوسي (ص43).
(2) ذكره العجلوني في «كشف الخفا» (2/ 173).
(3) تقدم تخريجه.

فصل
في الأعيان الثابتة

ونحن لا نزال في تلك أعين علم الأعيان الثابتة التي هي حقائق الموجودات، وإنها غير مجعولة، وحقيقة الحق منزهة عن الجعل والتأثر، وما ثم أمر ثالث غير الحق والأعيان؛ فإنه يجب أن تعلم أنه صح له ما ذكرناه أن الأثر لشيء في شيء، وإن الأشياء هي المؤثرة في أنفسها وفي بعضها في البعض، فليس ثمة شيء يمده شيء غيره، بل المدد يصل من باطن الشيء إلى ظاهره، والتجلي النوري الوجودي يظهر ذلك، فليس له تأثير بظاهره، ولهذا العلم اندرجت فيه من نفائس العلوم والأسرار ما لا يقدر قدره إلا الله وهو الحق اليقين والحق المبين قوله: ﴿فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [يونس: 32] وهو الحق الصريح الذي لا مرية فيه، والله المرشد والهادي، وعاد أسرار خفية لدينه ما أظهرناها في الكتاب وأودعناها في كنزها الخفي اللطيف، وإن نتجت نتائج من علمنا هذا فهي قليلة اللفظ غريبة المعنى.

قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [البقرة: 212].

وسرّ قوله: ﴿هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾﴾ [ص: 39] وقد كرر ذكره في الكتاب العزيز، وهذا سرّ لا يمكن إظهاره، والإشارة بقوله: ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [ص: 39] فكلما أعطى جل وعلا زاد منه وافر العطاء، فلله الحمد والشكر على منة الله ويكون في الكتاب العزيز وفي الأحاديث النبوية أيضًا مثل قوله ﷺ: «**إنه يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفاً بغير حساب مع كل ألف سبعون ألفًا هؤلاء أصحاب العطايا**»(1) ولا يسمون بأسمائه، غير أن نسبتهم إلى حضرة الذات أقوى من حضرة الأسماء والصفات، والعطايا لها أقسام وأحكام قبضنا في تبيانها أحسن ﴿لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: 37].

---

(1) سيأتي تخريجه.

نص القرآن ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ۝٥﴾ [الضحى: 5].

وطلب الرسول الحق لما أن توقف مع ربه في وقوع الأشياء امتثالاً وأدبًا على إرادته، وإن لم يدع ويسأل الحق في حصوله يقول له جبريل عليه السلام: «**إن الله أسرع إليك بالإجابة منك إليه بالدعاء**» وهذا المقام فوق مقام إجابة الأدعية، إنه من خصائص كمال المطاوعة بما سبقت إليه الإشارة إلى اتباع مراضي الحق، والقيام بحقوقه بقدر الاستطاعة، كما أشار إليه ﷺ في جواب عمه أبي طالب حين قال له: ما أسرع ربك إلى هواك يا محمد؟ فقال النبي ﷺ: «**وأنت يا عم إن أطعته أطاعك**» وهذا المقام الذي فوق هذا راجع إلى كمال إتيان العبد، من حيث حقيقة ما يريده الحق منه بالإرادة الأولى الكلية المتعلقة بحصول كمال الجمال والاستجلاء، فإن الواجب لاتحاد العالم الإنسان الكامل الذي هو العين المشهودة لله في التعين، وكل ما سواه المقصود بطريق التبعية قوله: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: 31] فوجب الاتباع له في أقواله وأفعاله وفي كل ما أحبه أن تحبه، فهذا من الوجوب على الكل وهو الكتاب والسنة، ومن لم يعرف في ذلك لم يصح له معرفة، فمن لم يعرف نفسه ما عرف ربه.

افهم ذلك قوله: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝٤٠ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ۝٤١﴾ [النازعات: 41] والحديث: «**عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي عضوا عليها بالنواجز**»[1].

قوله: ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ﴾ [غافر: 15] وكل رفيع يكون إنما هو من هذا التجلي، سواء كان رفع مكان كما حصل لإدريس وغيره، أو رفع مكانه كما حصل لعيسى ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء: 158] أو كان رفع مكانه أو مكانته كما حصل لنبينا محمد ﷺ فقال في حقه بعد أن طوى بساط الأكوان علوًا: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩﴾ [النجم: 8-9] ﷺ وعلى سائر الأنبياء أجمعين.



(1) سيأتي تخريجه.

فصل
في طريق الكُمَّل

اللهم أيدنا والمحبين لنا والمنتسبين إلينا بالتأييد على طريقة الفانين الكملاء الفضلاء النجباء رضي الله عنهم وثبتهم على الدين القويم، وخصهم مثل ما خصصت الصحابة رضي الله عنهم وامنحنا وإياهم من الهداية والرعاية والحماية، وإمامنا وإمامهم وقدوتهم ومرشدهم سيد المرسلين وحبيب رب العالمين وقائد الغر المحجلين محمد ﷺ وعلى آله الطاهرين المطهرين، الذين أذهب الله عنهم الرجس وزكاهم، وأفاض عليهم من فيض المعدن المحمدي ما لا يقدر قدره، ولمن اتبع الرسول ﷺ في أقواله وأفعاله فكانوا ممتثلين ومهتدين إلى أسنى وأعلى زهد وخوف، ورجاء المتقين لا رجاء من هو غافل غارق في محبة الدنيا الجيفة الخبيثة رأس كل خطيئة، وليس هي بالأنساب والصور والجسمانية مثل: أهل العادات والحدود، من أهل النفوس والشهوات، وحب القدر عند الناس والجاه الحقير في الدنيا، وطلب المنزلة عند الناس - نسأل الله العافية - وخذ عن الحديث الصحيح: «**ازهد في الدنيا يحبك الله وازهد فيما في أيدي الناس تحبك الناس**»[1] حديث حسن صحيح عن عمر رضي الله عنه.

وأما الماضيون من أكابر الصوفية من السابق كانت طريقتهم على الصراط المستقيم، وهم العارفون المحققون النافيون السوى مشاهدين الدار الآخرة، قوله تعالى: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [الذاريات: 55].

وقوله: ﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴿٨﴾﴾ [المزمل: 8].

﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرعد: 28].

❊ ❊ ❊

---

(1) تقدم تخريجه.

فصل
في منن الرحمن بالحبيب العدنان

وافهم هذا العلم اللدني إنما خصصنا به باللطف الخفي من منن الله تعالى قوله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [آل عمران: 164].

وقوله: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾﴾ [التوبة 128 ـ 129].

وانظروا معنى النظر والفكر بقلبك، وهو المضغة الذي إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله، وكنا في المجاهدات والرياضات نطمع في مولانا الحق بأن ييسر لنا في سلوكنا طريق عويصة ما يصلها غيرنا، فكنا نطوي الأسبوع والأسبوعين، وقد يمكن سنة، اختصرنا للطف لا تغمض منا العين، وإذا تاقت منا البديهة والهمَّة إلى الطواف بالبيت الحرام في مكة المشرفة في المنامات والرؤيا ويكثر في الإحرام لا تعد أبدًا في المنام، وهو يقارب اليقظة، وكما نص في القرآن ﴿كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ﴾ [القمر: 50] وأقل من طرفة عين يبلغ ما يبلغ، وذكر وصح عن أولياء الصوفية أن أول قدم للمريد إذا صدق يكون عنده طول الدنيا خطوة.

وانظر في أبي يزيد وصاحبه الذي كان إذا قال: يا أبا يزيد، مشى على البحر، وإذا رجع إلى نفسه وقال: يا الله، غطس في البحر، فناداه منادٍ حتى تعرف الله سبحانه كن مع أبي يزيد، وهذه وأمثالها كثيرة، وحيث يطلبون البدل ومكان بدل في طرفة عين، ولا يتم هذا إلا من فيض الفضل دعوة، فقد طلبه بما لا تعلمون من علم الهدى والشهود، دعاني فلبيت وقلت: لبيك لما دعوتني فأنا عبدك اللائذ ببابك لا نزال طامعين في مطامع ما يطمع فيها، ﴿إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ [النبأ: 38] ولو علمتم من حيث توليه الحق لنا في السرِّ المصون

الذي لا يمكن إظهاره أبدًا؛ لأنه كنز خفي، وأخفى من الخفي ما أمكن كشفه أبدًا حديث أبي هريرة ﷺ قال: «**حفظت من رسول الله ﷺ جرابين من أسرار الله منه ﷺ لو بثثتها لقطعتم هذا البلعوم**»[(1)].

افهم واعلم فلو أظهرنا شيئاً من ذلك ما وسعته الدور ولا حوته السطور، ارجع إلى قدرك ونفسك رحم الله امرأ عرف نفسه، وحينئذ أيدنا بتأييد الله من أخلص نيته وأقبل بعدمه، وفناء نفسه عن علمه وعمله ونسبه وحسبه حتى وصل إلى باب الله، وبالصحيح تقول -والله أعلم- وهو يهدي إلى سبيل: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾ [الزمر: 3].

﴿فَٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾﴾ [غافر: 14] ولا يحب من قال إنه يمشي على الماء أو يطفئ النار فهذا عندنا علة ما فيها شيء من طريق العارفين بالله الكملاء.

انظر في أويس القرني «**رب أشعث أغبر مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبره**»[(2)] أي: لأجابه، وهو أفضل بعد الصحابة ﷺ هذا إمام التابعين، وأمر الرسول ﷺ من أصحابه أن يصلوه ويطلبوه الدعاء.

انظر إلى هذه الطريقة الجلية السنية فيا لها من طريق في طريق الكتاب والسنة، فلا تزال في الجد والاجتهاد، وسالكين إلى طريق أسنا وأعلى طريق أهل النور الأعظم نور الأنوار، ومعدن الأسرار، وتاج مملكة التمكين، من فاض علي من بحر الحقائق مستملي مستخلف الخلفاء في قطبية المرتبة السلطانية مبدي

---

(1) أخرجه ابن عبد البر (10011).

(2) أخرجه مسلم (2622)، ومسلم (6848)، والحاكم (7932) وقال: صحيح الإسناد. وأبو نعيم في «الحلية» (1/ 7).

(3) قال المصنف: والماء والطين عبارة عن المخلوقين، فقد ذهب عن رؤيتها بعد صحة التمكين بشهود الحق في جميع الصور والمراتب، فلا تحتجب بالخلق عن الفناء؛ لفناء الرسوم الخلقية في شهود فلا، بل إلى الحق متقلبًا في صور الأكوان، معينًا بتجلية رسومها، بل يراها صور تجلياته، وفي مقام البقاء بعد الفناء يرى الرسوم قائمة بالحق موجودة به، ومعنى البراءة من التلوين؛ لأنه لا يرى لهم وجود غير الحق حتى يقع عليه اسم السوى.

مطلق اسمه العالم الموجود في أعلى المراتب، وبين المراتب والطين آدم[1] وصاحب لواء الحمد محمد رسوله الأعظم وعبده الأكرم قوله: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ﴾ [الزخرف: 59] ﷺ وعلى إخوانه المضافين إليه من الأنبياء والمرسلين المبعوثين بحكم النيابة عنه لتمهيد قواعد الدين، ورضي الله عن الخلفاء من بعده الراشدين رضي الله عنهم أجمعين قوله تعالى: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُۥ﴾ [البينة: 8].



فصل
في أجمع كمالات الكل سيدنا محمد ﷺ

افهم ظهور كل شيء من الوجود في مرتبته، ولها استعدت قوابل الموجودات لقبول الفيض، فهو ﷺ الوسيلة ومقام الوسيلة، وما وسيلته إلا ربه في الآخرة؛ لأن الخلق يوصلون به إلى معرفة الله تعالى ويتوسلون به في الوجود؛ لأنهم خلقوا منه، فتوسلوا أنه في معرفة الله تعالى في كل خبر ظاهر وباطن، فهو صاحب الوسيلة، وتقول: هو طريقتنا في معنى كونه واسطة بين الله والخلق.

افهم ﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ﴾ [الأحزاب: 4] وإليه المرجع والمآب، وهو حسبنا الله ونعم الوكيل ﴿نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾ [الأنفال: 40].

قوله: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ﴾ [التوبة: 40].

﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ۝٨﴾ [العلق: 8].

﴿وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ۝٣٨﴾ [غافر: 38].

قوله: ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ۝١٧﴾ [النجم: 17].

وقوله: ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ۝١٨﴾ [النجم: 18].

وقوله: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ۝١٠﴾ [النجم: 8-10] وافهم واعلم أنا أيدناك بالله إلى طريق الهداية أجمع كمالات الكل محمد ﷺ إنما هو كما ينبغي لله، فمعرفة محمد ﷺ لله تعالى عبارة عن: معرفة الله ومعرفة الأنبياء والأولياء والملائكة كلهم، إنما هي على قدر قوابلهم لا على قدر الله، ولذلك بعث ﷺ إلى الناس كافة ﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [البقرة: 119] متحقق بمقام الجمعية الذي لم يتحقق بها غيره من الأنبياء، فقال ﷺ في حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه: «**أعطيت خمسًا لم يعطهن أحد من قبلي من الأنبياء، فقال: نصرت بالرعب من مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا؛ أي: ما رجل أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لي الغنائم ولم تحل**

لأحد قبلي، وأعطيت الشفاعة، وكان النبي من الأنبياء يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة»(1).

وفي رواية «**بعثت إلى الأحمر والأسود**»(2) يعني: إلى الإنس والجن؛ وذلك لأنه جمع جميع الحقائق من المحل الذاتي.

قوله: ﴿قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ﴾ [يونس: 108].

وقال: ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ﴾ [الأنعام: 5] يعني: محمداً ﷺ وقوله: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: 80].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾ [الفتح: 10] ومن ذلك اسمه النور وهو اسم ذاتي، ويسمى به محمداً ﷺ فقال: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ﴾ [المائدة: 15] يعني: القرآن، ونص القرآن اسمه الكريم سمي به محمداً ﷺ قال تعالى في حقه ﷺ: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾﴾ [التكوير: 19].

وقال تعالى: ﴿إِن تَسْتَفْتِحُوا۟ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ﴾ [الأنفال: 19] يعني: محمداً ﷺ قال الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾ [يونس: 25].

وقال الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [القلم: 4] والخُلق العظيم هو: الوصف بالأوصاف العظيمة وهي أوصاف الله تعالى، وسُئلت عائشة- رضي الله عنها- عن خلقه فقالت: «**كان خلقه القرآن**»(3) إشارة إلى حقيقة التحقق بالكمالات الإلهية، وإنما هو عبارات؛ لأن القرآن عبارة عن كلام الله تعالى، والقرآن كلام الله ليس هو بمخلوق قوله تعالى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى

---

(1) أخرجه الدارمي (1389)، وعبد بن حميد (1154)، والبخاري (328)، ومسلم (521)، والنسائي (432)، وأبو عوانة (1173)، وابن حبان (6398).

(2) أخرجه الطيالسي (472)، وأحمد (21352)، وقال الهيثمي (8/ 259): رجاله رجال الصحيح. وقال في موضع آخر (10/ 371): أخرجه البزار بإسنادين حسنين. والدارمي (2467)، وابن حبان (6462). والحاكم (3587) وقال: صحيح على شرط الشيخين.

(3) أخرجه أحمد (25338)، وابن عساكر (3/ 382).

ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَـٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَـٰمًا ﴿٦٣﴾﴾ [الفرقان: 63].

افهم الذي ليس للشيطان عليهم سلطان قوله: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنٌ﴾ [الحجر: 42] الهدى الذي يهدي به من يشاء ﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ﴾ [الأحزاب: 4] وهو حسبنا ونعم الوكيل ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: 3].

قوله: ﴿...وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: 2-3].

وقوله: ﴿إِنَّ وَلِـِّۧىَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَـٰبَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١٩٦﴾﴾ [الأعراف: 196].

﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [يونس: 62].

وقوله: ﴿نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ﴾ [فصلت: 31].

وقوله: ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَـٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾﴾ [يونس: 64].

❊ ❊ ❊

فصل
في مخاطبة الحق للحبيب ﷺ

انظر إلى قوله ومخاطبته لنبيه وصفيه الذي اختاره، وختم به النبوة والولاية محمد ﷺ وهو منبع الفيض الإلهي، وهو رئيس الدائرة، ومحل الإشارات، ومنبع الكمالات، المتمكن لتناهي كل كمال ذاتي وصفاتي، والدائرة الكبرى العظمى لا يعلمها إلا هو من فيض الفضل؛ لأنه أصل مبدأها ومنشأها، هو إشارة لطيفة مع هيكل البشرية الكمالية قوله: ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾ [الكهف: 110] وهو ﷺ حامل عيون الأمانات لكمال الألوهية، كما أن السماوات والأرض وأهلها من المخلوقات لم تستطع حمل هذه الأمانة غيره، وكذلك جميع العالمين محلاً لنقطة أسرار أنسها المخوف، الذي هو عبارة عن الإنسان الكامل وكذلك؛ لأنه رئيس هذا العالم، وهو أول ما خلق الله روح محمد ﷺ[1].

وافهم وانظر الحرف الثاني في إثبات جميع ما خلقه الله، وكذلك الحرف الثالث وهو قد أشار إلى ما فيه بسعادة العبد المخلص في كل أموره؛ لأنه يقول في الأحاديث النبوية: «**العظمة إزاري والكبرياء ردائي**»[2] ولا أقرب من نور

(1) ذكره ابن حجر الهيتمي في «الفتاوى الحديثية» (1/ 676) وقال الشيخ محمد بن جعفر الكتاني: وأورد جماعة من الصوفية حديث أول ما خلق الله روحي وفي «الفتاوى الحديثية» سئل - نفع الله به- عن حديث أول ما خلق الله روحي والعالم بأسره من نوري كل شيء يرجع إلى أصله من رواه؟ فأجاب بقوله: لا أعلم أحد رواه كذلك، وإنما الذي أخرجه عبد الرزاق أنه ﷺ قال: «**إن الله خلق نور محمد قبل الأشياء من نوره**»، انتهى. وفي «شرح المشكاة» لعلي القاري في الكلام على حديث أول ما خلق الله القلم ما نصه: وروى «**أن أول ما خلق الله العقل، وأن أول ما خلق الله نوري، وأول ما خلق الله روحي، وأن أول ما خلق الله العرش**» والأولية من الأمور الإضافية فيؤول: إن كل واحد مما ذكر خلق قبل ما هو من جنسه، فالقلم خلق قبل جنس الأقلام، ونوره قبل الأنوار، انتهى. [جلاء القلوب 2/ 858- بتحقيقنا].

(2) تقدم تخريجه.

الرداء والإزار إلى الشخص؛ لأن صفات الجلال أسبق من صفات الجمال المفهوم، الرحمة من الجمال وعمومها واتصالها بجلال الحرف الثالث، والجمال المطلق هو الساري في مظهر الحق سبحانه وتعالى، وجميع أوصاف الجمال راجعة في الوصفين العلم واللطف، ونقول: كما أن الجمال في هذا الخلق إنما هو جمال الجلال لتلازم كل منهما الآخر، فمثلناهما في المثل -والله أعلم- وأيدناك بالله بما ظهر لك من علم السرّ الأعظم: كالفجر الذاتي أول مبادئ ضياء الشمس إلى نهاية طلوعها، فنسبة الجمال نسبة الفجر، ونسبة الجلال نسبة الإشراق، فهذا معنى إشراق جمال الجلال.

وانظر إلى جامع الجمال والجلال بمحجبه وحجابه، ولا ثم كناية الكنايات ساقطة إلا بما أخبر به الرسول محمد ﷺ لأنه غاية الجمال والجلال الذي لا نهاية فيه ولا بداية، وتنزه الحق عن ذلك، لا تدرك له عينًا ولا أثر في ثبوته، فاللفظ إلى إشارة حقيقة الكمال.

وافهم عين هو: الإنسان الكامل الذي قال الله فيه: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ۝٦٢﴾ [يونس: 62] إنه لا يستحق الخوف والحزن، وأمثال ذلك على الله؛ لأن الله هو الولي الحميد ﴿وَهُوَ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [الشورى: 9] ولا نعرف هذا العلم اللدني إلا إذا عرفت بطريق الذوق والشوق والكشف الإلهي، الذي هو فوق علم الأعيان، وكذلك لا يمكن ذلك إلا بعد السحق والمحق الذاتي، وعلامة هذا الكشف أن يفني عن نفسه بظهور ربه، ثم ثانيًا عن ربه بظهور رئيس الربوبية.

افهم وافتح عين قلبك يكون ما له تبدل من العلم، والسمع والنظر، والعظمة والقهر، وإذا ظهر لك ذلك وتميز الحق بذاته في ذاته عن جميع المخلوقات وتقدسه وتعاليه عن أوصافهم، وما هم عليه من الذلة والنقص، قال الله تعالى: ﴿نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ۝١﴾ [القلم: 1] وكناية عن اللوح المحفوظ فهو كتاب الله الذي قال فيه: ﴿مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖ﴾ [الأنعام: 38] وكفى به في كلامه كفى.

❊ ❊ ❊

فصل
في سر البسملة

ونحن فيما يكون من نظرنا الحقيقي الصحيح «ما رأيت شيئًا إلا رأيت الله قبله» فإذا علمت ذلك فهي إشارة إلى ذات الله تعالى، فافهم.

تنبيه: الإشارة إلى ذات الله تعالى قوله: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [النمل: 29] وفيها كنوز غرائب وعجائب لا يحصي معناها وفضلها إلا الله ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾ [آل عمران: 7] هي كلمة التقوى.

انظر فيما حوت من الأسرار التي تجلت فيها الأفكار، وهي آية من القرآن ﴿...إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [النمل: 29-30] وحديث صحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**ما أتى يوم القيامة وفي صحيفته ثمانمائة من بسم الله الرحمن الرحيم، كان براءته من النار**»[1] وقد كان لنا في السلوك، ورد منها لا نعده من أمداد غريزة وعلوم جمة، وما قلنا بها إلا لأنها طرية وأنفاسها جلية، فاختصرنا في الكتاب عن مظاهر أسرار خفية فيها وغيرها من الآيات القرآنية.

قوله: ﴿وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [النحل: 9] ونرجع في هذا العلم الغامض إلى اصطلاح القوم ماهية كنه الذات، والاختلاف في العبارة والمعنى واحد، قوله: ﴿فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [يونس: 32].

افهم هذا المعنى ولا تطمع في حقيقة هذا العلم وفيما ذكرناه، ألا انظر إلى ما فيك ارجع إلى رتبة البشرية حتى تُفنى مع الفانين أهل رتبة الكمال، ونحن لما تجلى علينا من الحق ما تجلى من الفيض الأقدس، وهو عين الكشف الإلهي والذوق المخصوص من معرفة التجلي العام المعرفة بالتجلي الإلهي، وهو موضع

---

(1) ذكره سيدي عبد الله الميرغيني في «شرح الصلاة المشيشية» (ص23).

حيرة الكمل من أهل الله تعالى، وإلى هذا إشارة الألوهية أشار ﷺ: «**أنا أعرفكم بالله وأشدكم خوفًا منه**»[1] فما خاف ﷺ من الرب ولا من الرحمن وإنما خاف من الله تعالى، وإليه الإشارة بقوله: ﴿وَمَآ أَدۡرِي مَا يُفۡعَلُ بِي وَلَا بِكُمۡۖ﴾ [الأحقاف: 9] على أنه أعرف الموجودات بالله، وربما برز من ذلك الجناب الإلهي لا أدري أي صورة أظهرها في التجلي الإلهي ولا أظهر إلا بما تقتضيه حكمتها، وليس لحكمها قانون ولا نقيض له، فهو يعلم ولا يعلم، ويجهل ولا يجهل.

وليس لتجلي الإلهية خبر يقف عليه بالتفصيل، فلا يقع الإدراك التفصيلي بوجه من الوجوه؛ لأنه محال على الله أن يكون له نهاية، ولا سبيل إلى إدراك ما ليس نهاية، لكن الحق قد يتجلى على سبيل الكلية والإجمال، والإشارات ليست بالاعتبارات، فلله الحمد والشكر على فيض نعمه ومواهبه ونفحاته الجزيلة، وكن معنا في اللب، واترك القشر، واحذر من الراشي الثقيل ليس السوي له محل ومجال، وأحسن بيت قالته شعر العرب:

أَلا كُلُّ شَيءٍ ما خَلا اللَهَ باطِلُ   وَكُلُّ نَعيمٍ لا مَحالَةَ زائِلُ

***

(1) ذكره العجلوني في كشف الخفا (608).

فصل
في حجاب أهل الظاهر والصور

وافهم ذلك، وأما المتفقهة المغرورون الذين ما ذاقوا المحبة والمعرفة بالله فإنهم حجاب الطريق إلى الله لمن استند إلى طريقهم، العاكفين على حب الدنيا وجيفها هي التي أخذت عقول العالم ولبهم وبقي معهم القشر، وهو الحجاب المبعد والصدر، قال بعضهم:

فَمنْ صَدَّ عَنّا حَسْبُه الصَّدُّ وَالقِلى   ومَـنْ فَـاتـنَـا يَـكْـفـيـهِ أنّـا نَـفُـوتـهُ

لنسأل الله العافية، اللهم اهد جميع الطالبين، اهديهم إلى طريق الهداية، ولزوم باب العرفان، وافهم ذلك إن كنت ذا فهم ﴿وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ﴾ [هود: 88][1].

وفرق عظيم جدًّا بين من يشرب من قعر المدام بكأس خمر الخمر في حضرة الدير، ثم دارت كؤوسه إليه بأن شربنا من ذلك المشرب والخمرة، ثم يهنئهم أهل دائرة الخمر فسكر أكثرهم إذ هم سكروا؛ لأنها من فيض المعنى، ونحن ما ظهرنا منها اليوم ولا قبل اليوم إلا على ما جاء به الرسول محمد ﷺ في أقواله

(1) قال المصنف: ﴿وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ﴾ [هود: 88] فتلك المعرفة باب التوفيق، وعرفنا من فيض الفضل والجود من فضل الله معرفة ما وراءها معرفة، ومن أراد الله له سرّ من أسراره يسره الله تعالى له من غير كسب، فهو وهبي، ومسلك الطريق والقبول والإحاطة بلسان التحقيق، ولا لها رجوع إلى التعليم كالنهايات ما يكن في البدايات والإخلاص الروحاني والخلق الرحماني، وبها يتصرف العارف في نفسه أولاً وفي غيره ثانيًا محل النفحات؛ لأن العارف الذي هو في النهايات يوصل المخلص في قليل، ولا يصل هو في سنين وأعوام؛ لأنه في شهوده كامل الصحو والاستقامة، قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ٣٠﴾ [فصلت: 30]، والمشار إليه في قوله: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ﴾ [طه: 8]، ﴿إِنَّمَا قَوۡلُنَا لِشَيۡءٍ إِذَآ أَرَدۡنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٤٠﴾ [النحل: 40].

وأفعاله المرضية كلها، وهذا المشرب المعنوي المنسوب إلى الذاتية المحمدية المحيطة بالختمية المحمدية ﷺ(1).

وافهم أيها الصادق المقبل قد أتاك من الخير والرشد والهداية ما لا يكون على بالك وضميرك، فكن فانياً في العبودية مضمحل السوى والنفس بالكلية، وأقبلت عليك اللطائف ومنن السعادة، بفنائك الكلي يكون عليك من اللذات، ويمحي عنك الكائن والبائن، فنفيت عنك الضلالات، وتوضيح طريق الكتاب والسنة الذي مشوا عليها أهل الله، ﴿يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [النور: 35].

﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ﴾ [الأحزاب: 4].

وقوله: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ﴾ [الزخرف: 59] والعبد الشكور محمد ﷺ دائمًا دائبًا أبدًا بشكره في الدنيا والآخرة؛ لأنه أعطى جميع الكائنات كلها، وهو مظهر الشكر، والشكر للأب؛ لأنك تصير إلى ربك لا إلى أبيك، والله المظهر للخير كله، ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾ [الملك: 1] وهو تعالى الشكور، والإدراك عجز عن الإدراك، مفتاح الصلاة التي هي رجوع من العلي الكبير إلى العلي العظيم.

افهم افتتاحها الإلقاء باليدين عند التكبير، والإطراق عن وجه الداعي إلى العلي الكبير؛ لينتهي أقوام عن رفع أبصارهم إلى السماء في الصلاة، أو ليحفظ أبصارهم، فمن تحقق هذا المرجع بقلبه فلا يلتفت إلا إلى تحقيق الصلاة، يكون فيها مقابل شطر المسجد الحرام؛ أعني: الكعبة المكية والشريعة المحمدية وأمرها؛ لأنه قد صلى للقبلتين على ما قد روي ولنا في ذلك نفس:

سرى لنا نسيم من حضيرة قدسية فعطرت الأكوان جمعًا بنشره

---

(1) قال المصنف: **والختم في الحقيقة المحمدية**: هو التجلي من اسمه الجميل، فقيد البواطن عن التصرف الذي ينبغي لها، فسبحانه وتعالى و﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ﴾ [الرحمن: 29] بل وجوده من ذاته لذاته، علم الأشياء من علمه بذاته فخلق ما علم، فعلمه المحيط بجميع الأشياء لا يفوته شيء جل ثناؤه وتقدست أسماؤه، ولا إله غيره جل وتعالى ﴿عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: 43] ومن هنا وحيد غض الطرف عن الأكوان بمشاهد هو منزه عن كل نقصان.

وظهرت لنا عن وجه ليلاً بدائع — بنور التجلي من سراها بسرّه
فكانت لنا من قول ألست مآثر — فجئنا ولبينا بفيض هباته
وخاطبنا بالمرسلات عوارف — وواعدنا من فضله وعطائه
ولو بث منا الحال بعض عطائه — لما قدرت أسماعكم لاستماعه
ورقت زجاجات المدام وكرمها — لغيبة أقداح الشراب وخمره
ونادى فيها الساقي من فيض فضله — هلموا إلى ذات الجمال وحسنه
مشاهد معاني خافيات لطائف — تفيض علينا من مظاهر جماله
فكانت لنا منا الخضوع تذللاً — ولاحت لنا من ثنياها وابتسامه
فكنا وفي طور التجلي دائمًا — نروم مرامًا للجمال بأسره
فخضنا بحار الحب في كل لجة — ونلت مرادي من تنعم أنسه

انتهت الأنفاس الفائضة الطيبة العطرة، والأمداد من المراتب الروحية، ولا يستمد هو من أحد، والكمل مستمدون من مشكاته بالعطيات، وإن كانت من حضرات الأسماء ولكنها من الله ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ [النحل: 53] وإن كان هذا الخاتم لا ينفصل حال تركيب جسده العنصري فلابدَّ من ذلك حتى يكون جامعًا لجميع الكمالات والنقائص، هو الأول والآخر والظاهر والباطن، وما وهبه إلا منه؛ لأن الولد سرّ أبيه، فمنه خرج وإليه عاد، فما أباه غريب لما عدل عن الله.



فصل
مظهر العلوم الوهبية الوجودية

افهم مظهر العلوم الوهبية الوجودية، والحكم الوجودية الشهودية بالكلمة الشيثية لأن آدم عليه السلام حزن على فقد هابيل حزنًا عظيمًا فسأل الله تعالى أن يهبه ولدًا صالحًا لما أُلقي، والوهب الإلهي وهبه الله لشيث فسماه بهذا الاسم؛ يعني: هدية الله، فهو أول موهوب؛ لأن الصورة الإنسانية بقدر الوهب من الله لمن يكون من أهل الوهبي، فظهرت علوم الوهب والإلقاء بشيث عليه السلام وكذلك وهب الحكمة التي هي علوم التقابل والتماثل، ولهذا قال بيده مفتاح العطايا، وما وهبه الله لآدم إلا منه؛ لأن آدم هو الذي أحدية صورة جمع الحقائق اللاهوتية ﴿لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ﴾ [الروم: 4]، ﴿وَإِلَيۡهِ يُرۡجَعُ ٱلۡأَمۡرُ كُلُّهُۥ﴾ [هود: 123]، ﴿وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [الشورى: 15] بما جمع من التقابلات؛ ولذلك أحقهم بالعبودية من جمع له شتات الأمر كله. كان محمد ﷺ يقود الجيوش، ويعشي الحروب يدير رحاها، ويقم البيت، ويضع يده مع الخادم في الرحا، رحا الحرب غيرة لله، ويدير رحا البيت تعبدًا لله، ويتنزل للصبي وناقص العقل، ويؤم في الحضرة العليا جميع النبيين والمرسلين، ومقدم جميع العالمين؛ وذلك لأن الله -سبحانه وتعالى جل وعلا- هو الجامع، ومحمد ﷺ عبد الجامع، والعبد من سيده، ولما كان لم يكن للخلق حظ من الكبر كان أحب ألَّا يكون لهم حظ من الجلال وهو غايته، ولذلك ظهور معين، ذلك جليل لا يعلمها إلا هو نص القرآن قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ۝٦ ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧﴾ [الانفطار: 6-7] وافهم في ذلك فهمًا عظيمًا، وهو معنى جسيم لا يعلمه إلا من أيده الله بالذوق والشوق، وهو عندنا ينتج وجوه الخير والبر والتقوى.

قوله: ﴿إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ﴾ [الحجرات: 13] ونحن في ذلك ظاهر وباطن؛ لأن الحق قد تولانا من كرمه وجوده وفضله قوله: ﴿ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [الجمعة: 4].

فصل
في العبودية

وقد أوفرنا بالنعم على عبده الناطق باسم العبودية وحقيقتها ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ﴾ [إبراهيم: 34] من فيض الكريم لا كريم إلا هو، فأنت منه وإليه.

أيها العبد المخلص، فأنت منه وعبده، كيف وهو يعلم خائنة الأعين، قوله: ﴿يَعۡلَمُ خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ وَمَا تُخۡفِي ٱلصُّدُورُ ١٩﴾ [غافر: 19] ولا يكون للخلق حظ منه إلا في القرب، ولا يستطيعون مع العبد ﴿وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنۡ حَبۡلِ ٱلۡوَرِيدِ﴾ [ق: 16].

﴿وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنكُمۡ وَلَٰكِن لَّا تُبۡصِرُونَ ٨٥﴾ [الواقعة: 85].

قوله: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكۡشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾ [النَّمل: 62].

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا ٩٦﴾ [مريم: 96].

﴿رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: 10] وكان الود التخلص من المهاجرة بين المؤمنين، والمجانبة والإعراض، ولكن إذا سلمت الصدور من ذلك كان مأمنه صد، ولكن العفو والغفران سابق.

قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ﴾ [البقرة: 143] ولا تكون شهادة الرسول محمد في أمر خفي عنهم إبلاغه ينكرونهم، وقد بلغ ﷺ في إعلانه في فرق الأمة كلها إلا في واحدة منها هي على ما هو عليه وأصحابه في أعوام النبوة وأعوام الخلافة بعده.

وقوله: ﴿وَلَا تُخۡزِنِي يَوۡمَ يُبۡعَثُونَ ٨٧﴾ [الشعراء: 87] طلبًا في إبراهيم ربه، وقوله في محمد ﴿يَوۡمَ لَا يُخۡزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥۖ﴾ [التحريم: 8] يسري لمحمد من ربه، وإنما ما لفضيلته بإلحاق الذين آمنوا معه، وليس في ما هو دونه هذه الآية،

وقوله: ﴿وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ۝١٧٣ فَٱنقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ﴾ [آل عِمرَان: 173-174].

وقوله: ﴿وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُواْ مِن دُونِى وَكِيلًا ۝٢﴾ [الإسرَاء: 2] وتحقيقه ﷺ بجميع أمره إلى سيده، ويصدق هذا الاتحاد منه، سماه الله المتوكل في الكتب السابقة التوراة والإنجيل والزبور والصحف وغيرهم مما نزل الله على رسله -عليهم السلام- وذلك لفضله على الأمم الماضية، وظهور التوكل في هذه الأمة الخاتمة، وهم الذين يدخلون الجنة بغير حساب؛ لأن الحساب خاص بمن علم في الأمور، واستند إلى ما دون القائم الحق، قال عليه السلام فيهم: ولا يكتوون ولا يسرقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون، رقوا بأنفسهم بسنة الله في حكمته، التي هي ضالة من أضل الله إلى إمضاء أمر الله في إعلاء كلمة الله.

ومن نزل منزلاً فقال: «**أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق**»[1] لم يضره شيء حتى يرتحل من ذلك المنزل؛ وذلك لأن في كل ما علا من أمر الله منية للمرتقي عما دنى، اللهم إلى الرفيق الأعلى.

قالت عائشة رضي الله عنها: وقد علمت أنه لا يختارنا ودين الإيمان مبني على التوكل في أمر الدنيا والإعراض عن محاولة أمورها للاستزلاف، ولكن للاستعمال أقبلوا على ما كلفتموه من صلاح آخرتكم، وأعرضوا عما ضمن لكم من أمر دنياكم، ولا تتشاغل عما فرض عليك بما ضمنوا لك؛ ولذلك هو مبني على السلب والمحاولة والفرية في الأخرى، وهذا هو الشيء السري، ولا يأخذ من ذلك إلا ما صححته الشريعة المحمدية ﷺ وهو طريقه على الصراط المستقيم.

وقد أشرنا في مذاكرتنا في مجلسنا سابق ولاحق لأكثر الناس؛ لأنهم يجري لهم ـ أعني: للناس ـ الاستشراف في أمر دنياهم ويتساهلون في أمر الآخرة، وهم العجزة عندنا الحقراء مشيتهم، مكبين على وجوههم؛ لأنهم القاصرون التابعون لأنفسهم أهويتها، الحديث المشهور إذ رأيت شحا مطاعًا وهوى متبعًا، وإعجاب المرء بنفسه، فعليك بالفرار خصوصًا، نسأل الله العافية.

---

(1) أخرجه أحمد (27169)، ومسلم (2708)، والترمذي (3437) وقال: حسن صحيح، ومالك (1763)، وإسحاق بن راهويه (2)، والنسائي في «الكبرى» (10394)، وابن خزيمة (2566)، والطبراني (603)، والبيهقي (10102).

فصل
في الإنابة والولاية

ونحن في صدق توجهنا لله، فكنا مع الحق كالمتوجه في الصلاة، قوله: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُۗ﴾ [العَنكبوت: 45] ومن كان الله أنابه ورسوله محمد أنابه؛ لأنه أخذ الطاعة من الحق على أيدي الرسول محمد ﷺ ولولا عليّ ما عرفنا كيف نقابل القبلة، وكان عمر رضي الله عنه يقول: أعوذ بالله من معطلة ليس فيها أبو الحسن، ولولا علي لهلك عمر.

وقال الصديق رضي الله عنه يوم خرج من معتكفه سابعة سابعه بعد وفاة رسول الله ﷺ ووفاة فاطمة رضي الله عنها، وصلوات الله على أهل البيت أجمعين: يا أبا الحسن، إن عصابة أنت فيهم لمعصومة، وإن أمة أنت منها لمرحومة، ولقد أصبحت عزيزًا علينا، كريمًا لدينا، تخاف الله إذا شخطت، ونرجوه إذا رضيت، وإنا إليك لمحتاجون، وبفضلك عالمون، وتنتمي آل إثر ولايته والمتولية له حزب الله وواجب له عز العلية.

وقوله: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴿٥٦﴾﴾ [المائدة: 56] ولأن كل داعٍ يدعو إلى الله يأتي يدعوه منه من وراء حجاب به عن ربه إلا رسول الله ﷺ وعلى آله؛ لأنه الماحي الذي لا ضل له، عمت الولاية في متبعيه وبشرى في أمته بوجود الولاية وجدًا دون بين ما اتبعت، قال: اتبعت الله ورسوله، قيل لبعض العارفين الكملاء: ما يعد للنوائب؟ قال: الله ورسوله، وعلا العابد العارف يرجع إلى ربه في كل حادثة ونازلة بقلبه إلى ربه، فيكون ماسكًا بالعروة الوثقى لا انفصام لها.

فصل
في معرفة الولي

وافهم أن ما سمي الولي[1] وليًّا إلا لأنه يلي كل ما سوى الله فمن والى رسول الله ﷺ فقد والى الله، لا يقطعه ظل ولايتهم ببين ولا بغيبة عن نور الله، وما سواهم حجاب بين العبد وربه بإنزال رتبة الولاية إليه[2] وكان الولي هو المتولي بلا واسطة، وكان الله أقرب للمتولي من نفسه وأقرب من حبل الوريد ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: 4].

وانظر في إبراهيم عليه السلام لما أُلقي في النار نار النمرود ـ لعنه الله تعالى ـ كانت بردًا وسلامًا، فأتاه جبريل بحلة خضراء من الجنة فقال: إلي يا إبراهيم، قال: أما إليك فلا، فقال: اسأل ربك، فقال: علمه بحالي يكفي عن سؤالي.

وقوله: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [غافر: 16] وللتفاريق والشتات أطوار الخلق ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ﴾ [التغابن: 9].

﴿فَجَمَعْنَٰهُمْ جَمْعًا﴾ [الكهف: 99].

﴿لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْآخِرَةِ﴾ [القصص: 70].

---

(1) **الولي**: من توالت طاعاته من غير تخلل معصية، وقيل: «من يلي الحق، ويليه الحق برفع الحجب ليسمع كلام الحق ويعيه» وقيل: «من تولى الحق حفظه وحواسه على الدوام والتوالي، فلم يخلق فيه الخذلان الذي هو تمكنه من العصيان، ثم إنه تعالى يديم له توفيقه، الذي هو تمكينه وإقداره على فنون الطاعات وكرائم الإحسان، قال تعالى: ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الأعراف: 196].

(2) **الولاية**: مشتقة في الأصل من الولي والتوالي، وهو أن يحصل شيئان فصاعدًا حصولاً ليس بينهما ما ليس منهما، وحيث كان هذا هو معين القرب استعملت هذه اللفظة في القرب على اختلاف مفهوماته النسبي منه والحقيقي والتوالي، وفي توالي الأمور ونحو ذلك، وفي لسان التحقيق هو بمعنى القرب أيضًا، وذلك لما علمته في باب النبوة من كون الولاية عبارة عن التحقق بحقيقة النقطة الاعتدالية، المنسوبة إلى كليات الأسماء، والحقائق الإلهية، على الوجه الذي بينته هناك.

﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الزمر: 75].

﴿وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [يونس: 10].

وكل أمر لا يبدأ فيه ابتداء وانتهاء بالحمد لله فهو أجزم، وفيه بفاتحة الكتاب، وانظر قوله: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾﴾ [الحجر: 87].

قوله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢﴾ وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴿٣﴾﴾ [الفتح: 1-3] افهم تكن بنصر الحق منصورًا.

وقال رئيس العلماء بالله: باب مدينة العلم علي بن أبي طالب -كرم الله وجهه- كفاني عزًا إذا أنت لي ربًا، وكفاني فخرًا وعزًا إذا أنا لك عبدًا، أنت لي كما أريد فوفقني لما تريد رضي الله عنه وكرم وجهه.



فصل
في أولية النور

فكنا إذا خاطبناه بالروح والمعنى فهي أظهر من الشمس الواضحة الشارقة، فنحمد الله ونشكره على الدوام، قوله: ﴿لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْآخِرَةِ﴾ [القصص: 70].

﴿وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الروم: 18].

قوله: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ﴾ [المائدة: 44].

وقوله: ﴿وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾ [الشورى: 52].

افهم فاتحة الكتاب تبدأ بالحمد نور محمد ﷺ فاتح الكون، وقال ﷺ: «**إن الذي خلق الله أول كل شيء نوري، وكل شيء سجد لله من نوري، وخلق الله العرش من نوري، والكرسي من نوري، والعقل الذي في رؤوس الخلق من نوري، ونور المعرفة في قلوب المؤمنين من نوري**»[1] فهذه الأنوار السبعة التي هي شأن الكون على تفاصيلها كلها من نوره ﷺ فهو حمدها الأول، وأحمدها ثلاثة منها: ملكوتية مشتركة نور العرش والكرسي ونور اللوح والعلم، وثلاثة وحدانية في ذوات الناطقين مرتبة نور الأبصار ونور العقل ونور المعرفة، وكلها من المشكاة المنورة، والمشهود ظاهر وهو نور الشمس والقمر.

إفهم لا يبصر المبصرون قط، ولا ينطق الناطقون قط، ولا يستقل القائمون قط إلا بمحمد ﷺ وكما كان نوره ﷺ هو فاتح هذه الأنوار الزاهرة التي بها ضياء الكون كله ملكه وملكوته، وجامعه الحقيقة في كله؛ فذلك نوره ﷺ هو فاتح جميع الكون لمقام الأنوار؛ لأن ما تنزل وانخفض من نوره كان مقامًا، فأنشأ من نور محمد ﷺ الضياء به، وأنشأ من الضياء به الدرة، وأنشأ من الدرة الماء،

---

(1) ذكره العجلوني في كشف الخفاء (1/ 265).

وأنشأ من الماء الموج، وأنشأ من الموج الزبد، وأنشأ من الزبد الأرض، وأنشأ من الأرض التراب، وخلق آدم من تراب هذه الكنائز السبعة بما بين الضياء به إلى التراب من نوره، فهو لذلك جميعها ومجموعها، فهو حمد الآخر، كما هو أحمد الأول؛ ولذلك اسمه في السماء أحمد، وفي الأرض محمد، يشير إلى بدء الخلق والأمر، وبصورته ختم الخلق والأمر لقوله: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ﴾ [المؤمنون: 14] ولذلك من أسمائه ﷺ الأول والآخر، فجمع الله بآدم شتات ما في الأرض من يوم الجمعة من أيام الله، وأكمل الله جميع الكون كله أوله وآخره ظاهره وباطنه بمحمد ﷺ في يوم الجمعة من خصائصه.

حتى بين أيام محمد من أيام آدم، ودعا جميع ما منه من لطائف وكثائف إلى الله جل وعلا قوله: ﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١٢٨﴾ [التوبة: 128] دعاهم بقضيبه اللدن، وهواديه الصلبة، وحسامه الملثوم، وقدسه الصائبة، فكان القادم الحاشر؛ فالله حميد ومحمود وعبده، وحبيبه أحمد ومحمد، والحمد لا يكون إلا لله ولا يبين إلا بالرسول، ﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرۡضُوهُ﴾ [التوبة: 62] فما كون الله ورسوله لابدَّ فيه من أعوان وتبعيض عن الإحاطة لا يصح أن يبدي معه بادي الحمد، وإذا بدا الله سبحانه باد ما سواه فهو تعالى الحميد الذي لا حميد إلا هو المحصي المبدئ المعيد، ﴿وَأَحۡصَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ عَدَدَۢا﴾ [الجن: 28] جل وعلا، فلما عرفوا أهل المحققين عجزوا عن إدراك العلم، ووقفوا ببابه، وغيرهم منهم مشوا ببساطه، فالعجز عن درك الإدراك إدراك، ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ﴾ [إبراهيم: 34].



فصل
في لزوم الطريق

وافهم من انتظم في سلكنا وتمسك بعروتنا، ولزم معنا الأدب والفناء الكلي فلا يكون له في نفسه مجاهدة ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ﴾ [العنكبوت: 69] فيكون في طي الفناء الكلي، وإذا ثبت في ذلك معنا بآداب حسيته وقلبه، ولو هو من التابعين فيكون روحه معنا صحابية، فهذا صح على إجماع طريق أهل الله طريقة وحقيقة ﴿ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ﴾ [المائدة: 54].

﴿يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ﴾ [البقرة: 105] ومواهب ما منَّ الله به علينا الحق جل وعلا في كنوز أسرار خزائنه وفي لطفه الحقي، وشمر عن ساق ليوم التلاق ﴿يَوۡمَ يُكۡشَفُ عَن سَاقٖ وَيُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ﴾ [القلم: 42] فلا تزال في سجود الشكر في حضرة عالية وما زلت تخشى على ضعيف اليقين أن يزل فيهلك مع الهالكين، فلله الحمد به، أو ختمًا أولاً وآخرًا وظاهرًا وباطنًا.

قوله: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ﴾ [إبراهيم: 34] فلا تزال في الخمول الكلي، ولا تظهر منا كلمة الحكمة والموعظة إلا بسلطان الكلمة بالشفقة والرأفة والرحمة، كل هذا إشفاق على إظهار ما على اللسان، فيتضح لهم البيان، وكيف يحتاج بصير العين على الشمس الصاحية، لكن القلوب حجبت عن التوجه في الإخلاص، وعكفت على الحدود والعادات والشهوات، نسأل الله العفو والعافية والغفران.

انظر في الرحمة الذي سبقت الغضب، وافهم في بر الوالد والوالدة وما ألزمه الحق في ذلك، والتعاون على البر والتقوى، وافهم في بداية الأمور ليكون ذلك من عواد بره عن رحمة من خلقه، وقوله: ﴿ٱرۡكَبُواْ فِيهَا بِسۡمِ ٱللَّهِ مَجۡرٜىٰهَا وَمُرۡسَىٰهَآۚ﴾ [هود: 41].

افهم الرحمة الباطنة والظاهرة إن كنت ذا فهم، انظر حظ المهدي يوجب

اصطفاؤه؛ لأنه اختصاص خصوصيته من مالك الملك لاستوائه على إحاطة خلقه، وأمره باطنًا بجلاله، وظاهرًا بإكرام، تكرم رحمته حتى يستقر في كل وجه، ويكرم عفوه حتى يشكر في كل وجه، لو يعلم الكافر لكل الذي عند الله من الرحمة لم ييأس من الجنة، ولو يعلم المؤمن بكل الذي عند الله من العقاب لم يأمن النار، فهو تعالى بالحق والحقيقة ذو الجلال والإكرام، لا إله إلَّا هو ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ۝٩﴾ [الرعد: 9].

﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝٣﴾ [الحديد: 3].

وقوله: ﴿وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود: 88].

وقوله: ﴿وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾ [ص: 25].

وقوله: ﴿فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا ۝٢٥﴾ [الإسراء: 25].



فصل
في أسرار الخطاب الرباني

افهم ما ظهر لك من مخاطبة المنن لعبده، ثم نادى في قوله: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ﴾ [الزمر: 53].

وافهم ما نطق بلسان التفرقة فقال: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: 7] معناك بوجودك وشهودك نعمه عليهم من نعمة القرب الإلهي ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: 7] وهم أهل البعد الذي تجلى عليهم باسم المنتقم ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفاتحة: 7] هم الذين ضلوا في هدى الحق، فما وجدوه ولا كنوه، ليس المغضوب عليهم، بل رضي الله عنهم فأسكنهم بنوره عنده، وهم الذين يسألهم الله تعالى فيقول: «يا عبادي، تمنوا علي، فيقولوا: يا رب نتمنى رضاك، فيقول لهم: رضاي عنكم أسكنكم بجواري».

﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ﴾ [الأحزاب: 4] فيتمنوا فلا يتمنوا إلا رضاه؛ لأنهم لا يعرفونه ولو عرفوه لتمنوه، وهم يتنعمون بنعيم الأكوان في روضات الجنان الذي لا يتجلى الله عليهم بما هو له، فهم ضالون عن الرحمن بل يتنعمون بلذات الجنان.

وافهم واعلم ﴿وَٱلطُّورِ ﴿١﴾ وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ ﴿٢﴾ فِى رَقٍّ مَّنشُورٍ ﴿٣﴾ وَٱلْبَيْتِ ٱلْمَعْمُورِ ﴿٤﴾ وَٱلسَّقْفِ ٱلْمَرْفُوعِ ﴿٥﴾ وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ ﴿٦﴾﴾ [الطور: 6] وكل المعاني في الطور وآيات القرآن العظيم كلها بالإشارات، ولا يكون بالعبارات، ولا هي بظاهر اللفظ بل اطلبها من وراء ذلك إن كنت ذا فهم وعلم ذوقي، وإلا خله لأهله لمن علمه وفهمه قوله: ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَۚ﴾ [العنكبوت: 49].

قوله: ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾﴾ [فصلت: 35].

وأشار الحق سبحانه وتعالى في موسى بقوله: ﴿لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ﴾ [الأعراف: 143] عبارة عن فناء نفسه وصفته بالمحق والسحق، فعُدم موسى في تلك وصار العبد كأن لم يكن، والحق كأن لم يزل على ما عليه كان، وكأن الجبل عبارة عن فناء نفسه بالله بالمحق والسحق، ثم لن تراني برموز، الزم ما تجليت عليك به كأن لم يزل على ما كان عليه في الأزل ﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ۝٣﴾ [الحديد: 3] لما كان الحق لم يزل فما رأى موسى ربه وإنما الله، رأى الله، وما ثم إلا المعبر عنه موسى، وقد أشار إليه ربه؛ أعني: موسى حتى قال في مناجاته لربه: يارب، كيف أَصِل إليك؟ فقال: فارق نفسك وتعالى، فإذا علمت أن الطور باطن نفسك وذلك هو المعبر عنه.



فصل
في فهم أسرار الكتاب الحكيم

وافهم البيت المعمور والسقف المنشور هو اللوح المحفوظ ﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ﴾ [الأحزاب: 4] والسعيد من أسعده الله تعالى للإمعان في هذا الكتاب الجليل، لكن دلائله واضحة موجودة من القرآن العظيم كلامه العزيز، حتى الحديث الصحيح، حتى لا يغلط الغالط؛ لأنَّا في زمان آخر القرن العاشر طمعوا في حب جيف الدنيا الحقيرة وطلب المنزلة عند الناس فهو الهلاك، وتحققه أن من بقي على تلك عندنا وعند جمهور أهل الله أنه في الخطر؛ لأنهم مالوا إلى حظوظهم فهم عندنا كالعدم، لكن نقول بقول سيدنا رسول الله ﷺ: «**اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون**»[1].

﴿وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١١٨﴾﴾ [المؤمنون: 118] اللهم أسبل أيادي التوفيق ﴿وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ [هود: 88]

افهم الحاملون لعزة الصديقية الكبرى وهم الذين شربوا من ماء الحياة، وقد كانوا بمجمع البحرين، فيكون الكامل كارع شارب من ذلك الماء، واغتسل منه وسبح فيه فكتمه عن من يستكثر ذلك، وكتم أمره للصيانة.

واعلم أن عين الحياة مظهر الحقيقة الذاتية من هذا الوجود، فافهم هذه الإشارات وقبل هذه رموز العبارات، وإياك لا تطلب الأمر إلا من عينه، وخروجك من أينه؛ لعلك تنال وتفوز مع الفائزين الصادقين المخلصين، ولعلك تفوز بدرجة الفائزين بمنزلتهم ويمسح لك الوقت، ولعلك تصير من حزبهم ﴿أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: 22].

انظر في قوله: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر: 53] ونحن وأهل الله فهموا وفهمنا نطق الحق بباب الإضافة إلى نفسه

(1) سيأتي تخريجه.

بقوله: يا عبادي، فمن أعظم وأجل من ذلك فخر العبد بالإضافة إليه، فما كان من عارف عرف قدر ذلك وانشرح صدره وتنور قلبه بنسبته إلى الحق، ولنا في ذلك نفس:

وثم إذا نادت علينا ببهائها فكنا لها في سمعها بوصالها
سميع بصير من تجلي سنائها فكانت لها منها البشائر فضلها
وزقت زجاجات الدنان وخمرها فسكرت بها أرواحنا بجمالها

فافهم إن كنت ذا فهم ممن يفهم، والطرق إلى الله فيها سعة ورحب وسماحة وعفو من الحق لعبده بلاشك ولا ريب، ومن أين العبد إلا من ربه من ابتدائه في أزله من الطينة الآدمية، افهم لتضح لك السعادة إلى محل النجاة والسيادة.

❊ ❊ ❊

فصل
في فهم إشارات المعاني

ونظرنا إلى من أخلص القصد والنية وفنى في فنائه فيكون -إن شاء الله- معنا من السعداء الصادقين أهل البر والتقوى، وأشار ﷺ إلى صدره فقال: «**التقوى ها هنا**»[1].

افهم إشارات المعاني ولا تغرك كثرة المطالعة في كتب الرقائق، تظن أنك من أهلها وأنت بعيد منها، هيهات هيهات كم برازخ بينهم وبينها، وقلوبهم مختومة عليها من حجب وظلم إلا من أشرقت شمس بصيرته وتولاه بالكتاب والسنة مع متابعة الخلفاء ﷺ وهم أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي ﷺ أجمعين.

قوله: «**عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي عضّوا عليها بالنواجذ**»[2].

وقوله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ٥٥﴾ [النور: 55] وغاية الأعيان وصول المعارف من العلم النقلي خذه من الكتاب والسنة، وإياك الحذر أن تأخذ العلم من غير أهله أهل تقوى الله ﴿وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ: 13] ومن لم يعظم ويتبع ما قرروه وأثبتوه الصحابة على السنة ﷺ أجمعين، وما كان من علم السلف التابعين يؤخذ منه وسعه، وغير ذلك خطأ وهلاك على سامعه وتابعه، واتبع ما قلنا لك به في دقيق الأمر فلا بلوى ممن يرى لنفسه أنه مالكها، والحقيقة أنها مالكته، اللهم اهدهم وارشدهم إلى طريق الكتاب والسنة، وهي عين السعادة والطاعة قوله: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ

(1) أخرجه أحمد (7713)، ومسلم (2564)، والبيهقي (11276).
(2) سيأتي تخريجه.

أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: 80].

وقوله: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: 7] وهم أهل الدرجة العالية، وهم المحققون؛ لأنهم أهل إسقاط الهوى ومحبة المولى، فهذه أحوال الصوفية المحققين؛ لأنهم لا يزالون راجعين إلى القلب المضغة التي إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب(1).

---

(1) قال المصنف: وقوله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾ [الإسراء: 1] وهو البيت المعمور، ونبينا محمد ﷺ أُسري به، ورجع في حالته مستقيم مع بشريته؛ لعظم كماله، ووجوده مع ربه، قوله تعالى: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩﴾ [النجم: 9] وقرب عيناه بالرضا والعطاء، والشفاعة لأمته، وأرضاه ورضي عنهم، قوله تعالى: ﴿رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [المجادلة: 22] فأكرمه الحق بأنه خاتم النبيين الجميع، وأعطاه أن سره متورث من صلب إلى صلب على دوامه، وتقوم الساعة وهو باقٍ سره على ذاك، فهذه من أجلّ الخصائص له، وأعظمها، ومن الخصائص قول الله تعالى: ﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِى وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٤٤﴾ [هُود: 44] فحصلت له النجاة، وكذلك أطفأ لإبراهيم عليه السلام نار النمرود فصارت لإبراهيم من فيضه ونوره، روضة من رياض الجنة، وروحه ﷺ قائم بمقامات الجمعية، وتلقى وجاءنا بأسرار الجميع، وهو ﷺ قائم بالخلافة، وورثها أقاربه الطيبين، والمراد بالأقارب: أقارب الروحية، وقوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: 110] وفي ذلك أسرار خفية لا يعلمها إلا أهل فنها، من أهل الدرجات الكُمل الخواص الذين مشوا على قدم الكتاب والسنة، مع أتباع الخلفاء الأئمة رضي الله عنهم على ترتيبهم، فأولهم في الخلافة: أبو بكر الصديق رضي الله عنه، وثانيهم: عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وثالثهم: عثمان بن عفان رضي الله عنه، ورابعهم: علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكرم وجهه، وباقي العشرة كذلك بتعينهم المذكورين، فهم في جميع أحوالهم في امتثاله ﷺ، وآخذين عنه في أحوط أقواله وأفعاله، فأشار في الحديث: «**عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ**» والصحابة، والأولياء التابعون؛ لأنهم ورثوا الأنبياء الماضين، وخواص أسرار المرسلين عليهم السلام في معدن نبينا ونبيهم ورسولهم محمد ﷺ، ولهم الحصص من إرث كل فضيلة، فهم المقام الجمعي، وكن على طريق صراطه المستقيم، ومنهجه القويم، والنظر بعين البصيرة إلى مطالع أنواره، ومظهره الجامع للحقائق، وجميع العلوم المحيطة بها، وهو داخل في عبوديته، ومشيئته، وصراطه المستقيم، فلا يجاوز طريق حقيقة إلا بإذن وتمكين، وجميع الحضرات في حضرة واحدة على جميع الحقائق، وهي: الحضرة الإلهية المشار إليها، قوله تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾ [يوسف: 108] ودليلها أعني: هو الإنسان الكامل، وقوله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ [فصلت: 53].

فصل
تواتر الفتح والكشف لأهل التجلي

ونحن كما ظهر لنا في سلوكنا الكشف الجلي، ولكن ما طلبناه؛ لأنها تردد علينا إشارات ومواهب كالأمطار، ولا يكون في المكاسب؛ لأن الكشف انحطاط عن مرتبة العبودية فسرى منه محو ما سواه كشف سبحات الجلال من غير إشارة، فلما رأينا من مدد الرحمن وهيأته ما تقر به العين في الدنيا والآخرة، ومطالعة الأسرار والخفيات من العلم اللدني الذوقي، افهم هي مفاتيح أعين الأنوار المشرقة، وبانت لنا العلوم اللدنية المعنوية الذوقية الشارقة شمسها ﴿لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلۡبٌ أَوۡ أَلۡقَى ٱلسَّمۡعَ وَهُوَ شَهِيدٞ﴾ [ق: 37] حتى تجلى على العبد بتجلي الذات الأحدية، وعين الجمع، ومقام أو أدنى، افهم(1).

(1) قال المصنف: **تنبيه**: كل من فهم هذا العلم اللدني الذوقي الذي لا تسعه السطور، فيكون أصله وفرعه ومنبعه ورأسه وأساسه من علم الذات الأحدي، وحقيقته نادرة إلا: ﴿لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلۡبٌ أَوۡ أَلۡقَى ٱلسَّمۡعَ وَهُوَ شَهِيدٞ﴾ [ق: 37] ولا يسعه ويفهمه إلا من وسعته الرحمة الإلهية وجودًا حقًّا وعلمًا وفهمًا صادقًا مع إخلاص القلب الواحد في الجسم الواحد، ثم تفيض على من أقبل عليه إمامه وأستاذه، فدخل في الرحمة، فصحت له السعادة بلا ريب ولا شك، ولا ثم شك قوله تعالى في القرآن العظيم: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [البقرة: 3] دالة على العلم اللدني وصلته بهذا الروح المحمدي ﷺ، وقوله تعالى: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحٗا وَءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمۡرَٰنَ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ٣٣﴾ [آل عمران: 33] ﴿ذُرِّيَّةَۢ بَعۡضُهَا مِنۢ بَعۡضٖۗ﴾ [آل عمران: 34] والإشارة ترجع إلى عين واحدة: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبياء: 107] وسعته للرحمة؛ لأنه نفسها، ولا ثم تثنية، وأشرنا إليها وصح فيها كل موجود يوجد إلى ما يتناهى عرضًا وجوهرًا، فوسعت الرحمة الإلهية جميع الوجود الكلي، فنطق بقوله: ﴿يَٰقَوۡمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُجِرۡكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ٣١﴾ [الأحقاف: 31] فهو الرحمة الواسعة، وسعته في الذوات، وفي الأعيان غالبة، وفي الأكوان سارية حتى تكون الأفكار عالية، فيكون له الشهود قوله تعالى: ﴿وَشَاهِدٖ وَمَشۡهُودٖ ٣﴾ [البروج: 3] وقوله: ﴿ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [البروج: 9]، وقوله: ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطُۢ ٢٠ بَلۡ هُوَ قُرۡءَانٞ مَّجِيدٞ ٢١ فِي لَوۡحٖ مَّحۡفُوظِۭ ٢٢﴾=

وكذلك الطامة الكبرى، وحقيقة جميع الحقائق هي الغاية التي ما فوقها غاية، ونهاية النهايات مع الكشف الجلي المحبوب، وإظهار انكشاف الأرواح القدسية تَكوَّن لسانه بكلام شيء يفهم وشيء لا يفهم، وعلمه فوق العلم الظاهر لا يعلمه إلا من علمه، ولا يجهله إلا من جهله.

وغالب علمنا ظاهر الفقه وعلم النجوم والحسابات فهي من جملة العلم الظاهر، فلما تبين لنا العلم الباطن رحلنا عن الظاهر والقيود إلى المعاني والباطن الذي هو: مُغرس شجرة النور الزكية الباهرة ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ﴾ [النور: 35].

افهم ما ظهر لك، واترك مطالعة ما بطن؛ لأن أكثرهم وخواطرهم في الكون والرسوم، فانتقل من هذه الصفة على أوج الكمال، واهبط إلى المحو عن نفسك؛ لأنها الحاجبة لك، وتجرد عن النزاع والتخاصم في الأعيان الخارجة عن صفة حقيقة الإخلاص والطاعة لله والحب في الله والإخلاص في الله، فيكون عليك رقيب، ونطقك ذكر وحكمة، وصمتك فكر، فلا تكون منك

= [البروج: 20ـ21ـ22] فدلت على مظهر الذات من الرحمة العظيمة، فلو بحنا بشيء من سر مظهر معنى هذه الرحمة لخشينا على ضعيف العقل واليقين من الهلاك؛ لأنه بعيد عن فهم هذا العلم؛ لأنه أصله ومنبعه من الصدور، وقوله تعالى: ﴿۞ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١﴾ [الشرح: 1] ويطلب: ﴿رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى﴾ [طه: 25] فكل عارف عن نفسه يدرك بالذوق ما ذكرنا، ولكن قبضنا في العنان عن بيان غوامض أسراره، فنخفي من العلوم عن الغير الذين يسكنون بها إلى الجاه في الدنيا والعزة، فهي أعظم المصائب، فتحقق ما قاله الحق في القرآن، وما شبههم به: ﴿كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا﴾ [الجمعة: 5] فانظر الذي أسقطه علمه الحقير؛ لأنه ما خرج عن الكون والحجب النفسانية، وأكثر الحجب من سبب الخلق، فمنها الرياء والسمعة، وغير ذلك من العوارض التي تطمس عين البصيرة، وتصدئ القلوب المنورة، نسأل الله العافية من طريقتهم، فعليك بالفرار عنهم والاعتزال لهم، وارجع إلى التسليم وحسن الظن: «**أنا عند ظن عبدي بي فليظن ما شاء**».
فالعلم الذاتي الأحدي المشار إليه: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: 31] نسأل الله سبحانه أن يرحم، ويغفر للمحجوبين عن العين الواحدة، وهي الصراط المستقيم الطريقة الدقيقة على القدم المحمدي.

خطوة من خطواتك إلا تكون مقابلة قبلة المعارف قوله: ﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ۝٨﴾ [المزمل: 8].

﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ﴾ [آل عمران: 41].

﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت: 45].

افهم معاني الذوق فإن فيها الستر والصيانة لستر الإظهار فما فيه مصلحة ولا فائدة؛ لأن العين واحدة قوله: ﴿فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ﴾ [يونس: 32].

واعلم أن العلم بكيفيته على ما هو عليه مختص بالله، لا يمكن أن يطلع عليه إلا من شاء من عباده الكمل، وحصل له المشهد الشريف والتجلي الذاتي المفني للأعيان بالأصالة قوله: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾ [الأعراف: 143] (1) فيكون العارف الكامل متوقف بالأدب مع الله، فلا يطلب مطلبًا إلا بما تولاه الحق بطلبه له حياء منه جل وعلا، كان بعض الكمل طلب من الحق جملة مطالب فأُعطي مطالبه، فقال ربه: عاد معك مطلب اطلب مني الفضل واسع، فقال: يا رب استجب فهذا من أهل القرب، فأعطاه ما في خاطره ومصالحه، لكن يغلب عليهم في ذلك الستر والصيانة؛ لأنها غريزة المواقع، فقال بعضهم: اطلب الحق تجده، والحمد لله الكريم الوهاب المعطي من فضله وجوده وكرمه بغير حساب جل وعلا وعز سبحانه وتعالى.

❊ ❊ ❊

---

(1) قال الشيخ المصنف: وتأويل الجبل في تعريف الخطاب، إلا بما هو الرجل العظيم كالذي جاء في نبوة دانيال عليه السلام إذ دحيت الجبال من ناحية الطور، فذلك ظهور للأمة المقدسة في هذه الأمة الصحابة والتابعين، والأمة المقدسة هي هذه الأمة، ثم قال عليه السلام: فإذا اشتعلت نارًا فتلك علامة انقراض العالم فاشتعالها بالنور، وأما احتراقها بالمعاصي وعظيم الاحترام كالذي اندرس بعده ﷺ من حور الأئمة، وفساد العلماء بما كان اشتعالها بالنار عبارة عن: ظهور عيسى عليه السلام والصحابة لوجود الضياء في الاشتعال، ووصفها بالاشتعال بالنار غلبة الدجال على ما غلب منها، والله أعلم وإنما الغرض الإعلان.

فصل
في الحق والخلق

فسبحان من ضرب الأمثال وأبرز الأعيان دلالةً عليه وفضلاً منه إليه، إنه لا يشبهه شيء، وليس في الوجود إلا هو، ولا يستمد الوجود إلا منه، ظهر بتجليه على حضرة الإمكان إلى خليفة الرحمن سيد آل عدنان محمد ﷺ خاتم الأنبياء وخاتم الأولياء.

قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [الأحزاب: 40] فهو مشهد الحق بالحق بذاته ولنفسه، ثم أظهرها وبينها في نبيه محمد ﷺ فهو الكنز ﷺ قوله: ﷺ عن الله تعالى أنه قال: «**كنت كنزًا مخفيًّا لا أعرف فأحببت أن أعرف**»(1) يعني: أعرف بأسمائي.

افهم مثل هذا السرّ الغامض لا يصح إظهاره؛ لأنه علمًا غيبيًّا يطلق عليه من حيث الحقيقة الخلقية الجامعة السلطانية، قوله حاكيًّا عن نفسه: ﴿عَٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ [الزمر: 46] غير الغيب الذات الموصوفة بالكمال الممتازة عن صفات الأكوان، ومن كان في حقيقة اليقين وإرادته ومراده اليقين، اللهم ارزقنا والمحبين لنا كمال اليقين والتوفيق له.

قوله تعالى وإليه الإشارة: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ [الذاريات: 56] .

﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ [الحجر: 85] الذي في مقابله الباطل؛ لأن اليقين إذا ظهر في أمر زال خلافه ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ۝٨١﴾ [الإسراء: 81] والباطل على الحقيقة هو ما هو غير الله فإذا أظهر الله لم يبق لغيره وجودًا، افهم.

(1) سيأتي تخريجه.

وإذا رأيت الأجسام فاعدل إلى رواية المعاني إنما هي ربوبية تولت عبودية، اجلس مجلس من جمع الكل وأفنى الكل، انظر على ما أقول لك؛ لأنا ما عبرنا بالحق إلا بظهوره الذي منه إليه، إشارة على عدم وجوه غير الله تعالى، فظهر من ذا الكلام علو مرتبته ﷺ بقوله: «**إن الوسيلة لأعلى درجة في الجنة، إنها لا تكون إلا لرجل واحد وأرجو أن أكون أنا ذلك الرجل**»[1] ولانفراده ﷺ بجميع الكمالات، ولله الحمد والمنة والشكر على مواهبه، حيث يكون الكشف والتجلي الحقيقي بلا واسطة وحيًّا إلهاميًّا.



(1) ذكره ابن إسحاق في «فضل الصلاة» (44).

فصل
في معرفة النبي ﷺ

وسنذكر لك أيها الطالب الصادق المخلص المتجرد، وقال الله تعالى: ﴿إِن تَسْتَفْتِحُواْ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ﴾ [الأنفال: 19] افهم.

فقال الله: ﴿فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾ [الفرقان: 59] يعني: فاسأل محمدًا في معرفة الله فهو خبير به، أخبر بذلك، لكن نحن وأهل الله والمفسرون الجميع ورد فيه الحديث الصحيح بقوله: «**نحن الأولون ونحن السابقون، وهو أول من تنشق عنه الأرض وأول شافع وأول مشفع**»(1).

قال تعالى: ﴿ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [الأحزاب: 6].

قال الله تعالى في حقه: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ [الأعراف: 199].

وقال: ﴿فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ [آل عمران: 159] وفي أوصافه في التوراة والإنجيل ووصفه ليس بفظ ولا غليظ ولكن يعفو أو يصفح واسمه الهادي.

قال الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾ [يونس: 25].

وفي رواية «**إن آدم لما دعا به فقال الله: من أين عرفت محمدًا ﷺ؟ فقال: لما خلقتني رفعت رأسي إلى عرشك فإذا فيه مكتوب: لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ فعلمت أنه ليس أحد أعظم قدرًا عندك ممن جعلت اسمه مع اسمك، فأوحى الله إليه: وعزتي وجلالي إنه آخر النبيين من ذريتك ولولاه ما خلقتك**»(2) عن ابن مسعود دلالة ظاهرة على ذلك حيث قال: «**إن الله نظر إلى قلوب العباد**

---

(1) أخرجه ابن أبي شيبة (31728)، ومسلم (2278)، وأبو داود (4673)، وأحمد (10985) بالمعنى.

(2) ذكره عياض في «الشفا» (1/ 174).

فاختار منها قلب محمد ﷺ»[1].

وافهم أن محمدًا ﷺ لا يقاس، وفي الأحاديث والدليل على ذلك ما وضع بالإسناد عن رسول الله ﷺ برواية ابن وهب رضي الله عنه إنه ﷺ قال: قال الله تعالى له: «**اسأل يا محمد، قال: فقلت: وما أسأل يا رب؟ اتخذت إبراهيم خليلاً، وكلمت موسى تكليمًا، وأعطيت نوحًا سفينة، وأعطيت سليمان ملكًا لا ينبغي لأحد من بعده، فقال الله تعالى: إنما أعطيك خير من ذلك، أعطيك الكوثر، وجعلت اسمك مع اسمي ينادي به في السماء، وجعلت الأرض طهورًا لك ولأمتك، وغفرت لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، فأنت تمشي بين الناس مغفورًا لك، ولم اصنع ذلك لأحد قبلك، وجعلت قلوب أمتك مصاحفها، وخبأت لك الشفاعة ولم أخبأها لنبي غيرك**»[2] وهذا الحديث الصحيح يشير إلى كمالات الكمالات الإلهية، وتصريح ظاهر بإنفراده ﷺ دون غيره.

فقوله: «**وخبأت لك الشفاعة ولم أخبأها لغيرك**».

وقوله: «**إنما أعطيك خيرًا من ذلك**» يعني: إن هؤلاء الأنبياء المذكورين تجليت عليهم بصفاتي، وتجليت عليك بذاتي، والدليل على ذلك أن محمدًا ﷺ ذاتي، ومن دونه صفاتي، وهو أن الله لم يسم أحد من الأنبياء غيره من أسماء الذاتية على الإطلاق، وسمَّى محمدًا ﷺ بها، سماه بالحق وسماه بالنور صريحًا، وسماه باسم الله كناية له، وسمَّى إبراهيم خليلاً، وفي يحيى أنه برٌّ وغيرهما، معناه: أعطيتك الكوثر؛ يعني: المعرفة الذاتية الإلهية التي يستمد منها كل شيء سواه، ومقارنة اسمه مع الله مع الشهادة، وهو التوحيد الواحد بوحدته من دون كثرة، فلو كان اسم محمد خلاف تلك الوحدة لما ساغ مقارنته مع اسم الله، ودليله في القرآن: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝١٩ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ۝٢٠ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ۝٢١﴾ [التكوير: 19-21].

* * *

(1) ذكره عياض في «الشفا» (1/ 176).

(2) ذكره عياض في «الشفا» (1/ 170).

فصل
في الحقيقة الأحمدية

وافهم النفس البشرية التي بلغت منه غاية الطهارة حتى قيل له: ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ١٧﴾ [النجم: 17] وقد صعق موسى في تجلي الربوبية، وقيل في إبراهيم عليه السلام: ﴿قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ﴾ [الصافات: 105] على سبيل العتاب؛ لأن البشرية من شأنها التعين بالضعف وأخذ الرؤيا على ظاهرها، كذلك وما من نبي من هؤلاء الأنبياء، إلا وقد ظهرت البشرية عليه إلا محمد ﷺ فإن بشريته معدومة لا أثر لها، بخلاف غيره من الأنبياء والأولياء فهم إن زالت عنهم البشرية، فإنما زوالها عبارة عن استتارها كما تستتر النجوم عند ظهور الشمس في صحوها فليس يأتيهم ولو كانت مفقودة بالكلية ليس لوجودها في الحكم حقيقة وبشريته ﷺ بقوله: «**لم يكن يؤمن من الشياطين إلا شيطاني**»[1] أو كما قال مما هذا معناه وعن هذه الطهارة ضرب الله له المثل في بدئه بإخراج دم جوفه حتى شق الملك صدره بحرًا.

وقوله: «**وغفرت لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر**» يعني: ستر وجودي بوجودك فهو ﷺ متحققًا بالله في سائر أحواله من الطفولية والبعوثية والكهولية، فلم يغفل ﷺ في ذلك طرفة عين ولا في الأرحام ولا في الأصلاب؛ لأن نبينا محمد ﷺ لا يغفل في الأصلاب والأرحام لا يغفل عن الله وغيره لم يكن نبيًا إلا بعد كماله وظهوره في العالم[2] الدنياوي، فالله سبحانه ليس معه غيره، ومن أين

(1) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (8/ 269)، والنبهاني في جواهر البحار (1/ 250).

(2) **العالَمُ**: اسم لما سوى الحق تعالى، وإنما بني على هذه الصيغة؛ لأنه اسم لما يعلم به كالطابع اسم لما يطبع به، والخاتم اسم لما يختم به، فكذا العالم اسم لما يعلم به، وذلك لكونه هو العلامة الدالة على موجده، وحقيقة العالم هو الوجود المقيد بصفات الممكنات، ولهذا يطلق عليه بأنه سوى الحق، وهو بالنسبة إلى الحق كالظل، وليس هو بشيء زائد على حقائق معلومة للحق تعالى أولاً، متصفة بالوجود ثانيًا، فجميع الكائنات=

يكون معه غيره إلا منه وبه جل وعلا؟! وعطاياه فائضة على عبده في أزله وقدمه، «**كان الله ولا مكان وهو الآن على ما عليه كان**»[1] فكيف يكون لغيره وجود إلا به؟

وقد قال ﷺ: «**أصدق شعر ما قالته العرب: ألا كل شيء ما خلا الله باطل**»[2].

قوله: ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [هود: 56] أي: إن حدقوا أعينهم، فكلهم

= ليست إلا حقائق معلوماته تجلت من باطن الحق الوجود إلى ظاهره على الوجه الذي عرفت في أغمض المسائل، من كون المراد بتجليها إنما هو تجلي الحق بأحكامها، لأن البطون ذاتي لها على ما مر في بابها، فهو تعالى الظاهر في المظاهر، وهو الباطن عنها، فظهوره باعتبار تجليه في أعيانها، وبطونه باعتبار عين ذاته، التي لا يصح إدراكها لغير ذاته، فهو الظاهر في كل مفهوم، الباطن عن كل فهم، لأن أعرفهم من قال: إن العالم صورة وهو هوية، فهذه التقيدات والتعددات في الوجود الواحد إنما هي أحكام الاسم الظاهر من حيث أن ظاهر الحق متجل لباطنه، فأحكام الظهور تعدد مطلق وحدة البطون، وتلك الأحكام هي المسماة بالقوابل، وهي صور الشؤون التي عرفتها ليست غيرها، وللعالم أنواع منها: **عالَمُ المعاني**: هو حضرة المعاني الذي هو التعين الثاني كما عرفت أنه سمي بذلك لتحقق جميع المعاني الكلية والجزئية، وتميزها في علمه تعالى لاستحالة خلو شيء عن علمه تعالى، **عالَمُ الجبروت**: هو عالم الأسماء والصفات الإلهية والحقائق الكونية في العلم الأزلي، ويسمى مقام الجمع، وجمع الجمع، والمرتبة الثانية للألوهية، **عالَمُ الملكوت**: هو عالم الأرواح والملائكة، **عالَمُ الجَمْعِ**: هو حضرة الجمع التي عرفتها، وقد يعني به عالم الجبروت، ويعني بعالم شهود الوحدة في الكثرة، بحيث يشاهد الذات من حيث واحديتها المشتملة على جميع الأسماء والحقائق، **عالَمُ الأمر**: هو عالم الملكوت، سمي عالم الأمر لوجوده عن أمر الحق من غير سبب، **عالَمُ المُلْك**: هو عالم الأجسام والجسمانيات، **عَالَمُ الخَلْقِ**: هو عالم الجسماني، وهو ما وجد عن الحق بواسطة سبب، **عالَمُ الصور**: يراد به عالم الصور الجسمانية العلوية منها والسفلية، وهو عالم الأجسام، **عالَمُ الغَيْبِ**: يطلق ويراد بذلك ما ليس بمحسوس كعالم الأرواح، **عالمُ الشَّهَادَةِ**: هو عالم الأجسام، **العالَمُ الكبير**: يراد به جملة الممكنات، **العَالَمُ الصَّغير**: يراد به الإنسان، هكذا عند الأكثرين. وقال الشيخ في الفتوحات: «إن العالم الكبير هو الإنسان الكامل، وإن العالم الصغير هو العالم، وذلك لكون الإنسان الكامل قد جمع كل ما في العالم وليس في العالم عند قطع النظر عن الإنسان الكامل، كل ما فيه».

(1) سيأتي تخريجه.

(2) أخرجه أحمد (10076)، والبخاري (3628)، ومسلم (2256)، وابن ماجه (3757).

على صراط مستقيم، كما رجع المعنى السابق واللاحق، فلما رجعنا إلى ما ظهر وبرز في المعهود الأول وحفظ المواثيق الأزلية لنا فيها اليقين والشهود والنعمة بذلك منها، فشربنا من الثدي الألبان شرابها الذوقية؛ لأنها تشهد غلبة الجمالات والكمالات على الحيطة وحق الفناء بمقتضياته، وحق البقاء الواجب له بنفسه لنفسه مستحقة في نفسه بحمده؛ لتجليه علينا بالكمالات، كما أن الله مستحق لا لغيره.

قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣﴾[1] [الفاتحة: 2ـ3] افهم الثانية الكلية بين اسمه الله وبين الحمد، فالحمد هو مقام الحمد، وهو مقام النبي محمد ﷺ وأشار إلى ذلك بقوله: وله لواء الحمد، والله هو المحمود، وهو حقيقة المصطفى ﷺ فهو محمد ﷺ.

قوله تعالى: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [الأحزاب: 6] وولاية مولى المؤمنين أُخي رسول الله ﷺ المبلغ عنه المبين لما اختلفوا فيه من الحق بعده كرم الله وجهه باب مدينة علمه علي بن أبي طالب عليه أجزل السلام: «**من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وآل من والاه وعاد من عاداه**»[2] وقال: عمر رضي الله عنه: هنيئًا لك يا أبا الحسين، أصبحت مولى كل مؤمن، ومؤمن من أحب عليًّا فبحبي أحبه، ومن أبغض عليًّا فببغضي أبغضه.

قوله تعالى: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ﴾ [آل عمران: 61] فدعا عليًّا وقال فيه: أيسأل المرء عن نفسه؟ وما ظننت أن أحدًا

(1) ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ في الباطن، فيعمُّ رحمته المؤمن والقوى والأنفس، كما يعمَّهم الرحمة الرحمانية، فللكافر ظاهر دون باطن؛ لأن لا آخرة له، فإن العاقبة للمتقين، وللمؤمن ظاهر وباطن جميعًا فالظاهر مع الباطن أقوى من الظاهر بلا باطن؛ لأن الظاهر بلا باطن محصور كالدنيا؛ لانتهائها دون الظاهر مع الباطن؛ كالآخرة لعدم نهايتها، وإنما أدخلنا الآخرة في الباطن؛ لأنها قلب الدنيا؛ والقلب باطن بالنسبة إلى القلب، فكما ينتهي حكم الدنيا، ويظهر الآخرة على صورتها؛ فيكون الدنيا باطنة، والآخرة ظاهر؛ فكذا يظهر القلب في الآخرة على صورة القالب، فيكون القالب باطنًا، والقلب ظاهرًا، وبه يصحُّ رؤية الله تعالى كما يصحُّ ذلك في الدنيا بالبصيرة، فانظر إلى هذا، وكن على بصيرة من الأمر، فإن الأمر ليس كما يزعمه المنكرون من المعتزلة وغيرهم، والله رقيب شهيد.

(2) أخرجه الطبراني (5059).

يسألني عن نفسي، هي ولاية الله ورسوله كهارون من موسى، وبرسوله ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ﴾ [المائدة: 55] هي الولاية العظمى، ورسوله هي الولاية الذي هو أولى من ولاية المؤمن بنفسه، والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون، لم يختلف أهل الله أنها أنزلت في علي عليه السلام حين مد يده بالخاتم، وهو في الصلاة راكع، لم يقطعه الإقبال على الحق بالركوع من الإقبال على الخلق بالزكاة، ولم يشغله الإقبال على الخلق بالزكاة عن الإقبال على الحق بالصلاة، **وذلك لا يتم إلا من توجه لله حيث ما توجه إليه كرم الله وجهه ورضي عنه.**

قوله: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ﴾ [آل عمران: 169] فأحيا الخلق آدم وأحيا الآدميين محمد ﷺ لشعاع النور في لحمه ودمه وعظمه وشعره وبشره وظاهره وباطنه، وأكمل حياته بحب ربه إياه، حيث قال عن ربه: «**كنت سمعه وبصره ويده ورجله وقلبه**»[1] فكان حيًّا بالله، فحيا من روح الله هو آدم وعيسى عليهما الصلاة والسلام، قوله: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾ [الحجر: 29].

﴿فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا﴾ [الأنبياء: 91] فكانوا بروح الله بينكم، وهو بنور الله، وهو قلب رسول الله ﷺ.

قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ﴾ [الشورى: 52] أي: وحيا بالله، وهو أن رسول الله ﷺ حبيب الله، اللهم أنا بك أصول وبك أقول وبك أخاصم وبك أفاضل، فأكمل عباد الله حبيب الله، لما أكمله كمالاً ليس وراءه منتهى ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾﴾ [النجم: 42].

﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الحديد: 21].

* * *

(1) سيأتي تخريجه.

فصل
في باب التوفيق

افهم في الحوادث من الذنوب لها، إن شاء الله بالإعراض عنها، لكن توصل المحب إلى طاعة الله على أمر رسول الله ﷺ ويحفظه من خدائع الشيطان الرجيم، والنفس الأمارة والتابعة شهواتها.

قوله في يوسف: ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ﴾ [يوسف: 53] ونحن نكون على استمرار الوقت وتقلباته لا نزال في مواجهة الحق، وإياك الشطط، أمعن النظر والدليل، افهم دال ودليل ومبين ومستدال، الدال: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ﴾ [الحشر: 22].

﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ [المؤمنون: 14].

والدليل: القرآن العظيم، والمبين: النبي محمد ﷺ.

والمستدال: أولو العلم الخلفاء الراشدون، ومن تبعهم والسلف من بعدهم من التابعين، فهذه من فتنة وجوده وكرمه وسعة رحمته، فكنا في تحقيق العبودية.

قوله: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ﴾ [الزخرف: 59] وأنعمنا به عليكم أجمعين، ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍۗ﴾ [لقمان: 28] في العطاء والمنع.

قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَاۖ﴾ [الأعراف: 180] وفي الحديث الصحيح عن النبي ﷺ: «**إن لله تسعة وتسعين اسمًا، من أحصاها دخل الجنة**»[1] وهي عند العارف واضحة ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝٢١ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ ۝٢٢﴾ [البروج: 21ـ22] وفي هذا الكتاب سرّ لطيف، فافهم إن فهمته وإلا فدعه لأهله، وأما الكشف الجلي فهو شمس واضحة ما يحتاج دليل عليه، الزم باب التوفيق قوله: ﴿وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود: 88].

(1) أخرجه أحمد (7493)، والبخاري (6047)، ومسلم (2677).

ومهما عرفنا بابه؛ أعني: باب التوفيق العزيز؛ لأنه في القرآن قليل ذكره؛ لأنه أعز درجات الكملاء أهل الله، ونقول والله أعلم: لما تجلت علينا من الفيض أنوار ظاهرة وباطنة قوله: ﴿كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾﴾ [الإسراء: 20] انظر بقلبك إلى القرآن العظيم كلام الله ليس هو بمخلوق.

قوله: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾﴾ [القيامة: 18-19] انظر في قوله: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾﴾ [طه: 5] من السجدة الثانية هو الرجوع من الحق على الخلق، وذلك هو مقام الكمال، فلا كمال للولي إلا بتحقيق الحقائق الإلهية، وباتِّباعه لمحمد ﷺ وبتأدبه بآداب البشرية لاتِّباع الشريعة، وآداب قلبه، وفي هذا أسرار كثيرة، وافهم ما أظهر لك وقصد ذا الاختصار، كما أن العارف إذا رأى الخلق شهد مآثر الحق فيهم، فنفاهم بصفاتهم وأثبتهم إلى الحق طائعهم، خصوصًا بخلاف أهل المعاصي البارحين على كبائر وصغائر.

وافهم وارجع من صفاتك إلى صفات الله تعالى، فيصير العارف بالله وجوده إلى الله وعلمه إلى الله تعالى وإرادته إلى الله تعالى، وتدبيره إلى الله، وسمعه إلى الله وبصره إلى الله وكلامه إلى الله، فيكون كما قال رسول الله ﷺ: «**إنه يكون سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به**»(1) الحديث صحيح عن الله تعالى، وافهم ﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ﴾ [الأحزاب: 4].

قوله: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ﴾ [ق: 37] فوجِّه الهمة إلى مقابلة الحق، واصرف قلبك عن عداوة الدنيا الحقيرة قوله: ﴿قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ﴾ [النساء: 77] وفي الحديث الصحيح «**ازهد في الدنيا يحبك الله وازهد في ما في أيدي الناس يحبك الناس**»(2) انظر في الحديث يكفي فهمًا إن كنت تطلب الزهد في الدنيا؛ لأن حبها يخرب عمارة القلوب ويفسد الأعمال، ومن وقع في قلبه اليقين زهد فيها، ونفاها عنه فأقول: وبالله التوفيق وإليه يرجع الأمر كله والله الهادي إليه.



(1) سيأتي تخريجه.
(2) سيأتي تخريجه.

فصل
في مشارب التوحيد

فلما بان لنا واتضح لنا الطريق، فكنا راتعين في ميادين الرضا والمواهب وشراب السلسبيل العذب بالنعيم والمواهب من الرب الكريم؛ لأنه قد أخرجنا من الظلمات إلى النور، وجعلنا برحمته من المحسنين، وحفظنا من الشيطان الرجيم المارد اللئيم، وجعل لنا من لدنه سلطانًا، وجعل لنا حظًّا وافرًا من خشيته، ومن الفكر لا سؤال منا، وألزمنا الأدب معه ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر: 22ـ24].

﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴿٣﴾﴾ [الجن: 3] جل وعلا، لا إلٰه إلا هو وسع كل شيء علمًا، وملأ قلوب العارفين إيمانًا وحكمة ونور ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾﴾ [البقرة: 5] ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾ [البقرة: 255].

﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا ﴿١١١﴾﴾ [الإسراء: 110ـ111].

قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾ [الحج: 18]، لا راد لأمره ولا معقب لحكمه ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: 46] لله الحمد والشكر على ما أولانا من نعمة ظاهرة وباطنة.

فلما ظهرت بالمطلوب وله الحمد والمنة، فكنا لا نغيب عن الحضرة الشريفة النبوية ـ على صاحبها أفضل الصلاة والسلام ـ على دوام الله، ولا نجد مثل من نظرنا إلى بصيرة عن الإحاطة بكنهها ظاهرها وباطنها، وفيه علم أخفيناه وبقي في خزائنه المحروسة المحفوفة باللطف من الله العظيم ﴿ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ﴾ [الشورى: 19].

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا﴾ [الفتح: 21] أو مجالسًا لمن جلس معنا، المتعين في المشهود له الرضوان، والآخر نرجو له الغفران، والمجرم له كذلك، لكن مطلبنا عزيز، وافهم عبادنا الأبرار عاشوا في حقائق الأسرار بقدر حكم الأحكام ﴿وَكُلُّ شَىْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ﴾ [الرعد: 8] والصلاة والسلام على صفيه ونبيه النبي الخاتم محمد المختار وآله وصحبه ﷺ المشمرين على قدمه أناء الليل وأطراف النهار، فلا تزال تأخذنا المحبة في الله، ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: 54].

﴿وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود: 88] وعرضًا إلى أوج أعلا طريق، فهي السامية العالية، وهي الغاية التي ما فوقها غاية ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾﴾ [النجم: 42].

﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾﴾ [النجم: 9][1] ولما كشفوا لنا من أسراره

---

(1) قال الشيخ البيطار: **إن سيدنا محمد ﷺ له سر العشر؛ لأنه ظهر بميمين: ميم آدم التي في مبدأ اسمه، وهو نبوته الروحانية التي بدت أولاً من نقطة الروح في جسم آدم الذي هو صورة من صوره، والميم الثانية: من اسم سيدنا محمد ﷺ عنوان دائرة ثبوته الجسمية، فكان نبيًّا بالميم الأولي من الاسم الأول ومن الاسم الباطن، وبالميم الثانية من الاسم الآخر ومن الاسم الظاهر، فهو نقطة دائرة النبوة وقوساها، ومنزلته ألقاب الرابط بين القوسين أو أدنى؛ أي: النقطة، فمنتهى آدم الميمي مبدأ سيدنا محمد ﷺ كما قال: «كنت نبيًّا وآدم بين الماء والطين»** ثم بطنت صورته الآدمية حتى دارت إلى الصورة التي ظهرت في زمن سيدنا أبي بكر وسيدنا عمر وسيدنا عثمان وسيدنا عليّ، فبدأ في خلفائه الأربعة سر التربيع الآدمي، وإنما تضاعف كماله ﷺ للعشر الكاملة؛ لأن الأربعة أصلها الواحد، فتضاعف للاثنين ثم إلى الثلاثة، وإذا جمعت الواحد والاثنين صار ثلاثة، فاجمع الثلاثة أيضًا إلى تلك الثلاثة المضاعفة من الواحد يحصل ستة، ثم تضاعف من الثلاثة إلى الأربعة فاجمع الأربعة للستة تكن عشرة كاملة، وإنما كانت العشرة كاملة؛ لأن بسائط=

الغامضة فلا يظهر منها إلا القليل تكن في مكنونها، وتخفى من نتائج مضمونها، فظهرت شمس ضحاها، وبانت شمسها وقمرها وأنجمها في سمائها.

افهم من تأمل وقابل بالمحو والفناء فيها عاش معيشة مرضية طيبة ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج: 46] والزم معنى التوحيد حقيقة ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: 4].

﴿ٱلْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟﴾ [المجادلة: 7].

في الحديث الصحيح يقول الحق: «**أني جليس من ذكرني**»[1] ليس هو يذكر الخارجة إنما هو يذكر القلب المنور بلا شك ولا ريب، افهم وتفهم يا مخلص وفقك الله توفيق الصالحين العارفين، افهم عند المجلس في الحضرة سريان الرحمة التي سبقت الغضب، افهم ذكرهم يغفر الله الذنوب، وفي مجلسهم تطمئن القلوب ﴿...أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [الرعد: 28 ـ 29] انظر أين المجلس؟ وهو مجلسنا؛ لأن الشيطان والهوى لا يحوم حولنا.

قوله: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾ [الحجر: 42].

﴿إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء: 76] فأقول وبالله التوفيق: لأن عباده الأبرار أهل رتبة اليقين لا عليهم من نفوسهم، فقد أسبل عليهم من الحماية والرعاية والوقاية ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾﴾ [الفرقان: 63] أولئك عليهم خلع الهداية والسعادة السابقة، فكانوا ماشين على الصراط المستقيم ومنهجه القويم ﴿قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾﴾ [الأنعام: 149].

= العدد من الواحد إلى تسعة، ومركباته من أحدى عشرة إلى فوق، والعشرة هي البرزخ الرابط، فنبوة سيدنا محمد ﷺ من الأسماء الأربعة: الأول والآخر والظاهر والباطن، فلذا قال: «إن الزمان قد استدار» وقال: «نحن الأولون الآخرون» فله الكمال الإحدى الذي لا يشاركه فيه سواه؛ لأنه صورة الجميع ومعناهم.

(1) أخرجه أحمد (23512)، وأبو داود (3332)، والبيهقي (6546).

قوله: ﴿يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ أَن تَنفُذُواْ مِنۡ أَقۡطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ فَٱنفُذُواْۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلۡطَٰنٖ ٣٣﴾ [الرحمن: 33].

وقوله: ﴿لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعٗا مُّتَصَدِّعٗا مِّنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ٢١ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٢٢﴾ [الحشر: 21 ـ 22] (1).

---

(1) قال المصنف: فما كان توجه العارف بالله إلا ليرى مقام الإحسان، وفي الحديث: «**إن لم تكن تراه فإنه يراك**» فطريق السلوك إلى الله سبحانه بترك السوى والعلائق الجميع؛ لكونه طالب الاستقامة، وفتح البصيرة على علم والحقيقة، فليس لأحد مدخل، ولا مجال فيها محال أن يصلها واصل إلا من دعته، وتولته من فيضها وجودها، وما ذلك على الله بعزيز، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ [المائدة: 3] لأنه ﷺ خاتم الشرائع، وهو صاحب الاسم الأعظم، فثبت المشي على موضع قدمه الشريف، وهو طريقة المرسلين، والنبيين عليهم أفضل الصلاة والتسليم، وكذلك طريقة الأولياء الأكياس، العارفين بالله؛ لأنه الداعي للخلق أجمعين، وهو الجامع للحقائق الذاتية الأحدية، فلا تكون مشارب الأولين واللاحقين، إلا من هذا المعدن المحمدي، أي: لولا وجود السر، لم يكن لكوني وجود البتة، وقوله تعالى: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوۡسَيۡنِ أَوۡ أَدۡنَىٰ ٩ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَىٰ عَبۡدِهِۦ مَآ أَوۡحَىٰ ١٠﴾ [النجم: 9ـ10] وهو اللوح المحفوظ قال ﷺ «**بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**»، قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ٤﴾ [القلم: 4] فلولا وجوده ﷺ، لم يكن لأحد وجود من الموجودات الكونية، فمن فَهِمَ ذلك استغرق في الشهود، وطلعت على وجهه شمس السعود، وبرزت، وفاحت من أنفاسه تعطير جميع الوجود؛ لأن حياة كل شيء من حياته، ومن علمه، ومن قدرته، وإرادته، كلها من ذلك السر الأعظم من رشحات سر صفاته، وكمالاته، وعنه ﷺ أنه قال: «**أنا مدينة العلم، وعليّ بابها، عليّ مني كهارون من موسى**» وهذا يدل على قرب عليّ ووصلته إليه، وقوله ﷺ: «**أصحابي كالنجوم، بأيهم اقتديتم اهتديتم**» فهم الجميع رضي الله عنهم أجمعين، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيۡتُهُۥ وَنَفَخۡتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ٧٢﴾ [ص: 72] وهذا الروح المحمدي المشار إليه بقوله ﷺ: «**أول ما خلق الله نوري**» وهو المسمى محمد الأمين، قبل أن يوحى إليه، قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلۡمٗا﴾ [الكهف: 65] وكان ﷺ ينطق بلسان مرتبته، فيقول: «**أنا سيد ولد آدم المبعوث بالرسالة إلى خير الأمم، وأفخرها، وأجز لها مواهب وعطايا**».

قوله تعالى: ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: 110] ﷺ وعلى آله وأصحابه المصطفين من العرب والعجم، الذي فارت أنوارهم، ومحت سائر الظلم، ووارثيه من الأولياء أهل مرتبة الكمال، السالكين على الطريق الأقوم، المطلعين بالحق على=

. . . .

= أسرار الله، وبيان مظهر الحق المبين، وسلكوا في هذا الطريق خواص العارفين من أمته، ووراءهم ممن يتبع آثارهم، ويمثل أوامرهم وتحت حكمهم، ومنهم الكامل الذي يكمل به غيره من وقع له من كشف أسرار الحق على مجلسهم ونظرهم، هم المرهم والإكسير الأحمر، والترياق المجرب، ولا يكون اشتغالهم إلا بالطاعات والورع والتقوى، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: 13] إلا أنها مطلب الكامل المكمل وارث الأنبياء والمرسلين، حائز الولاية المحمدية، كاشف الأسرار الإلهية، ومن اطلع على أسرار المشاهدة للمعاني يكون صائنًا لها، ويكون يصون ظهور المعاني والأسرار؛ لأن فيه تحير عقول العقلاء، ويقف ببابه جملة الفضلاء الراسخين في العلم، وقد يتطلع على أسرار غوامض لا يكشفها لغير أهلها؛ لعزة قدرها، وهيهات ما يطمع فيها ويرمقها، ويرفع القناع عن وجوه عرائس معارفها، وجمالها، وابتسام برقها من شت مباسمها إلا أهلها، فحارت في ذلك أهل العلم اللدني الذوقي، فكيف من لم ينظر إلى ظلها الصافي الظليل؟ وقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾﴾ [الضحى: 11] ولا يؤدي شكرها، ويعرف قدرها إلا عارف الإشارة عنده لائحة، والعبارة واضحة، وهو يتكلم بالحق على مراتبه، وقواعده، وفروضه، وسننه، قوله تعالى: ﴿لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ﴾ [الأنفال: 8] هذه قاعدة التوحيد، فهي مقاصد أولي النُهى العارفين الأكياس، وقد أنعم الله عليهم بالفهم فيها؛ ليرى الحق حقًّا، والباطل باطلاً، وفي دعائه: «**ما عرفناك حق معرفتك**» وجميع الصفات الموجودة مستهلكة في عين الوجود، وهو القيوم بذاته المثبت لغيره، ولا له ابتداء، ولا انتهاء، وهو يتكلم بغير واسطة ذاتية، وهو النور؛ إذ به تدرك الأشياء كلها من حيث الطالب لها، والعلم، والعين واحدة، وتتفرق على أبواب وأقسام وأحوال ودرجات، فيفهم منه الكامل على قدره، وحسب طاقة المتوجه؛ حتى لا تأخذه البغتات من التجليات، وقوله تعالى: ﴿يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ﴾ [الأحقاف: 31] فلزم الكل طاعته، وإجابته بالتلبية والرضا، والبشاشة في أوامره ونواهيه، وقوله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ﴾ [الحشر: 7] وقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا﴾ [الفرقان: 45].

والجواب عن هذا إثبات وجود الحق سبحانه وتعالى، وهو الموصوف بالأسماء الإلهية، المنعوت بالنعوت الكمالية الذاتية الربانية، المدعو بلسان الأنبياء والأولياء، وجميع الصالحين: ﴿وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ [الأعراف: 43].

فصل
في حضرة القُدس

افهم هذا العلم المبين عن الحضرة القدسية الموصلة إلى حضرة القدس على بساط الأنس والقرب، فلا يدخل فيه المثال والقياس؛ لأنَّا قد كُشف لنا الحجاب فكان لنا القرب والنوال؛ أعني: لما كُشف العيان لنا الحجاب في جمال صفات الكمال، فكان معنى كشف العيان، فشربنا ولا سكرنا، وسكرنا ولا شربنا، وكُنينا سلمى وليلى ولا سلمى ولا ليلى وبالربِّ والحمى ولا ربًّا ولا حمى فكانت أعلام الولاية ظاهرة بنور المعرفة والمشاهدة، فشاهدنا بعين القلب ما لا يحد حده، ولا يعرف قدره.

وقد أيَّدنا الله من فضله وكرمه في آخر رمضان وذلك سنة وإحدى وتسعين في القرن العاشر، فعلمنا ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر، ظفرنا بها بيانًا، ولا طلبنا من مولانا الله إلا ما مَنَّ به علينا فوق ما في خاطرنا من مواهبه ومنحه وعطاياه، وأذن لنا في التصرف في البر والبحر، وكم في الغيب مع الشهود أنوار رأيناها وحملنا بها، وكنا مصحوبين الهداية.

قوله تعالى: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: 54] فهي السابقة من المنة، والمواهب العظام ﴿قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَـٰلِغَةُ﴾ [الأنعام: 149] في علمه بهم؛ إذ العلم يتبع، والمعلوم ثم السر الذي فوق هذا، وكن تأمل ما في هذا الكتاب.

قوله : ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَـٰبِ مِن شَىْءٍ﴾ [الأنعام: 38].

وقوله: ﴿فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الأنعام: 149] ولا تأخذ الأشياء من مظاهر الكشف، ارحل منها إلى أستاذك؛ لأنه قد يكون فيه عليك دخل من الشيطان الرجيم، وإذا فهمت قوله تعالى ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَـٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَـٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾﴾ [الكهف: 65].

وانظر إلى هذه المرتبة العظمى، وافهم أن كل موجود عند سبب ذلك السبب محدث مثله، فإن له وجهين: وجه ينظر به إلى سببه، ووجه ينظر به إلى موجده،

وهو الله تعالى والناس أكثرهم ناظرون إلى وجوه أسبابهم الظلمانية والمتصنعة، الساقطون في شهوات حظوظهم وغيرهم، إلا المحققين من أهل الله الكملاء الفضلاء، وهم أهل الله تعالى كالأنبياء والأولياء والملائكة عليهم السلام، فإنهم مع معرفتهم بالسبب ناظرون من الوجه الآخر إلى موجدهم، ومنهم من نظره إلى ربه من وجه سببه، لا من وجهه، فقال: «حدثني قلبي عند ربي».

وهذا أعلى وأكمل منه، ودرجته فوق درجته، وعلمه فوق علمه، وهو من قال: «حدثني ربي» وإليه قد أشرنا في كتابنا «المعراج» فإن فيه في ذلك علماً عظيماً لا ناقد ذكرنا من أخذ علمه من الرسوم فأخذه ميت عن ميت، ونحن نحمد الله ونشكره شكرًا دائمًا على الدوام في الدنيا والآخرة، أخذنا علمنا من الحي الذي لا يموت، ومن أتى بشيء من العلم الذي ذكرناه من الرسوم والأحكام على غير وجهها نرى أنه قد استفاد بذلك من غيره من علماء أمثاله، فحكمنا عليه أنه لا يثبت، اللهم أغثهم وريَّحهم في عكوفهم على ذلك والمناجاة والمخاطبة وهنا العارف لا يقول على غير الله، ومن هاهنا قد ذكرنا كنز الذخائر لو نظرت عيني غير الله؛ لأعميتها، ولو سمعت أُذني غير الله لأصممتها، ولو نطق لساني بغيره لقطعته، افهم المحو مع الشهود الذاتي ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٣٩﴾﴾ [الرعد: 39].

ولو رأيت الصفة والخلق فانظر فيهم العدم ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥۚ﴾ [القصص: 88].

﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [الرحمن: 26-27] «**كان الله ولا مكان وهو الآن على ما عليه كان**»[1].

❊ ❊ ❊

(1) ذكره العجلوني في «كشف الخفاء» (2/ 130).

فصل
الرحمة من الجمال

فلما ظهر لنا وبان ظهور قوة سلطان الجمال، فمفهوم الرحمة من الجمال، افهم الحديث النبوي: «**العظمة إزاري والكبرياء ردائي**»[1] افهم واعلم بقرب الإزار والرداء من الشخص لا إلٰه إلا هو ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ [المؤمنون: 14].

قوله: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [يونس: 62ـ 64].

تنبيه:

على من لا ذاق الكشف الجلي، فارجع إلى الحق، واتقن بما أخبر به الرسول الخاتم محمد ﷺ قوله: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأنبياء: 107] فهو الرحمة المحضة السابقة للغضب «**رحمتي سبقت غضبي**»[2].

قوله: ﴿مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [هود: 56]؛ لأن الطريق الأخذ بالناصية، ناصية الكل إليه هو طريق السعادة والتوفيق، ومحض الهداية.

قال الله تعالى: ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾﴾ [البلد: 10] أي: الطريقين: سعادة، وشقاوة وهما راجعان إليه؛ لأنه تعالى منتهى كل سالك.

قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾﴾ [النجم: 42].

---

(1) أخرجه أحمد (9348)، وهناد في «الزهد» (825)، وأبو داود (4090)، وابن ماجه (4174)، وابن حبان (5671).

(2) أخرجه الدارقطني في «الصفات» (16)، وأحمد (7520)، وإسحاق بن راهويه (459)، والبخاري (6969)، ومسلم (2751)، وأبو نعيم في «الحلية» (7/ 87)، والديلمي (5287).

﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ﴾ [العلق: 8] وكيف ما تعرف أنه؛ أي: محمد ـ النسبة بين العبد وربه ـ واعرف باتصاف محمد ﷺ بالأسماء والصفات الإلهية حتى يسلك طريقه القويم وصراطه المستقيم، افهم ما بين الله وبين عبده.

قال الله تعالى جلَّ وعلا: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء: 107] وهو الرحمة التي عمَّت الموجودات جميعها، وإليه الإشارة بقوله: «**ورحمتي وسعت كل شيء**»(1) يعني: أن محمدًا ﷺ هو الواسع للكل لكل ما يطلق إليه اسم الشيئية من الأمور الخفية والأمور الخلقية، فلأجل ذلك ذكره الله تعالى في آخر الآية، فقال: ﴿...فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ﴾ [الأعراف: 156-157] تنبيهًا على أنه من اتبع محمد ﷺ في طريقه المخصوص به دون سائر الأنبياء فسوف يلحق بهم.

معنى قوله: ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾.

«**وإن الله خلق مائة رحمة، منها رحمة واحدة يتزاحم الكل فيها على ما قدروه، وادخر منها تسعاً وتسعين ليوم القيامة**»(2) وهي من رحمة رسول الله ﷺ.

قال الله تعالى: ﴿۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴾ [الأنبياء: 51] معناه: الرشد: أخذ العبد بناصيته إلى الكمال الإلهي.

قوله: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴾ [غافر: 38] قال الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم: 4] والخلق: هو الوصف والأوصاف وهي أوصاف الله تعالى له ﷺ وهو المنفرد بالنهاية والمكانة الزلفى ﷺ فانٍ على ربه في الحال والمقال، ثناء من مقام مقال الامتنان والعجز بين يديه في كلمة ثنائه عليه، متأدبًا في حضرة القدس «**لا أُحصي ثناء**

(1) أخرجه أحمد (11114)، قال الهيثمي (7/ 112): رجاله ثقات؛ لأن حماد بن سلمة روى عن عطاء بن السائب قبل الاختلاط. وعبد بن حميد (908)، وأبو يعلى (1313)، وابن حبان (7454).

(2) أخرجه تمام (606)، وابن عساكر (8/ 259) والعقيلي (4/ 263 ترجمة 1867 مخيس بن تميم الأشجعي)، وابن أبي حاتم في «العلل» (2149) وقال: قال أبي: هذا حديث موضوع؛ يعني: بهذا الإسناد.

عليك أنت كما أثنيت على نفسك»[1] فمحمد ﷺ صاحب لواء الحمد، ومحمد رسول الله الأعظم وعبده الأكرم ﷺ هو النسبة التي بين العبد والرب واعرف ما لله من الصفات والكمال، وما يستحقه الكبير المتعال.

❊ ❊ ❊

(1) أخرجه أحمد (25696)، ومسلم (486)، وأبو داود (879)، والترمذي (3493) وقال: حسن، والنسائي (1130)، وابن ماجه (3841)، وإسحاق بن راهويه (544)، وابن خزيمة (671) وابن حبان (1932)، والبيهقي (608).

فصل
في تجليات الكمال

ولله الحمد والشكر على توالي نعمه ظاهرها وباطنها، وإنما نكون في تجلي ما أورده الله علينا من فيض فضله بالحضرة الكمالية إلى رسول الله ﷺ نشهدها في محمد ﷺ من غير حلول، بل كما هو لله تعالى، فإنه يكمل ويحصل ذلك الصرف إلى الحضرة المحمدية الواحدية الأحدية الفائقة، فما برزت في غيره؛ لأن الأحد لا يوحد من هذا السر إلا بالإذن والأمر من صاحب والي الحقيقة ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾﴾ [النجم: 42].

﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ﴾ [الرحمن: 29] عبارة عن تجليات الحق تعالى، فهو سبحانه له في كل تجلٍّ مخصوص شأن آخر غير الأول، قال في حقه: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: 52] وهو تحقيق التقوى يؤول إلى سبيل الهداية قولاً وفعلاً، وهم خواص أهل الإيمان، والسعي حق التقليد زيادات، وذلك يدخل تحت أمر رسول الله ﷺ وخطابه بـ (سيروا) بسبق المفردوي ويرتقي من السلوك إلى السر، وينادي بالتجليات.

افهم في مقام المفردين المحكوم لهم بالسر لمسابقتهم، وأهل المواهب تضمحل فيه صورة الاكتساب، وانظر في الأذكار له كلمة لا إلٰه إلا الله، وإذا سمعها من الشيخ أول الأمر كان أولى، فإن الكلمة تخرج من الشيخ مملوءة من نور قلبه، فيقع في سمع قلب الطالب الصادق فتغرس له ﴿... كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾ [إبراهيم: 24-25] فكلما قال في صلاته: لا إلٰه إلا الله، وهو العزيز الحكيم.

قوله: ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ [آل عمران: 101].

وقوله: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الرعد: 3].

وقوله: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الصافات: 96].

﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأنبياء: 23].

﴿قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾﴾ [الأنعام: 149].

انظر إلى ما قاله في القرآن العظيم على لسان نبيه الكريم محمد ﷺ قوله: وكيف يسألونك عن الروح؟ ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾ [الإسراء: 85].

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾﴾ [ق: 37].

وكلمة من الله في عيسى عليه السلام وقوله في محمد ﷺ: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾﴾ [النجم: 11].

﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾﴾ [الشرح: 1][1] افهم وأمعن النظر، وخذ من القرآن العظيم ما ظهر لك ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه: 110].

وأشار بقوله: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج: 46].

قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾﴾ [الأنعام: 75] افهم طريق الذوق والشهود، فمن شاهد أنواعاً من الأطعمة، فإذا ذاق منها وأكل اطَّلع على معانٍ غيبية.

قال ﷺ: «**رأيت أني أشرب لبنًا حتى خرج الري من أظفاري فأعطيت فضلي عمر**»[2] فأوله بالعلم أهل العلم بالله.

افهم سماع كلام الله الحق من غير واسطة كسماع نبينا محمد ﷺ في معراجه وفي أوقاته التي أشار إليها بقوله ﷺ: «**لي وقت مع الله لا يسعني فيه**

---

(1) قال الشيخ المصنف: فلمَّا صحت الحقيقة عيانًا وبيانًا يضمحل ويزول حجاب العلم بنور الأعيان فيطوي حسية التكاليف عن عز الأزل حسية رؤيتها تكليفات من الله على العبد؛ لأنه رآها بعين الخليقة، فإذا صار الحق سمعه وبصره رآها بعين الحقيقة أفعالاً صادرة من الله يلتذ بها؛ لأنها تجليات فعليه من الخلق صادرة من صفات الإلهية، تجلَّت في صفات صور مقوماتها المذكورة، فيراها حق الربوبية.

(2) أخرجه البخاري (7007)، والنسائي (7642)، والترمذي (4051)، وأحمد (6286).

ملك مقرب، ولا نبي مرسل»[1] وأشار إليه سبحانه وتعالى بقوله: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعۡمَى ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَلَٰكِن تَعۡمَى ٱلۡقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج: 46] فإن للقلب سمعًا وبصرًا.

انظر إلى هذا السرّ العظيم، ونبهنا عليه في آيات كثيرة، ويكفي من له لب أو نور عقل؛ ليحصل له عين اليقين وحق اليقين، الحق الأول والعين الثاني مظهر سرّ هذا لمن تأمله، فإنه واضح ما يحتاج دليل، فكيف يكون بعد القرآن العظيم والحديث النبوي عن محمد ﷺ شك أو توقف عن أمر ذلك ونهيه؟

قوله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ﴾ [الحشر: 7] فإن رسول الله الوارث الأكمل.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ كَتَبۡنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعۡدِ ٱلذِّكۡرِ أَنَّ ٱلۡأَرۡضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ ١٠٥﴾ [الأنبياء: 105] أرض الخلافة الإلهية، هذا هو المقام الفرد الجامع ﷺ فإن رسول الله ﷺ كان متصفًا بصفة الإرشاد؛ لأنه هدى العالم بعد الضلال، وأرشدهم بعد الغي فهو الرشد باطنًا وظاهرًا أمَّا ظاهرًا: فلمقام نبوته وأمَّا باطنًا: فهو المعطي لكل حقيقة من الحقائق ما يستحقه من كمالها الذي يكون به عين سعادتها، ومُهديها إلى ذلك بنوره الوجودي، ولذلك قال ﷺ: «**كل ميسر لما خلق له**»[2].

قوله: ﴿وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٢٥﴾ [يونس: 25] والعالم الفطن يعجز عن إيضاح القليل من فضائله ﷺ وافهم علم دقيق عزيز؛ لأنه ﷺ لم يمت، والدليل على ذلك قوله: ﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ﴾ [آل عمران: 169] فإذا كان الشهيد حيًّا فما قولك في سيد الشهداء ﷺ ومعرفة عمر رضي الله عنه بهذا السرّ يوم وفاة رسول الله ﷺ قال: «من قال إن محمدًا مات ضربت عنقه» علمًا منه أن رسول الله ﷺ لم يمت، وإنما انتقل من دار إلى دار خير منها ﷺ وهو الرحمة الواسعة السابقة.

قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبياء: 107] وهو

---

(1) أخرجه أحمد (12847)، قال الهيثمي (10/ 374): رجاله رجال الصحيح.

(2) أخرجه أحمد (19847)، والبخاري (7112)، ومسلم (2649)، وأبو داود (4709)، والنسائي في «الكبرى» (11680).

الصبور الاسم العظيم، قال رسول الله ﷺ: «كان رؤوفًا رحيمًا» قوله: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة: 128][1] والدليل على ذلك على أن قريشًا فعلوا فيه ما فعلوا من شج رأسه وكسر رباعيته وأمثال ذلك، فلم يدعُ عليهم ولا انتقم منهم، فخاطبه الحق بلف الأخشبين عليهم فقال لجبريل خطاب منه: «**إنما بعثت اللهم أهدي قومي فإنهم لا يعلمون**»[2] اعتذر ﷺ عنهم إلى الله بقوله: «**لا يعلمون**» ولا أظهرنا فيه من الإطناب إلا شيء قليل من الرحمة، وتتبع الصبر الجميل؛ لأنه نص القرآن: ﴿فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ﴿٥﴾﴾ [المعارج: 5].

﴿وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ [النحل: 127].

والأسرار للجميع مضافات مندرجة تحت هذا السر العظيم؛ لأنه جامع الصفات لها على سبيل غيبوبية ذلك عمن سواه.

---

(1) أخبر سبحانه عن كريم ميلاده ﷺ وعظيم ميعاده ومراده، وشرَّف بها أمّته، حيث اختاره منها باصطفائية رسالته، وعظَّم شأنه، والحمد لله الذي جعل طينته من طينتنا، وشرَّف طينتنا حيث جعلها من طينته، وخَصَّ جوهر روحه من أرواحنا، وشرَّف أرواحنا حيث كانت مع روحه في أول بديهة الأمر من الله سبحانه، وأي كرامةٍ أعظم كرامةً مِن أن الله سبحانه جعل نبيّنا من أنفسنا، وأرسل إلينا بالرأفة والرحمة، وأكرم خلقه حيث جعله رحمةً للعالمين.

(2) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (1447)، وقال: هذا مرسل

فصل
في الحضرة الكمالية

افهم الحضرة الكمالية المنسوبة إلى رسول الله ﷺ فإنه لا يمتد من تلك الحضرة إلا من استمد من أمداده الراسخة من فيض النور الأقدس، ونقول في صفة هيكله مخلوق في أحسن تقويم من أن يرجع إلى أسفل سافلين كغيره، ومن أجل ذلك كان على أكمل نظام وأجمل خلقة، فظهر ﷺ في نهاية من حسن الصورة، واعتدال الخلقة، وكمال الأعضاء وتناسبها، ونظافة البشرة، ورقة الحاسة، وزيادة اللهجة، وحسن الصوت، وبشاشة الوجه وسواد الشعر، وبياض اللون المشرب بالحمرة، وطيب الرائحة، وفصاحة الكلام، وطيب المكالمة، وحسن العشيرة في سائر حركاته وسكناته، ومتوسط القامة بين الطويل والقصير وتماسك الخلقة، وتسوية البطن والصدر، وبعد المنكبين وذريع المشية وحسن الالتفات وخفض الطرف، وكان كاملاً في جميع ما ينسب إليه من خُلقه أو خَلقه.

وقد روينا عن الحسن بن علي ـ رضي الله عنهما ـ أنه قال: سألت خالي هند بن أبي هالة عن خلقة رسول الله ﷺ وكان وصافًا وأنا أرجو أن يصف لي منها شيئًا أتعلق به، قال: كان رسول الله ﷺ فخمًا مفخمًا، يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر، أطول من المربوع وأقصر من المشذَّب، عظيم الهامة، رجل الشعر، إن انفرقت عقيقته فرق وإلا لم يجاوز شعره شحمة أذنيه، واسع الجبين، أزجُّ الحاجبين، سوابغ في غير قرن أشم أكث أدعج مسيح القدمين، فوصفه لا يحصى ولا يعد إلا من الأظهر من وصف الواصفين ما ظهر لهم وإلا هو فوق أضعاف ذلك ﷺ فإنا فتحنا في عقيدة مختصرة لبسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴿١١١﴾﴾ [الإسراء: 111].

قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ

﴿وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ﴾ [النحل: 90][1].

﴿وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ﴾ [العنكبوت: 45] الحمد لله المحمود بجميع اللغات، المشكور على تواتر الأنعام في الأرضين والسماوات، الذي تسبحه الأصوات والنغمات، وتطمع في فضله كل الكائنات، لا تمثله الأفكار، ولا ينهيه المقدار، ولا تحويه الأقطار، ولا تفنيه الأعصار، تنزه في بقائه وعلو شأنه حيث «**كان ولا مكان وهو الآن على ما عليه كان**»[2].

وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له شهادة أدخرها ليوم التلاق، وأُخزي بها المارد اللعين، كعبة أهل الكفر والنفاق، وأشهد أن سيدنا محمدًا ﷺ عبده ورسوله الهادي إلى الصراط المستقيم، الداعي إلى اتِّباع دينه القويم ﷺ وعلى آله وصحبه وأزواجه السالكين سبيل هداه ومنهاجه أجمعين، وكذلك صح الإيمان، وثبت لمن اصطفاه واجتباه واختاره ﷺ وقل: اللهم إني أشهد وإني مؤمن بكل ما جابه من عند الله وقدر، وأن الموت عن أجل مسمى لا يؤخر فأنا مؤمن بهذا إيمانًا لا ريب فيه ولا شك، كما آمنت وأقررت أن سؤال الملائكة في القبر حق، وبعث الأجساد من القبور حق، والعرض على الله حق والصراط والجنة حق، والنار حق، وفريق في الجنة، وفريق في السعير حق، وكرب ذلك اليوم على طائفة حق، وطائفة أخرى لا يحزنهم الفزع الأكبر حق، والشفاعة حق، والملائكة والنبيين والمؤمنين كل له شفاعة حق، والتأبيد للمؤمنين في النعيم المقيم أبد الآبدين حق ويخرجون أهل الكبائر بعد ما انقضى ما جرى بالشفاعة حق ﴿وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهۡتَدِيَ لَوۡلَآ أَنۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُۖ لَقَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلۡحَقِّۖ﴾ [الأعراف: 43] والحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، فسبحان من ليس كمثله شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع البصير، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم نعم المولى ونعم النصير.

---

(1) قال المصنف: قال جبريل للنبي ﷺ: «أمرك الله أن تعطي من حرمك، وتصل من قطعك، وتعفو عمن ظلمك».

(2) تقدم تخريجه.

فصل
في التوحيد الصحيح

وافهم علم غامض ليس يكون إلا لأهله، فإذا الحق بالحقيقة إلا الحي القيوم ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: 11] وإنه قائم بذاته، وما سواه قائم بقدرته ﴿ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ [الأنعام: 96] وكل ما سواه كون قائم تحت تصريف قدرته فهو الحق وما سواه باطل.

وقال بعض العلماء: طلبنا العلم لغير الله فأبى أن يردنا إلا إلى الله، وهذا هو أحسن شكر الله، والله خير الشاكرين، فإن لله حكمة في كل شيء ﴿حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌ فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ ۝٥﴾ [القمر: 5].

افهم نعلمك بالتوحيد الصحيح مركب على أصل صحيح، فتوحيد الأحدية يغلب كل شيء، غالب ولا مغلوب، كن معنا في السجود يستجاب لك في الوجود ﴿وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ۝٢٠﴾ [إبراهيم: 20] ونحن في مواطن جمة لا نشهد إلا صرف الحق، وأسرار عظيمة تنادي بإظهارها، وقوة الحال في إخفائها، فهي مترادفة بعضها من بعض، وهي معارف وأسرار وعلوم لدنية، بأخذ العطشان شربة روية من ماء الحياة الأبدية، ولا يخفى على ذي اللب والفهم، وأمَّا غيره فلا يحوم حول حمانا المانع ودرجتنا العالية.

فافهم واعلم وتحقق أن طريقة أهل الله وأهل التصوف ليس طريقهم مبينة على مخالفة ولا مجادلة ولا تصنع؛ لأنهم في عين الجمع؛ ولأن قلوبهم عاليها النور، وهم قلوبهم مع الله كيف يوحدون.

قوله: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ﴾ [طه: 54].

وقوله: ﴿فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ﴾ [الحج: 5].

وكذلك ﴿إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ﴾ [يونس: 24] جعل ذلك حياتها

فيكون العارف بالله مستغرقاً في السنن والواجبات في الشريعة، ملازم الطريقة، ويطمع في تجلي البصيرة، وتنور القلب، فيرقى مرقى العارف الكامل الزاهد العابد التقي إلا من الخائف الراجي الصادق المخلص في سره وعلانيته، لا يبرح على شيء من السوى فيكون مع الله وبالله ولله، ولا يجد له حركة ولا سكون إلا بالله ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [إبراهيم: 11].

﴿أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: 22].

اللهم اهد المنتسبين في دائرتنا بالهداية والاستبصار والتفكر في باب السعادة، وما يدخلك في الجنة، وما أعد الله فيها لأوليائه، وذكر الجحيم وإحراقها وعذابها في شدة عذابها، نسأل الله تعالى النجاة منها لمن قال: لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ ورجانا فيه أكثر وأجلّ من أن يذكر لأحد من ضعفاء اليقين الجاهلين.

قوله: ﴿وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ۝١٢ وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ۝١٣ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ ۝١٤﴾ [التكوير: 14: 12].

وقوله: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝٤٠ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ۝٤١﴾ [النازعات: 40 ـ 41] فكيف الغافل المصر على غفلاته، يطمع في طلوع السماء في عليين وهو مالكته نفسه الأمارة في سجين، فلا ينفذ في التفكر في الوعد والوعيد، فكيف يطمع في الجنات ونعيمها من هو بمثابة ذلك ﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ۝٦٥﴾ [يس: 65].

قوله: ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: 36][1].

(1) قال المصنف: واعلم أن معرفة الله على التنزيه لا على التشبيه، ومن أعطى معرفة الله بالتجلي، فنظر إلى ما أحبه محمد ﷺ وهو السلطان الأعظم في الحقيقة؛ لأنه جمع جميع الشرائع السابقة واللاحقة، وشريعته الوسطى جميع الشرائع، وهو شاهد لإخوانه المرسلين بأداء الرسالة منهم إلى أممهم، قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ فهو منزه، وهو السميع البصير، الله أعلم حيث يجعل رسالاته، وهو مجمع الخير إلى رسل الله أجمعين، وبها حكم المتقدم والمتأخر، فنالته بشارة الرحمة، ووقع في طريقته، وسلوكه، وتوجهه إلى الغاية القصوى جامعة أمداد الرحمة، فهي متصلة من حيث هي منفصلة، ومن حيث وجودها سارية من المقام، فوقع مجذوبًا بها، وسالكًا إليها؛ لكن مقام الأول أفضل=

. . . .

= من مقام الثاني، الأول واصل إليها بها، والثاني بحسب وصوله بجده واجتهاده، فيقصر عن إدراك درجة العطاء، والمنع، والرضا، والسخط، وجاء هنا الشرع بالعلم المحمدي، حيث قال: «**أعوذ بك منك**» وغير ذلك من العلم، فافهم أن الشرع هو: المستقيم الرحيم، ومن تولاه من غير أمر الله فقد ظلم نفسه، والنشأة الإنسانية تكون ممتثلة طائعة لا تتعدى حدود الله في الشريعة المحمدية.

فصل
في الاتباع الصحيح

فقصدنا بما ذكرناه من التخويف والتنبيه عسى يكون منهم أحد في الالتواء إلى دقيق امتثال، واتِّباع الكتاب والسنة على ما ذكر الخلفاء الراشدون، فكن في الهمّ والحيرة فتصير من المخلصين الناجين الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، فأما من التوي ببابنا ـ باب الله الأعظم ـ فنوصله إلى الله في كن فيكون ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾﴾ [النحل: 40] فلا تزال لازم قرع باب الله حتى يُكتب في قلبك الإيمان واليقين وكن معنا في حجرنا وحمانا تنل المطلوب.

وقوله: ﴿حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [القصص: 57].

﴿وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ [الحج: 27].

وقوله: ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ﴾ [آل عمران: 97] عسى أن يطلعك الله على لائح مشاهدتنا، ويقهر لمن صدق معنا للمعارضات، والالتفات على الغير والسوى.

افهم قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَيْءٍ حَىٍّ﴾ [الأنبياء: 30] ونحن في كل من أخلص معنا الإرادة، وحقيقتنا تكون كالإكسير والترياق المجرب، ونحن نأخذ له من فيض معدنه ﴿فَيَكُونُ﴾ يدخل فيه المعرفة والحياء والعلم والتسليم؛ لأنه إذا أثبت بذلك المعنى والمعرفة يطلع على أسرار خفية أصلية الأنوار، فلا يكون لغيره من التسليم الذي لا يتحقق ذلك من شيخه وأستاذه، وقد رحمه الحق به، وتولاه بجميل لطفه ورأفته ورحمته، فلا يقربه ولا يمسكه طيف الشيطان، فتبصره بما يضره وينفعه.

قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾﴾ [الأعراف: 201] وتأمل إذا شيخك أخذ بناصيتك يذب عنك كيد

الشيطان، فلا عليك منه سبيل في الحالات الجميع، وقد رأيته في سلوكنا مرارًا كثيرة لا نعدها، لعنه الله تعالى لا يدخل لنا بيت ولا مكان في يقظة ولا نوم؛ لأن دائرة الحق علينا منافية، فكان اللعين المارد مدحورًا، لا سبيل على من وقع نظرنا عليه، فذكر في نتائج الحقائق واليقين ونور القلب ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾﴾ [ق: 37].

﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [الممتحنة: 10].

افهم قول الله تعالى جلَّ وعلا: وكن مع الشيخ بين يديه كالميت بين يدي المغسل واحذر من الاعتراض في الخاطر، ولو عاينته قد خالف الشريعة ـ صانه الله من ذلك ـ هذا مثال لا يهلك الضعيف، وإذا سألته في أمر فلا تطلب الجواب عليه، وإذا عرفت أن أحدًا مائل عليه بعداوة أو غضب أو إنكار فاهجره في الله ولا تجالسه، ولا تكثر الخوف، وأحسن الظن برأيك، ومن أحبَّه شيخك، وأثنى عليه فأحبه واقض حوائجه، وإن طلَّق شيخك امرأة فلا تتزوجها بعده، فلا تكن فيك إرادة ومراد إلا ما يريده شيخك، وكن تحت أمره وامتثاله، فهي الهداية.



فصل
في الربوبية والعبودية

وافهم وانظر المعرفة بالله كمال الربوبية، وتعرف نفسك بالعبودية، وتعلم أنه أول كل شيء وبه يقوم كل شيء، وإليه يصير كل شيء، وعليه رزق كل شيء، من استغنى بالله أحوج الله الخلق إليه، ومن افتقر إلى الله وصح فقره بملازمة آدابه أغناه الله عن كل شيء سواه، قوله: ﴿فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ﴾ [يونس: 32].

﴿إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾﴾ [طه: 98].

وتدبر وافهم في الاسم الأعظم ووصله تفهم التوحيد، اعرف نفي الإلهية عما سواه وانتهاءها بلفظ الحصر له وحده لا شريك له ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: 8] والشهود عندنا واضح لمن اتقى ولمن طلبه، لكن طلابه قليل ما هم فلو صح طلابه لوجدوه حاضرًا، وأكثرهم اعتقدوا البعد، وسبق إلى أوهامهم مع الغفلة طول المسافة، ومن كان له طلب فليطلبه في وجوده الواسع.

قال الله عز من قائل: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ [النحل: 53] فذكر النعمة على تواليها وتتابعها، ثم قال: ﴿إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ﴾ [النحل: 53].

قول الله: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ [الرعد: 2] المعنى: وله نظائر جمة كثيرة.

افهم النور الثاقب في صورة الآكل والشارب، فسبحان من تجلى بمظاهرنا موته، وسرى سريان لاهوته في جميع خلقه ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ [المؤمنون: 14] كما أن الإنسان الكامل يسري في جميع الموجودات كسريان الحق فينا وفي كل شيء.

وكان أمير المؤمنين، وولي الله في الأرضين، ورئيس الموحدين علي بن أبي طالب ـ كرم الله وجهه ـ كان يتكلم فيما ورد عليه من الحقيقة بتجلي الوحدة

فقال: «أنا نقطة الباء لبسم الله الرحمن الرحيم، أنا جنب الله الذي فرطتم فيه، وأنا العلم، وأنا اللوح المحفوظ، وأنا العرش، وأنا الكرسي، وأنا السماوات السبع والأرضون، إلى أن صحا عليه السلام في أثناء الخطبة وارتفع عنه حكم الوحدة، وتجلى له الحق بحكم الكثرة، فشرع معتذرًا فأقر بعبوديته وضعفه وانقهاره تحت أحكام الأسماء الإلهية.

قيل: ذلك هو الإنسان الكامل في وقته، وهيهات هذا في حقه وفضله قليل، وفي علي أيضًا ابن أبي طالب ـ كرم الله وجهه ـ بقول الرسول ﷺ: «**علي مني كهارون من موسى، اللهم وآل من والاه وعاد من عاداه، من كنت أنا مولاه فعلي مولاه**»[1] **باب مدينة علمه، أخوه وابن عمه ـ كرم الله وجهه ورضي عنه ـ وكان الرسول ﷺ أعظم دليل على علو منزلة علي وفضله والخلفاء الثلاثة** رضي الله عنهم وزادهم شرفًا وتعظيمًا ومهابة وتبجيلاً ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَىٰ﴾ [طه: 54] افهم.

وقوله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ ۖ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام: 103] [2].

قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾ ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾﴾ [الفرقان: 45-46] ما يكن التفسير بلسان العبارة، بل بحسب التأويل والإشارة، على ما هو عادتهم، وصلاته وسلامه على صفيه الذي اقسم به في إقامة حقه محمد ﷺ وسلم تسليمًا كثيرًا[3].

---

(1) أخرجه ابن أبي شيبة (32132) وأحمد (22995) والحاكم (4578).

(2) قال الشيخ المصنف: على أن ليس غيره سواه لا تدركه غيره، بل مدركه هو الله، فلا غير إلا هو، فهو المدرك لذاته لا غير، فلا تدركه الأبصار؛ لأنها محدثة، فالمحدث لا يدرك القديم الباقي، فهو بعد لم يعرف نفسه؛ إذ لا شيء ولا أبصار إلا هو، فهو يدرك وجوده بلا وجود الإدراك وبلا كيف لا غير.

(3) قال المصنف: فانظر في لطائف المنعم عليك وتجليه، قوله: ﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ﴾ [الشورى: 19] وقوله: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [ق: 16] فأبداه علينا بظهور سرائر الحق الإلهية المختصة بأهل المواهب، عطاياهم كالمطر لا مكاسب، ولاح لوائح القدم في صفائح العدم، ونور القدم بالكشف، فهو سبحان وجهه الكريم، الحالة بالتجلي الذاتي في حقائق الأعيان الثابتة، قوله عن هود عليه السلام: ﴿مَّا مِن دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا ۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [هود: 56] فلا شك أنه أقرب الطرق إلى المنهج=

. . . .

= الأول، اختفت الهوية الإلهية في الهوية البشرية، قوله: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ﴾ [الكهف: 110] وعنه ﷺ: «**إن لله سبعين ألف حجاب**» الحديث الصحيح، وفي حديث علي، كرم الله وجهه: الحقيقة كشف سبحات الجلال من غير إشارة، وإذا تقرب الناس بكثرة الأعمال فلا بأس، ولكن انظر الحديث الصحيح: «**جلسة بين يدي أحدهم خير للعباد من أجر عبادة سبعين سنة صيامها وقيامها**» فلا يزال العبد يتقرب بالرضا في الأفعال، ولا يثقب بكثرة الأعمال، قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟﴾ [فصلت: 30] فما ذكرت كثرة الأعمال، جلّ ربنا أن يطاع؛ لرجائه في الجنة، أو خوفه من النار، وجلّ ربنا، وحاشا أن يعصى عنادًا، وهنا نشير على من تبعنا يكون في سلامة الصدر، ويسيء الظن بالنفس، لا يرضى عن نفسه، ويحسن الظن في عباد الله، فيؤدب نفسه عن كل خلق مذموم، وهم أهل التمكين، الراسخون على القدم المحمدي، وهو الصراط المستقيم، هم صفوة الله أي: أصفياؤه مصطفون من عباده الذين صفت سرائرهم عن رؤية الغير بشهود الحق المتجلي عليهم من فيض الفضل والجود، فإنهم مع الحق في مقام الفناء، فلهم البقاء بالحق، وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ﴾ [الفرقان: 45] له في التفسير علوم جمّة على ما ظهر في ذلك، ويبينونه، وخص به أصفياء الأصفياء ﷺ، وهو صفيه محمد ﷺ الذي أقسم بحياته في إقامته به ﷺ وعلى آله المطهرين.

نص القرآن بقوله: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [الشورى: 23] هم آله الذين خصهم بالشهود الحقيقي بالصفوة، فهم أصفياء الأصفياء، ذكره باسمه الصفي، وصلاته إفاضته الكمال، والخير التام عن سلامة بشريته، وتطهيره عن النقائص كلها؛ لصفاء فطرته التي أقسم الله بها في سورة يس، مرموز بالإيمان إليه بذكر الحرفين الدالين على الوقاية والسلامة، المقتضيين للكمال والتكميل، على أنه قال تعالى في تبليغ الرسالة والدعوة، وأدائهما إلى الله على بصيرة مع ثباته على الصراط المستقيم الذي هو طريق التوحيد الذاتي، ونص عليه بقوله: ﴿يسٓ ۝١ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٣ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٤﴾ [يس: 1 ـ 4] أي: لا يمكن إلا إذا كان الداعي على بصيرة، وهو من أجلّ المقامات وأصعبها، قوله في الحديث: «**شيبتني سورة هود، وأخواتها**» لقوله: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ﴾ [هود: 112] وهو قائم بالدعوة، وهو يرى أنه يدعو من الاسم إلى اسم، فحياة الوجود حياة حضرة الجمع، وهو حضرة الحق؛ بحيث لا يرى شيئًا من الأشياء إلا هو قائم بالله، قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ [الحجر: 85] وقوله: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [**الرعد: 33**] قال الله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝٢٦ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ۝٢٧﴾ [الرحمن: 26 ـ 27] فليس الحجاب إلا أنت، فمتى فنيت ظهرت الحقيقة، فإن العلم حجاب عن المعلوم، فكن مطالعًا للجمع في عين الذات، وهو المطلوب أعني: شهود أفراد الحق في كل ما يصدر عن الكون من الحركات والسكنات، والقبض والبسط، فلا يرى فيه شيئًا من غيره، قوله: =

. . . .

= ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [المجَادلة: 7] المعنى فيه عزيز، ولا يصح إظهاره ليخشى على سامعه؛ لأنه سر التجليات، وهو شهود الأحدية الجمعية المحمدية، ونص بقوله: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١﴾ [النصر: 1] وأمر الاتصال من مدد النفس الرحماني، الرحمة إليه على الدوام، والله أعلم، وهو بكل شيء عليم.

فصل
في الشهود الحقيقي

افهم وامعن النظر الحقيقي الشهود الحقيقي بصفوة الأصفياء؛ لأنه ذكر باسمه الصفي، وصلاته إفاضة الكمال، والخير التام عليه بتنزيهه وتطهيره عن النقائص كلها بصفاء فطرته وسريرته، الذي أقسم الله به في سورة يس مرموزًا بالإيماء إليه بذكر الحرفين الدالين على الوقاية والسلامة المقتضيين للكمال والتكميل، على أنه إقامة الله تعالى في تبليغ الرسالة وأدائها، والدعوة إلى الله على بصيرة مع ثباته على الصراط المستقيم، الذي هو التوحيد بقوله: ﴿يسٓ ۝١ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٣ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٤﴾ [يس: 1، 4].

﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النحل: 60].

﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ﴾ [هود: 123].

وكان لنا من العلم والتحقيق واليقين ما تقر به العين، وتبدي لنا أنواراً لامعة كالبدور الساطعة، ولا يراها إلا الكامل القوي الذي له الروح الواصل، فيكون الكامل العارف يكمل الناس بالظاهر والباطن بالروح والمعنى والقلب لأهله، فإني قد مَنَّ الله علي بنور الكشف الجلي، ورفع لي الحجاب ﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ﴾ [الأحزاب: 4].

وافهم أن في الصورة المحمدية ﷺ الذي خلق منه الجنة والجحيم، واعلم أن الله خلق القوى الصورية المحمدية من نور اسمه المنان واللطيف كل كريم عند الله.

وافهم عن النار قوله: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ﴾ [النساء: 56] نص القرآن العظيم كلام الله العزيز.

وقوله: ﴿أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر: 46].

وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ۝٣٠﴾ [ق: 30] لعدم

التناهي منها، وقوله تعالى: ﴿أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾﴾ [السجدة: 19] ولم يقل جزءًا تنبيهًا على أنه يدخلهم جنة المواهب لا جنة المجازات، ولا جنة المكاسب، فهو نزل لهم، وخزائن الحق والجود والمواهب هي غير مختصة بمن عمل الصالحات، أم لم يعلم؟

فافهم أن الحق تعالى لما خلق محمد ﷺ من كماله وجماله ومظهر جماله وجلاله خلق كل حقيقة في محمد من حقيقته من أجناس أسمائه وصفاته، وخلق نفس محمد من الذات الأحدي، وهو صفات النور والجلال، وهو ﷺ لا يزال طالبًا للمقام المحمود الذي أوعده الله به ﷺ وقد أعطاه الرضا، نص القرآن ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴿٥﴾﴾ [الضحى: 5].

وقد ورد في حديث صحيح عن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن محمدًا ﷺ لا يرضى وواحد من أمته في النار، ولكن نص الحديث: «**عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي عضُّوا عليها بالنواجذ**»(1) **وكان** ﷺ **يخوف أصحابه** رضي الله عنهم ولا يكثر من مذاكرة الرجاء، يخشى على الناقصين أن تأخذهم ما في الأوهام والرجاء الضعيف من قلت التوفيق.



(1) أخرجه أحمد (17184) وأبو داود (4607) والترمذي (2676) وقال: حسن صحيح، وابن ماجه (42) والحاكم (329) وقال: صحيح ليس له علة، والبيهقي (20125) وابن حبان (5) والدارمي (95).

فصل
في الأولياء الكُمل

وانظر في الكُمل من أولياء هذه الأمة في جدّهم واجتهادهم وسلوكهم على طريقة الورع العظيم والخوف، وهم أهل الله العارفون أهل الكمال، واعزم إلى أسنا ما ذكرناه في هذا الكتاب؛ لننظر فيه فوائد جليلة ومنافع عديدة، فوضح بيانه لمن كان له قلب، وفيه أسرار مترادفة بعضها فوق بعض ﴿وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ۝٢٠﴾ [إبراهيم: 20] وهي مشتملة على كنوز خافية خفية لطيفة لمن أرشدناه وأيدناه، فيكون في عين التحقيق، ويمتد بما يروم من منن الله تعالى، وفيها دلائل واسعة.

اللهم أسبل علينا وعلى من التوي بجنابنا فيما يحبه ويرضاه بمنه وكرمه، من وسع رحمته الواسعة الذي سبقت غضبه، واصرف عن المخلصين الشيطان اللعين وأعوانه هوى النفوس واتِّباع الهوى، فمن أرشدناه وطلبناه إلينا كان عليه من الله حفيظًا من الماضي ذكره، ولا يقدح فيمن توجه إلينا، فإني قد دعوت الله فاستجاب لي، فألهمت أن أقول: لا يا جبريل، علمه بحالي يكفي عن سؤالي، وهذا لا يزال من فضله في زيادة تطول بها أعناق المخلصين معنا يوم القيامة، والحمد لله على ما رزقني من نعمائه وأفضاله وكرمه وجوده، وكلما قابلنا من أمداده وهباته قابلناه بالأدب.

وقل قوله تعالى: ﴿تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ [البقرة: 196] ولزمنا في ذلك لمن يكن أهله تحقيق آداب القلب كما هي جامعة علوم الرقائق وآداب الجوارح، هي جامعة الشريعة المحمدية، هي الشجرة الزكية، فتكون منها الثمرة، وقبضنا في مظاهر كانت تظهر علينا فطويناها في خزائن الله جل وعلا.

الحقيقة الجامعة الكل تحت تسخيركم، ولهذا خلق ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ [الجاثية: 13] (1).

---

(1) قوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ [الجاثية: 13]، فأدخل العالم كله أجمع تحت تسخير هذا الإنسان الأرفع، فما من ملأ أعلى إلا بك مشتغل، =

افهم جعل الله الهداية وإرشاد المريدين وأمانهم من كيد النفس والشياطين، فيكونوا صالحين ويحق لهم السعادة في الآخرة، إنه ولي كريم، واترك أهل الرسوم ما ذهبوا إليه؛ لأن من بقي على الرسوم هلك مع طائفة الهالكين المحجوبين، نسأل الله العافية.

قوله: ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [آل عمران: 101] أعني: طريق الهدى، فسبحان الذي لا إلٰه إلا هو العزيز الغفار، الذي أظهر كل شيء بحكمته، وأعطى كل شيء خلقه بقدرته، وأوجد أعيان العالمين برحمته، وأدعوه خوفًا وطمعًا ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: 56].

﴿وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف: 128].

قوله: ﴿وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [الروم: 26].

افهم واصغ وافتح سمعك إن كنت ذا سمع وبصر ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج: 46] افهم إن كنت ذا عقل وعين، فما ترى سوى عين واحدة فيه بلا شك، والطائفة الكرام هم الذين صح فيهم، كأنبياء بني إسرائيل يدعون الناس من حضيض الكثرة إلى أوج الوحدة، الجمع الإلهي ﴿فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾﴾ [القمر: 55].

قوله: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴿٤﴾﴾ [الرحمن: 1: 4] والمفهوم أنها تحيرت العقول السليمة في معرفة الروح ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾ [الإسراء: 85].

﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ﴾ [البقرة: 255] وافهم.

= وما من ملأ أدنى إلا إليك متضرع ومبتهل، ومصل عليك، وملك يوصل سلام من الحق تعالى إليك، وإذا كان الحق مصل عليك فكيف بملائكته؟! ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ [الأحزاب: 56]، وإذا كان الحق جل وعلا ناظر إليك فما ظنك بخليقته؟! وما من فاكهة إلا وهي تنادي بك، فهذا الإنسان الكامل دارت عليه أفلاك الأفلاك والأملاك، فاشكر الله يا أيها الإنسان الكامل بكل ما خصَّك به الجواد الرحمن، هو من كمال هذه المنة، نص القرآن ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [آل عمران: 164]، افهم المنة، الكل في مبعثه لهم، وما ذكرنا في شيء من ذلك إلا بمظهرية الكتاب والسنة والنظرية إلى علم الله بالمرتبة الثانية، وافهم الإشارة في علمنا.

فصل
في تجلي المشاهدة

افهم قولهم في المشاهدة هي أنها تجلي الحقيقة، وهي على أقسام، فالحق تعالى هو العالم وهو المعلوم وهو الشاهد والمشهود.

افهم شهود الذات للذات وهي العينية، وهي تنقسم إلى ثلاثة أوجه، وأكمل الأقسام شهود الذات بالذات في الذات، فإنه مختص ليس لاسم الخلقية مجال، ونحن نقول: ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾ [القصص: 28] فشهد الخلق مظهر الحق تعالى؛ لأنه تعالى تجلى فيهم بأسمائه، والصفات مشهودة كما تجلى، والحق هو الظاهر والمراقب للخليقة، والحق ظاهر في علمه وعلم ذاته، وهو الشاهد والمشهود، والأول والآخر والظاهر والباطن.

وافهم أن هذا العلم عزيز لا يثبت إلا بالإيمان والكشف والعيان، واعلم أن هذا العلم لا ينقله عقلك، وهو يعطيه من يشاء من عباده.

وقال الله تعالى: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: 76] فبان وظهر أن الوجود المطلق إنما ظهر لتفصيله بواسطة الكرم الإلهي، وكل ظاهر من جمال أو جلال، فهو من خزائن الجود في هذا الجود.

قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾﴾ [المؤمنون: 1-2].

وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [المؤمنون: 57].

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾﴾ [المؤمنون: 52].

وقوله تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١﴾﴾ [المؤمنون: 10-11].

وقوله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ﴾ [ص: 29].

وقوله: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [الذاريات: 55] فجعل العارفين الرجاء والخوف والخشوع والخشية والمحبة والرضا ﴿وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ﴾ [البينة: 8].

وقوله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [الأحزاب: 23].

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [البقرة: 157] ثم نادى وخاطب ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [غافر: 16] والعارف بالله أن من الغيب إلى الشهادة، ويدخل منها إلى الغيب من المعاني والتجليات من الكائنات، وغير ذلك مما لا يحيط به إلا الله، لذلك التبس اسمها.

قال: ﴿بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [ق: 15].

﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ﴾ [الرحمن: 29] فلا تزال شمس الذات شارقة بذاتها لذاتها، ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ﴾ [الحشر: 22].

وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الحشر: 24].

وافهم واعلم أن الروح حقيقة الأعظم، ومراتبه وأسماؤه في العالم الإنساني مظهر الذات الإلهية من حيث ربوبيتها، ما يحوم حوله حائم ولا يرومه رائم، نور جماله للتقييد بالاستتار، حيث لا يعلم كنهه إلا الله، ولا ينال هذه البغية سواه، فلما استقوى نورها وإشراقها ظهر ما كان من قوة سناها وتجليها، ما يحملها إلا من استحقها ﴿وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ﴾ [الفتح: 26] وصار مرآة التجلي الإلهي، يسمى بالقلب، وهو مجمع البحرين، والمتلقي للعالمين، الذي وسع الحق حتى صار عرش الله، كما جاء في الخبر الصحيح: «**ما وسعني أرضي ولا سمائي، ولكن وسعني قلب عبدي المؤمن التقي النقي**»(1).

وقلب المؤمن المذكور عرش الله، والمعتبر في الحقيقة واحدة المفروضة باعتبارات حكم الجمع ﴿وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿٢٠﴾﴾ [إبراهيم: 20] وما ذكرناه ما يحتاج إلى التصريح بها، افهم.

---

(1) ذكره العجلوني في «كشف الخفاء» (2/ 195).

قال: النبي ﷺ «**وما ادري ما يفعل بي ولا بكم**»[1] يصرح بالحجاب، وليس المقصود إلا أن يطلع في أمور خاصة لا غير ذلك، فيه معنى غامض جلي نوراني لمن فهم شيئاً منه ذوقًا لا حسًّا، ووصول العارف الكامل إلى أسرار حقية لطيفة، فلا يمكن الشهود الحقيقي الأحدي إلا لأهل التمكين واليقين، وشهود العين بالعين، ثم تصل التفرقة عنهم، هم صفوة الله في خلقه، وأمناؤه في سره، وتعود الكثرة إلى الوحدة، فعلمه بالله فيقول: الوجود الخيالي والتفرقة بالظهور، فدخلت الكثرة في ذاته.

قوله: ﴿فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلۡحَقُّۖ فَمَاذَا بَعۡدَ ٱلۡحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُۖ﴾ [يونس: 32].

قوله: ﴿وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ [آل عمران: 7].

﴿وَمَن يُؤۡتَ ٱلۡحِكۡمَةَ فَقَدۡ أُوتِيَ خَيۡرٗا كَثِيرٗاۗ﴾ [البقرة: 269] وقد حيانا الله بمعانٍ ومغانم كثيرة من فضله وكرمه وجوده مَنَّ علينا يدًا بنعمته من السلوك الأول، فلا تزال في زيادة، وقد أوفر قسمنا يا أهل هذه الأمة، أمة محمد ﷺ ولم يجعلك من أمة غيره من الأنبياء عليهم السلام، وهنا نعم:

منها: أن الحق حق هذه الأمة بدرجة الأنبياء في اتِّباعهم محمد ﷺ وأن عيسى عليه السلام من جملة أمة محمد ﷺ وهو رسول الله وروحه وكليمه، **وقد دخل في أعدادنا، وهذا مقام النعمة الأخرى، وجعلك شهيدًا على سائر الأمم، وهي مرتبة النبوة، فافهم الشهداء أعلى.**

قوله تعالى: ﴿وَيَوۡمَ نَبۡعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٖ شَهِيدًا عَلَيۡهِم مِّنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَجِئۡنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِۚ﴾ [النحل: 89] وعلى أممهم، فقد شوركنا في هذا الموطن، نحشر فيها غدًا مع النبيين، قال الله تعالى: ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: 110] جعلكم الله وسطًا، فذكر وصفنا بالعدالة ﴿لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [البقرة: 143] ونعمة أخرى لم يعطها أحد قلبكم من الأمم، فإنك مؤمن بشرع خاتم الأنبياء، وبمن تقدم، وغير ذلك من النعم.

(1) أخرجه أحمد (3158) والحاكم (4857) والطبراني (20845) والبيهقي في «دلائل النبوة» (1504) وأبو نعيم (7351).

قوله تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ﴾ [الزخرف: 59] فقد وقع لنا مخاطبة كثيرة مع أحد من الأنبياء والمرسلين ـ على نبينا وعليهم أفضل الصلاة والسلام ـ على ذكر فضائل الرسول محمد ﷺ حقيقتهم صادرة عن الله الواحد القهار، شهدوا بالتقديس والتحميد.



فصل
في العلم اللدني لا يفهمه إلا أهله

وافهم العلم اللدني الذي لا يعرفه ولا يفهمه إلا أهله، قوله: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [الذاريات: 55]، ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ﴾ [الروم: 22].

﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: 54]، ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ [المؤمنون: 14]، ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾﴾ [النحل: 40] فذكر الأمر دون الخلق.

وقوله: ﴿وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب﴾ [العلق: 19] وقد صحت القربة بالسجود؛ فالساجد بالواجد علمًا عن الموجود، ونحن ما نتكلم إلا بما يفيض علينا من بحر الحقائق العرفانية والإحسانية بعد الالتماس، وسجودنا خصوصًا في معانٍ وأسرار غامضة، وليس هي لكل ساجد، كم من ساجد يسجد وغفلته أقوى من يقظته.

قوله تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾﴾ [المؤمنون: 115].

وقوله: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾﴾ [القيامة: 36] اللهم افتح أسماع قلوب المخلصين، اللهم إني أسألك العصمة والتوفيق في جميع الأحوال في الدارين، اللهم أنعم علينا من خزائن النعم المترادفة من جملة الأنعام.

قوله: ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا ﴿٦٧﴾﴾ [مريم: 67] فظهر عبده به، فقال تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ﴾ [الزمر: 53].

وافهم الرجاء، وحسن الظن في الله، حسن الظن أرفع درجة من الرجاء؛ لأن الرجاء لا يكون إلا من خوف، وحسن الظن من قرب المعرفة بالله، الحديث الصحيح «**أنا عند حسن ظن عبدي بي فليظن بي ما يشاء**»(1).

---

(1) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (1015، 1016) قال المنذري (4/ 136): أخرجه=

قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَـٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾ [يونس: 25] سبقت الدعوة لمن لبى وأجاب، وسبقت السعادة الأبدية لما دعوا فأجابوا، ولبوا لبيك اللهم لبيك لبيك: «**إن العيش عيش الآخرة فاغفر الأنصار والمهاجرة**»[1] لما كانوا على حفر الخندق، وهو سيد الأولين والآخرين، محمد ﷺ قام عليهم بقدرة الحق لما ورد عليه الوحي جبريل عليه السلام فقال: مُرني يا محمد بما شئت فيهم، فقال: إني بعثت بالرحمة، وهي سبقت الغضب ﷺ.

وافهم لأخلاقه وحلمه ورضاه بما أتاه من الحق؛ لأنه مستغرق في مشاهدة القصوى، وهي سدرة المنتهى ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾﴾ [النجم: 9-10][2] فكان هناك في تلك الحضرة المقدسة، وعقله في زيادة ولم تأخذه الدهشة.

قوله: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ [الشعراء: 193-194] وهو سر غامض ومشرب هين شهي، وإذا ظهر واستقر في قلب العارف[3] ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ﴾ [النُّور: 39] وهو من أهل التمكين والإشارات من خواص أولياء الله. وقوله: ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَـٰنُ أَنَّا خَلَقْنَـٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا ﴿٦٧﴾﴾ [مريم: 67] ثم خاطب بهذا المقام الخاصة، فإن مواهب الله لا تزال على عبده.

= البيهقي عن رجل من ولد عبادة بن الصامت لم يسمه عن أبي هريرة، بالمعنى.

(1) أخرجه الطيالسي (2085) وأحمد (12745) والبخاري (418) ومسلم (1805) وأبو داود (453) والترمذي (3857) وقال: حسن صحيح غريب، والنسائي في «الكبرى» (8317) وأبو عوانة (6930) وابن حبان (2328).

(2) قال المصنف: قوله: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾﴾ [النجم: 9] لارتفاع التمييز والاثنينية، ارحل في طي المعنى المنزه إلى المحبة الأصلية هي محبة الذات، الذات عينها بذاتها، افهم ترشد إلى طريق الهداية والسعادة، إشارة الشرح ﴿لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: 37] فالشهيد هو القوي والقلب والسمع.

(3) **العارِف**: من أشهده الحق نفسه، وظهرت عليه الأحوال، والمعرفة حاله ـ هكذا ذكره الشيخ ـ فإن العالم عنده أعلى مقامًا من العارف خلافًا للأكثرين، وقد قرر ذلك في كتاب «الفتوحات» وكتاب «مواقع النجوم» وقد يعني بالعارف من عرف نفسه فعرف ربه؛ لقوله ﷺ: «**من عرف نفسه فقد عرف ربه**» وسُئِلَ الجنيد عن المعرفة والعارف، فقال: «أن تعرف ما لك».

فصل
في أول موجود

افهم، وانظر في أول موجود هي الحقيقة الإنسانية قبل كل شيء، وهي أم الأشياء كلها، وليست من شيء، وهي نسبة كل شيء، مستغنية عن كل شي؛ ولهذا قال له: ﴿وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا﴾ [مريم: 9] فإن هذا الخلق الذاتي للآدمي نسبة عين إثباته عليها، عليه أفضل الصلاة والسلام بقوله: «**كنت نبيًّا وآدم بين الروح والجسد**»(1) وهو اختلاط التراب بالماء.

قوله: ﴿وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا﴾ [مريم: 67] فإنه قد كان نقله من أطوار العالم، افهم ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ [المؤمنون: 14] وافهم، ويشير إلى ما يعطى من الحقائق بعظيم التعجب عن زكريا ﴿وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا﴾ [مريم: 9] إيماء إلى البروز الأول من غير شيء؛ لأن زكريا عَلَيْهِ السَّلَامُ إنما **تعجب من بشراه له تعالى بيحيى على كبره وامرأته عاقر، فذكر ما هذا أعجب من ذلك، فلا هنا إلا إخراجه من العدم إلى الوجود، وامرأة إبراهيم بشرت بإسحاق،** فقالت: ﴿قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾﴾ [هود: 72] وهذا العجب سرى بينهما.

وافهم مناطق الحق في القرآن العظيم على صفيه ورسوله محمد ﷺ ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ﴾ [الأنعام: 38] وما كان جرى فيهم ولهم، وهذه عندنا هي أعظم النعم وأجلّها، ولا يحصى شكرها، فهو الشاكر لها والذاكر لها. وفي خبر عائشة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - في قيامه في الليل فقال: «**أفلا أكون عبدًا شكورًا**»(2).

---

(1) أخرجه الترمذي (3968) وأحمد (17075)، ابن سعد (7/ 59) وابن أبي شيبة (36553) وابن قانع (1/ 347).

(2) أخرجه البخاري (6471)، ومسلم (7302)، والترمذي (414)، والنسائي (1655)، وابن ماجه (1484)، وأحمد (18737).

وكان ﷺ لا يمر على حجر ولا شجر إلا وهو يسلم عليه، ويسبح الحصى في كفيه، وما أشبه ذلك.

وقال في السماوات والأرض: ﴿ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾ [فصلت: 11].

﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾﴾ [الأحزاب: 72][1] افهم آيات القرآن العظيم، كلام الله ليس هو بمخلوق، ولما تجلى له النور في قلبه، فكان ذلك النور يسري في الجسم، فيكون لازم الباب، لا يكون له التفات إلى شيء دق أو جل، يكون في حالة الرضا.

وقال العارف بالله أدنى محل الأنس والرضا قال: حلمك عن الظالمين أحرق وفتَّت أكباد المظلومين، وكل من العارفين يتكلم على ما ظهر له فهم في عين الرضا، كما قال:

وَعَينُ الرِضا عَن كُلِّ عَيبٍ كَليلَةٌ وَلَكِنَّ عَينَ السُخطِ تُبدي المَساوِيا

فاصغ سمع قلبك إلى ما ذكرناه، فكن من المستمدين من أمداد الحضرة، فهي جامعة العطيات، والمواهب الجزيلة من المنعم الواحد الأحد في العين والذات، افهم أن محمدًا ﷺ هو حامل لواء الحمد، فقامت المحامد والمحاسن به والمحامد الإلهية والكونية كلها من خلق محمد ﷺ وقامت الحقيقة المحمدية[2] بجميع الحقائق، والمحامد المفصلة وهو ﷺ حمد الله بجميع

---

(1) ردُّ الأمانات إلى أهلها تسليم أموال الخلق لهم بعد إشرافك عليها بحيث لا تفسد عليهم، ويقال لله سبحانه وتعالى أماناتٌ وَضَعَها عِنْدَك؛ فردُّ الأمانة إلى أهلها تسليمها إلى الله سبحانه سالمةً مِنْ خيانتِكَ فيها؛ فالخيانة في أمانة القلب ادعاؤك فيها، والخيانة في أمانة السِّرِّ ملاحظتك إياها، والحُكْمُ بين الناس بالعدل تسويةُ القريب، والبعيد في العطاء والبذل، وألا تحملك مخامرةُ حقدٍ على انتقام لنفسٍ [تفسير القشيري (1/ 491)].

(2) قال الشيخ المصنف: لما كانت هذه الحقيقة المحمدية الأحمدية الذاتية جامعة للجهتين والجهات الكل قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزمر: 67]، جل وعلا، فظهرت الخلافة فلها الإحياء والإماتة واللطف والقهر والرضا والسخط وجميع الصفات؛ لتتصرف في العالم وفي نفسها وبشريتها جميعها، ويؤيد ما ذكرناه وما فاض في مظهر قلبه من أنفاس الحقيقة الراسخة في كمالها، وما ظهر إلا من بوارقها بارق سني مضيء حقي=

المحامد كلها، سميت الحقيقة الإنسانية الكمالية بمحمد ﷺ فافهم قوله: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء: 65].

﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾ [الأحزاب: 4].

افهم الوجود الذهني والوجود الخارجي ظلان لذلك الظل والتضاعف والتثنية، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا﴾ [الفرقان: 45] فهو الواجب الوجود الحق الثابت بذاته، المثبت لغيره، الموصوف بالأسماء الإلهية، المنعوت بالنعوت الربانية، المدعو بلسان الأنبياء والأولياء، الهادي خلقه إلى ذاته، الداعي مظاهره بلسانه إلى عين جمعه ومرتبته الوهبية، وهو يعلم تلك الحقائق عينًا، فله الأمر آخرًا، فعين ذات حقيقته، وإن كان غيرها متعينًا، ولا تدركه غيره، كما قال جل وعلا: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ [الأنعام: 103][1].

= لطيف، يكون نسيم أبرد من الثلج من عين واحدة، وهي تنادي بشهود الصرف، ولا لأحد فيها مدخل ﴿إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ [النبأ: 38]، أتاك يكاد برقها يخطف الأبصار، ولا فيه محال على الكل بل هو مختوم في مشكاة خزانة سرّه، ومن هنا معنى ﴿لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: 37] وما يسعه صدور أهل الكمال فكيف بالناقصين هيهات هيهات هيهات، إنها طريق صراطها أدق من الشعر وأحَدُّ من السيف الباتر، لا يعرف لها طول ولا عرض، ولا سماء ولا أرض، فكيف بمن لا يعرف قدرها وعلو شأنها وحقيقة أمرها، ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: 29]، ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [الإنسان: 30]، ولو كنت تعلم أني ما أبرزت في فيضها إلا بالأمر والإذن فكانت ألطف من لمح البصر أو أقرب؛ أعني: ما ذكرته من صراطها وطريقها؛ لئلا يدعيها أهل السلوك الماضين على الكتاب والسنة، يكون عليهم الأمر والنهي، وما هنا إلا أدب القلب وحفظ الجوارح من ما نطق به القرآن العظيم، ونص الحديث النبوي قول محمد ﷺ: «**عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي**» فمن مال من ما أمرهم به نبيهم محمد ﷺ فلا هو منهم ولا يحوم حولهم ﴿عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ﴾ [التحريم: 6].

(1) قال المصنف: جلي ظاهر ولا يُرى، وتشهده الأبصار من حيث لا تدركه، ولا يدرك الأبصار منه سوى الذي تنزه عنه عقول أهل الأمر، فما هنا ولا ثم محبوب سواه، فلما تجلى لنا ببرهان العيان فلا رأينا بأعيننا إلا عينه المعاينة من الإنسان الكامل باب اللحظ، =

﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡمٗا﴾ [طه: 110].

﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ﴾ **[الزمر: 67]**.

﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ﴾ [آل عمران: 30].

وقوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ﴾ [الحديد: 4][1] وهو الحي القيوم العلي المريد القادر بذاته لا بالصفة الزائدة عليها، وأنا أذكر لك لتكون معنا على فهمنا إليك أن الحياة والعلم والقدرة الفائضة منه اللازمة له عين ذاته؛ لأنه لا تبقى صفة، ولا موصوف، ولا اسم، ولا مسمى، إلا الذات فقط في مرتبة واحديته ـ التي هي الإخلاص ـ نفى الصفات عنه، وهي الحقيقة اللازمة.

قوله تعالى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾ [الشورى: 11] فلما رفع الحجاب بالكشف الجلي عن أسراره، ورفع القناع عن وجوده عرائس معانيه، التي فاضت على قلبه المنور، وروحه المطهر من حضرة علم العليم الحكيم القدير بالتجلي منه وإليه، فضله تولى فضله، وإحسانه تولى إحسانه.

قوله: ﴿ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [الحديد: 21].

﴿هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ ٦٠﴾ [الرحمن: 60].

﴿إِنَّ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [الأعراف: 56].

﴿مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [هود: 56].

= ولم يكن استقرار كون من الأكوان عند التجلي القديم، وقال أيضًا: إذ الأبصار إلا وجوده، افهم حقيقة الحق عبارة عن: صورة علمه بنفسه وصفته وتعينه، والمحقق شهود هذه الصفة ومعرفتها تمامًا، إنما يكون بمعرفة أنه الحق متعين بحسب الأمر المقتضى بأنه غير محصور في التعين، ومن حيث هو هو غير متعين صورة علمه بنفسه، فيعرف ذاته متعينة بالنسبة إلى ظهوره هو هو غير متعين.

(1) قال الشيخ المصنف: أي: معية بهذا المعنى لا بمعنى المقارنة كيف ولا وجود لغيره أصلاً، ونفس الإنفراد الحق قوي بالوجود الحقيقي، وإن الظل الممدود المنبسط عن الأشياء ليس إلا وجود الحق المتجلي في صور تعيناته الذاتية، وكونه لملأ ليس إلا سواد عدمية الأعيان التي انتهت إليها، وليس في الحقيقة إلا هو وحده، والظل خيال ما دون الحق شهود اضمحلال ما دون الحق علمًا، ثم ما دون الحق بشهود الحق عين الكل، وعندنا الإخلاص من شهود التنزيه.

وقوله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ [الذاريات: 56].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ۝٥٨﴾ [الذاريات: 58].

الهداية وسلوكها هداية، ووصول إلى السعادة، وطريق الشقاوة ـ نسأل الله العافية ـ هي طريق خلاف السعادة، وأهل السعادة الذين هم على اتِّباع الرسول محمد ﷺ فيما أمر به ونهى عنه، وطريق الشقاوة فيما يخالف أوامره، وكل الطرق الموصلة إلى الله تعالى سواء كان طريق سعادة أو طريق شقاوة، ويفرق بين الطريقين، السعادة ترجع إلى الله من قريب، وما ثم طريق إلا الله، انتهى.

قال تعالى: ﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ۝٨﴾ [العلق: 8] وكل السالكين يهتدون في سلوكهم في طرقهم المختلفة هداية؛ لأن الله منتهي سفرهم إليه.

افهم قوله تعالى: ﴿إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ﴾ [البقرة: 120] وهداية الخواص قوله: ﴿ٱللَّهُ يَجْتَبِيٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِيٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾ [الشورى: 13].

وقوله:

﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِي﴾ [الأعراف: 178].

﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: 157].



فصل
في مقام التوحيد

افهم واعلم أن العارفين المحققين أهل رتبة الكمال يجتمعون في مقام واحد، وهو مقام التوحيد يعبر عنه بالأحدية الخاصة، وقد ينكشف لخواص الأولياء بالكشف، ويكون في ذلك تفاوت في معرفة قدر ذلك؛ وذلك ينتهي إلى التوحيد، وهو عبارة عن حقيقة التعظيم الإلهي المتجلي من منظر الجلال والإكرام، عظيمًا معظمًا، فمن تحقق في هذا المقام كان هو القطب والختام، ولا يفهم ما قلناه وما ذكرناه إلا الفرد الذي صحَّت له العظمة الإلهية، فلزم تعظيم الموجودات بالضرورة، وقال لسمائه وأرضه: ﴿ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾ [فصلت: 11].

وافهم وقوع الكمالات، وأسند الكمال الكلي إلى الحق الذاتي الأحدي، وهو منزه عن التشبيه والنقصان من صفات المرتبة الخلقية، وتعود إلى ما ظهر من قدم الحق ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝٣﴾ [الحديد: 3].

﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي ٱلصُّدُورُ ۝١٩﴾ [غافر: 19].

وفي أيوب عليه السلام: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأنبياء: 83] وهو ما طلب ذلك من ربه إلا أنه لما فقد شهوده في قلبه فناداه لعدم صبره عن شهود جمال الله، فقال: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأنبياء: 83] وغاية الكمال المتجلي له الحق في كل ذرة، وفي ذلك سر عظيم غامض، وإليه الإشارة بقوله: ﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ۝٥٠﴾ [القمر: 50] وقد شاهدنا طرفًا من ذلك من فيض الجود، ونراه كطرفة العين، ونؤيد بها لمن يكون معنا زمانًا طويلاً لا نهاية له.

اللهم كما تعظمت بشأنك وعظيم سلطانك بقهرك ومنعك وعطائك، وهو الظاهر في كل مظهر.

وقوله: «**كنت سمعه وبصره ولسانه**»[1] وغالب الأوقات إذا تجلى علينا من التجلي الجلالي والجمالي فتكون من فيض تجلياته، وقابلتنا مقابلة حسية من مقابلة حسن فيض مقابلة عين جوده من غير واسطة عمل، لكن لا تزال في تلك في أوقاتنا هذه في رياضات أكثر من أوقات السلوك الأول ولو كثرت علينا التجليات؛ لأنا في المقابلة على أحسن حالة، لله الحمد على دقيق الكتاب والسنة.

قوله: ﴿۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَـٰلِمِينَ ﴿٥١﴾﴾ [الأنبياء: 51] والرشد: هو الأخذ بالناصية إلى محل الكمال الإلهي.

قوله: ﴿يَـٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾ [غافر: 38] والرشاد: هو الإيمان الحقيقي، وحقيقة الولي بحقيقته الإلهية وتحققه بها، وكن بالأخذ من البحر الزاخر والمقام الوافر مقام خاتم النبوة وخاتم الولاية محمد ﷺ وهو ﷺ كان متجليًّا بالأسماء، والدليل على ذلك ارتفاع المسخ والخسف بعد بعثه، فإنه ﷺ سبب سلامة العالم من ذلك.

وقوله: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ﴾ [الأنفال: 33] فهو سلامة محضة.

وقوله: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: 285].

وقوله: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ [البقرة: 286].

وافهم خطاب الحق لنبيه وصفيه محمد ﷺ ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ [الأنفال: 4].

وقوله: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: 23] يعني: فوكلوا أمركم إليه، ولا تعترضوا عليه ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ بَـٰلِغُ أَمْرِهِۦ﴾ [الطلاق: 3].

(1) أخرجه البخاري (6137)، وابن حبان (347)، والبيهقي (20769)، وأبو نعيم في «الحلية» (1/ 4) بالمعنى.

وافهم ما أشار إليه أهل الله في طريق التوحيد، وهو المقام الأسنى؛ لأنه المقعد الأقصى والموقف الأعلى، وما دون ذلك من الأحوال[1] والمقامات فكله مصحوب العلل لا صحة لها لبقاء الرسوم فيها.



(1) **الأحوال**: يشيرون بها إلى الواردات التي يحصل بعضها من ثمرات الأعمال الصالحة الخالصة من الأكدار، وبعضها من المواهب الإلهية الخارجة عن العمل والاكتساب، والأحوال اسم لعشرة منازل ينزل فيها السائرون إلى الله تعالى، وهي: «المحبة، والغيرة، والشوق، والقلق، والعطش، والوجد، والدهش، والهيمان، والبرق، والذوق» وإنما سميت هذه المنازل أحوالاً؛ لتحول العبد فيها من التقييدات بالأوصاف المانعة له عن الترقي في حضرات القرب مرتقيًا فيها بسره من دركات نازلة جزئية إلى حضرات عالية كلية، وهي التي يشتمل عليها الاسم الظاهر الذي بتجليه ترى الوحدة في عين الكثرة الظاهرة بالنفس وقواها وآلاتها.

فصل
في فهم التوحيد

وافهم وارجع إلى ما أقول لك به، وأيدك به لما دخلنا بحر التوفيق الطافح، فنادى منادٍ بأعلى مشاهد الشهود، ونفى الأكوان والمصنوعات التي يستدل بها على المكون الصانع، والدلائل كلها ناطقة ليس فيها إلٰه غير الله، والمكاشفة والمعاينة، افهم التوحيد بالأدلة السمعية، وأخبار الكتاب والسنة التي نسمعها من النبي ﷺ كقوله: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد: 19] وقوله: ﴿وَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [البقرة: 163]. ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡكَبِيرُ ٱلۡمُتَعَالِ ٩﴾ [الرعد: 9].

افهم العبودية المحضة الرقية، كن بفقرها الذاتي شهادة ذاتية، وافهم معنى قوله: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا ٩٣﴾ [مريم: 93].

﴿وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ كُلّٞ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ٢٦﴾ [الروم: 26] فلما شاهدنا ما ظهر لنا من جماله وجلاله عيانًا على معرفة مراتبه مع تنزيه الاتصال فنسبته منه كأنه كوناً؛ لأنك مظهر مشاهده عيانًا بالنظر من غير تعينه بجارحة ولا بقيد؛ فالبصر والرؤية صفة اشتراك، وإن كان ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشورى: 11] وقلبك المنور صفة خاصة لك، تشهد بالبصر ممن شهدت، فيكون بصرك قناع السعادة، هذا كله خلة لأهله لمن حصل له هذا التجلي، والمطلوب من الجمال وتجليه، فأبطن كل ما سواه الحق بالتنزيه، ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ١٠٣﴾ [الأنعام: 103] فلا يزال في تجلي وعِزة من المدد الفيضي من منن الله، وهذا مقام الواصل، فلا يخاطب بهذا العلم إلا من له عزم وهمة في مطالب المعارف، افهم وإلا فدعه لأهله.

قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٨﴾ [الحشر: 18] افهم، فهنا ينبوع الفهم أمر كشفي ذوقي، وبحر عميق، شمس الحقيقة هي تجليات الذات وحجة الشهود، إذا فهمت ما

أشرت به عليك مع عبوديتك وفناء رسمك والعبودية حقيقتها ممحوة ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ﴾ [الرعد: 39] ولو أردنا أن نعبره لعبرناه وفصلناه، وبيَّنا معانيه، لكن الزم حسن الآداب أن ترى كل الوجود حقيقة واحدة، له وجه مطلق ووجه مقيد بكل قيد، ومن شاهد هذا المشهد ذوقًا كان متحققًا بالحق والخلق والفناء والبقاء، افهم.

وتسمى حضرة الوجود الحقيقة المحمدية هي الذات مع تعين الأسماء كلها، وهو الاسم الأعظم[1] اتحاد العارف بالمعروف بكونها شيئاً واحداً، وكون ذات المعروف ذاته والعالم حجاباً.



(1) **الاسم الأعظم**: يعنى به كل من الأسماء الذاتية الأولية المسمى مجموعها بـ «مفاتيح الغيب» ويطلق الاسم الأعظم ويراد به اسمه «الله» تعالى؛ لكونه هو الاسم الجامع، ويعنى بـ «الاسم الأعظم» كل واحد من أسماء الإله تعالى عند من يتحقق بمظهريتها، وهو المشار إليه فيما أجاب به أبو يزيد قدس الله سره حين سئل عن الاسم الأعظم فقال: «وأي اسم من أسمائه ليس بأعظم، إن هو إلا أنت إن صدقت فخذ أي اسم شئت من أسمائه فإنك تجده الأعظم».

فصل
بحر التوحيد والعرفان

وشهود العارف بالله استغراقه في بحر التوحيد والعرفان، بحيث تضمحل ذاته في ذاته وصفاته تغيب عن كل ما سواه بالتنزيه.

افهم قوله: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة: 5].

﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [التوبة: 31].

﴿يُرِيدُونَ أَن يُطۡفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَيَأۡبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [التوبة: 32] اللهم زد من المواهب، يا الله يا أرحم الراحمين، ومن العطايا المقدسة والمراتب المؤسسة ما هو أكملها وأعلاها، فلله الحمد قبل وبعد، وجهرًا وسرًّا ثم نادى بقوله: ﴿يَٰقَوۡمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ﴾ [الأحقاف: 31] قلبوا العارفين وسارعوا إلى طاعته وسلكوها على أحسن تقويم على الطريقة المحمدية، طريقة محمد ﷺ قوله: «**عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي عضُّوا عليها بالنواجذ**»[1].

وهم الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ ثم التابعون وتابع التابعين من يومنا هذا إلى يوم القيامة، واجعلنا منهم، وقهم برحمتك يا أرحم الراحمين، فاسلك طريقتهم وارغب في الرفيق الأعلى مثل أبي بكر وعثمان وعلي رضي الله عنهم وعن الحسن والحسين وعن الصحابة أجمعين على تفضيلهم.

افهم واعلم أن العبد المخلص إذا توجه لمقصوده وصح إقباله على فنائه إلى عين بقائه، فكان عبد مشمر على طريق الهدى ﴿هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ﴾ [الأنفال: 4].

---

(1) تقدم تخريجه.

وانظروا معنى الفكر أنه لكل شيء ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [سبأ: 47] لما يثبت له العبودية ونفث عنه الرسوم والحدودية، فمن لم يصح له هذا أو لا، وإلا فهو بصفة الأماني، وهو في حجاب الغفلة، نسأل الله العافية من ذلك.

قوله: ﴿إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾﴾ [طه: 98] فلا تزال في شدة العطش إلى موارد الوصل، ولو نحن نشرب من كؤوس الوصل والمشاهدة وشراب الأسرار الإلهية حقية ظاهرة، ونحن أقوى في مقام الطلب، ومن أقبل وطلب طريق الهدى والرشد فنرشده ونهديه على طريق الكتاب والسنة وعلى الصراط المستقيم، ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الحديد: 21].

والعاذل المحجوب المصدود عن باب معرفتنا ما ذاق شيئاً من العناية والمحبة، ولو ذاقها لكان في طائفة أهل السعادة، فالله تعالى يمنح من يشاء من فضله ويأمن من يشأ بقدرته من فيض فضل وجوده.

قوله: ﴿وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ﴾ [آل عِمرَان: 26].

﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: 8] فسبحان من احتجب عن الخلق لشدة ظهوره، واحتجب عنهم بإشراق نوره، مستغرق بحقيقته عن كل شيء، مفتقر إليه في وجوده كل شيء، ليس بينه وبين الأشياء سبب إلا العناية، ولا حجاب إلا الجهل والتلبس والتخيل، فاحترز منهم بهمتك العالية معنا، واعرج عن كمال الإخلاص الكلي والفناء ونفي الصفات، وكن في الاستهلاك الصرف، ليس في ذاته سواه، ولا في سواه ذاته، فنحن تارة نكون في مجلسنا نذاكر بمظاهر الحق، فكنا في إدراك العرفان، واحترزنا عن إدراك علم الحجاب؛ لأنه فهم علم الرسوم وحب الجاه والمنزلة عنه الخلق فصار علمه؛ إذ هو على هذه المثابة يدعوه إلى الباطل خلاله حقيقة، نسأل الله العافية، فتولتهم النفس اللوامة والشيطان اللعين، وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ﴾ [لقمان: 30] العلي جل وعلا هو الواحد الحق.

* * *

فصل
نور التوحيد

فلما بان لنا نور الكشف الجلي والشهود، وقد يستغنى عن الدليل في التوحيد ونور التوحيد أجلى من كل دليل، فلا تزال في مشيئة الحق مع تلك وصفوة الجمع بحكمه وتقديره، والأشياء على ما هي عليه حتى تكون الأشياء في محلها ومواضعها بحكمه النافذ ومشيئته القاهرة.

ونحن إذا رأينا لوائح ذهبنا إلى أسراره إلى صفاء ما ظهر منه، فيكون معنا فيه البقاء بعد الفناء مع الاستغراق فيه؛ لأن المقام مقام الكمل من أهل الله العارفين، تكون خصائص الأسرار تغيب عن أكثرهم؛ لأنهم يكونون في حال البقاء، يرتدون إلى الخلق لكنهم باقون به، وخواصهم إلى الحضرة الأحدية، فلا لها وصف ولا نعت، وهي في الصمت ﴿لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ [النبأ: 38] ولا فائدة في بثه وإظهاره إلا للمدائح والأخبار، فلا يجوز إلا لمن له قلب منور فيقبل ما جاء من الحق، والمهتدون بأنوار مظاهر الحضرة.

وأشرنا إلى ما ذكره سيدنا علي بن أبي طالب ـ كرم الله وجهه ـ وقد ظهر لنا عنه علوم في معنى ذلك، لا تحمله الصدور ولا تحويه السطور، ونص الحديث الصحيح عنه ﷺ «**أنا مدينة العلم وعلي بابها**»(1) وقال أبو هريرة رضي الله عنه إنه كان يسمع منه أحاديث في أسرار الصحابة رضي الله عنهم.

[وقال ﷺ: «**اللهم وال من والاه وعاد من عاده**»(2) كما قال تعالى: «**ما وسعني سمائي ولا أرضي ولكن وسعني قلب عبدي المؤمن**»(3).

ملك هذا العرش جميع هذه اللطائف فيتصرف فيها ويحكم بحكم المالك

(1) أخرجه الطبراني (11061)، قال الهيثمي (9/ 114): فيه عبد السلام بن صالح الهروي وهو ضعيف. والحاكم (4637).

(2) أخرجه النسائي (5/ 45) وأحمد في المسند (40/ 145).

(3) تقدم تخريجه.

في ملكه، وتصرف الملك في ملكه ألا وهو القطب، تجلى الولاية به، هو الفلك الأقصى القطب الأقصى، من سبح فيه اطَّلع ومن اطَّلع علم.

ونقول في التوحيد: تميز العبد من الرب، وأن يكون عند التميز لا يصح أن يكون عبدًا، ولأن ما سواهم في ظلمة وعمى من حيث صرف وجهها للطبع الذي هو الظلمة العظمى، والحب في الخلق على أصله في العالي والداني، ولست وحب الله من هذا القبيل غير أن أكثر الناس لا يفرقون بين محبة الله سبحانه وبين ظلمة الطبع إلى معرفة الإحسان المقدس من ظلمة الطبع.

فكن في فناك إلى معرفة الحق الصرف ﴿وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿٢٠﴾﴾ [إبراهيم: 20] ولا تحيط به الأماكن فيه، فيدركه الحس بل وجوده من ذاته لذاته علم الأشياء من علمه لذاته جميع الأشياء، لا يفوته شيء جل ثناؤه وتقدست أسماؤه، ولا إلٰه غيره جل وتعالى علوًّا كبيرًا. هنا التوحيد غض الطرف عن الأكوان بمشاهدة من هو منزه عن كل نقصان.

وشربنا من ماء التوحيد فوق الطاقة، وافهم شربنا وما شربنا، فعطشنا وما عطشنا، فروينا وما روينا، وسكرنا وصحينا، وفنينا وبقينا، وغبنا وشهدنا، وعلمنا وعملنا فسدنا وسعدنا، وهو شهود كل شيء في كل شيء.

وذلك بانكشاف التجلي الأول للقلب، فيشهد الأحدية الجمعية بين الأسماء كلها ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة: 31].

فقال: ﴿لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِآدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ﴾ [البقرة: 34] للاتصاف بجميع الأسماء؛ لاتحادها بالذات الأحدية واستتارها بالتعينات التي تظهر في الأكوان التي هي صورها فيشهد كل شيء في شيء.

الفتح المطلق: هو أعلى الفتوحات وأكملها، وهو ما انفتح على العبد من التجليات وتجلي الأحدية المحمدية ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأنبياء: 107] وتجلي الذات الأحدية والاستغراق في عين الجمع لفناء الرسوم الخلقية كلها، والمشار إليها ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴿١﴾﴾ [النصر: 1][1].

---

(1) قال المصنف: فحق مظهر النصر، والحمد لله والشكر قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [الإسراء: 55] وقال تعالى في حق الخلق: ﴿قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ﴾=

الاتصال: هو ملاحظة العبد بعينه، فهذا العبد العارف بالله لا يزال حيث نفس الرحمن إليه على الدوام بلا انقطاع، وانظر سائر الأعيان كلها من الله.

﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الصافات: 96] الحقيقة التي لا استطاع معها للغير لا وجودًا ولا عقلاً، وهذا لضيق عقولهم، لا يعرف الله إلا الله وأما بحسب ظهوره في جميع المراتب باعتبار الأسماء والصفات المقتضية للمظاهر المتناهية الاعتبار وهو السعة كما قيل:

لا تَقُل دارُها بشرقِيِّ نجدٍ ... كلُّ نجدٍ للعامِرِيَّةِ دارُ[1]
فلها منزل على كل ماء ... وعلى كل دارس أثار
فرقينا على البراق سماء ... وشهدنا مشاهد الأنوار
فاخترقنا كل الحجابات جمعًا ... وبلغنا مقامًا شامخًا وأطوار
يا أهل دار العامرية خيموا ... حول بابي تشهدوا الأنوار
واسمعوا نغم حاديا بسعاد ... يا أهل ودي قد خرقت الستار
في سرادق جمال كل حماها ... قد كشفنا قناعها والخمار
رق فيها زجاجة رق خمر ... فأسكر الصب من كرمها والثمار

فلما طلبنا العيان من باب الشهود، فبرز المعنى بما يمكن إيضاحه، وقبضنا عنان المظهر الجلي في ذلك، فخذ ما ظهر ولا تسأل عن التبيين معناه ثقيل، لا يحمله إلا أهله الذين عرفوه وفهموه فصانوه عن غير أهله؛ لئلا يغلط فيها غالط ويجهل فيها جاهل ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾﴾ [القيامة: 18- 19].

وليحصل للمقبل إلى هذا الباب الأعظم والمقام الأكرم ﴿وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ [الأعراف: 43].

= [طه: 50]، فينزل نور ما يشاء وما يشاء إلا ما علم، فحكم به وما علم إلا بما أعطاه المعلوم، فالتوقيت في الأصل للمعلوم، فكما أيدناك بهذا العلم اللدني وقلناه لك، فافهم وأصغ فلك في القضاء والإرادة والمشيئة تبع للقدر، فسرّ القدر القدر من أجل المعلوم، وما يفهمه إلا الله تعالى إلا من اختصه بالمعرفة التامة.

(1) البيت منسوب لـ«أحمد عزت العامري».

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْۗ﴾ [الأنعام: 90].

﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُۚ﴾ [القصص: 56] فالهداية الصرف من الحق إلى الرسول محمد ﷺ، فطالب الرسول عمه أبا طالب بدخوله وإسلامه ومحبته إليه؛ ليسلم لربه الحق الذي خلقه ﴿فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ۝٨﴾ [الانفطار: 8] وفهمنا بالباطن.

والمعنى في ذلك أن محمد ﷺ طالب أبا طالب عمه من الرأفة والرحمة لا هو من حيث النسب والقرب، ولا يصح عليه اللعن، ولنا مع الرسول ﷺ أسوة حسنة لكافة المخلوقات الجن والإنس، فثبت وصح ووجبت اللعنة على أبي جهل؛ لأنه قام لعداوة الرسول محمد ﷺ.

ولكن الرسول ﷺ محله الرحمة الشاملة بالكل هي بالسابقة في الأزل في السعداء والأشقياء.

«**هؤلاء في الجنة ولا أبالي وهؤلاء في النار ولا أبالي**»[1] ولم يعترض عليه معترض هناك أذلاً موجودًا كان، ثم فالكل تحت تصريف أسمائه، فقبضه تحت أسماء بلائه وقبضه تحت أسماء آلائه، ولو أراد سبحانه أن يكون العالم كله سعيدًا لكان، أو شقيًّا لما كان من ذلك في شأن، لكنه سبحانه لم يرد، فكان كما أراد، فمنهم الشقي والسعيد هنا وفي يوم القيامة، فلا سبيل إلى تبديل ما حكم عليه القديم، وقال تعالى في الصلوات: هي خمس وهي خمسون ﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ۝٢٩﴾ [ق: 29][2] لتصرفي في ملكي وإنفاذ مشيئتي في ملكي، وذلك لحقيقة عميت عنها أهل البصائر، ولم تعثر عليها الأفكار والضمائر

(1) أخرجه أحمد (27528) قال الهيثمي (7/ 185): رجاله رجال الصحيح، وابن عساكر (7/ 397) والديلمي (5290).

(2) قال المصنف: قوله: ﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ۝٢٩ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ۝٣٠﴾ [ق: 29-30] فيقول العاقل: يؤخذ كل شيء علي، أمضي الحكم، وصححنا وأضفنا العلوم اللدنية إلى العطشان لها، ولا يكشف شيء من الحقائق إلا أن نحن نظهر شيء من الوصف والنعوت الإلهية، افهم علمه الذاتي من حيث إطلاقه الذاتي لا يصح أن يحكم عليه بحكم، أو يعرف بوصف، وإن انضاف إليه نسبه جل وعلا.

إلا بفضل إلهي وجود رحماني لمن اعتنى الله به من عباده ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الصافات: 96].

﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأنبياء: 23].

﴿قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾﴾ [الأنعام: 149].

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَأَتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾﴾ [السجدة: 13].

ونؤمن بشهادة أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدًا ﷺ نبيه وصفيه الذي اختاره واجتباه، فهو داعٍ ومبشر ونذير، وقوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ﴾ [الفتح: 28] إلى جميع الناس، اللهم صل وسلم عليه، اللهم أنعم علينا بحقيقة الإيمان، وأدخلنا دار الكرامة والرضوان، واجعلنا من العصابة التي أخذت الكتب بالإيمان، وممن انقلب من الحوض وهو ريان، وعلى الصراط كطرفة عين من فيض إنعامه وإحسانه ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ﴾ [الأعراف: 43].



فصل
في الاختصاصية

وإنه لما عرفنا الحق بما أيدنا الله به من فيض إنعامه وفضله وجوده وإحسانه وكرمه، وأطلعني غوامض كشفيات وعلى حقائق تصان أن نبيحها لغير أهلها، فبان لي وظهر لي مرتبته؛ أعني: خاتم المرسلين محمداً ﷺ فكان يخاطب بسر الكشف لبيان السر.

والحال: يا فلان ـ بالاسم الذي سميت به ـ أشكر ما خصك الله به، فقلت: وما أشكر وما أنا عليه من القادرين إلا عين جوده؟ فتبسم ﷺ فنحن خوطبنا بما خوطبنا به، ثم نادى منادٍ في شهود الحقيقة على قواعد الشريعة، فكنا مع تلك لا نميل من الشريعة المحمدية ـ على صاحبها أفضل الصلاة والسلام ـ حرف قدم؛ لأنا كنا في شهود الحق، وشهود عين الحقيقة، والدليل والمدلول، والشاهد والمشهود ﴿وَكَانُوٓاْ أَحَقَّ بِهَا وَأَهۡلَهَاۚ﴾ [الفتح: 26].

قوله: ﴿وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ﴾ [هود: 88] فلما قطعنا العلائق الجميع بالكلية، فكنا لا نرى إلا مشاهدة قرب الحق، ونشهده في كل شيء، وهو قبل كل شيء، فتجلى علينا أولاً بمعرفته، وأفنانا عن غيره، ولا نرى غيره إلا من مظهر الأحدية الذاتية، فكان وسيلتنا، وقطعنا الأسباب لنا، تجلي لنا المسبب فحصل من فيض فضله وجوده، وشربنا من مشرب معدن نبيه وصفيه محمد ﷺ شرابًا رويا ﴿مِن رَّحِيقٖ مَّخۡتُومٍ ٢٥ خِتَٰمُهُۥ مِسۡكٞۚ وَفِي ذَٰلِكَ فَلۡيَتَنَافَسِ ٱلۡمُتَنَٰفِسُونَ﴾ [المطففين: 25 ـ26]. وقد مَنَّ الله علينا وجاد بالاصطفاء المحض والجود الصرف قوله: ﴿ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [الحديد: 21]، ﴿يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ﴾ [البقرة: 105]، ﴿يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثٗا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ﴾ [الشورى: 49] الأحوال والمقامات والإناث درجات عند ربهم ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمۡۚ﴾ [الزمر: 34] وبان لنا عن حضرة الإمكان ﴿كُلَّ يَوۡمٍ هُوَ فِي شَأۡنٖ﴾ [الرحمن: 29] ولما شهدنا ما شهدناه منه فكيف يكون حجاب هنا؟ فلا يرى الحجاب إلا المحجوب.

فصل
في مرتبة خاتم المرسلين محمد ﷺ

ولما بان لي ما بان، فظهرت لي المرتبة؛ أعني: مرتبة خاتم المرسلين محمد ﷺ فكان يخاطبنا بسرِّ الكشف لبيان السر، والحال: يا فلان ـ بالاسم الذي سُميت ـ أشكر ما خصك الله به، فقلت: أشكر وما أشكر وما أنا عليه من القادرين إلا عين جوده وكرمه؟ فتبسم ﷺ وتهلل وجهه من الفرح، فقال: زادك الله تعالى من عطاياه.

فكن في الاستواء الرحماني، والإنباء الرباني، والمقام العرفاني، لا تزال في مشاهدة في بساط الحق الصرف ﴿وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ۝٢٠﴾ [إبراهيم: 20] والصعود إلى أسنى درجة عن منازعة العقول، فترقينا إلى ما طلبنا منه من عين الجود، لا يبذل المجهود، ولا نشهد في التوحيد على الحقيقة دليلاً ولا شاهدًا، بل هو الدليل بما استدلينا به عليه، والشاهد لما شهدناه منه، فكنا في باب الجمع ونفي الكثرة، والفرق سبق بحكمه على الأشياء منها كلها، وتوحيد أرباب الجمع أن يكون مشاهد أن الحق سبق بحكمه في الأزل على كل شيء ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [هود: 4].

﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ۝١٨﴾ [الأنعام: 18] على مقتضى سابق علمه وقضائه، فكل شيء بحكمه وعدله، والعارف بالله يتحقق وقوع الحركات والسكنات بالحق كما سبق بإخفاء الأشياء في رسومها عن المحجوبين؛ لأنهم لا يرون أنها بسبق الحق بإخفاء الأشياء في رسومها عن المحجوبين، فإنهم لا يرون أنها بفعل الحق وحكمه وتقديره في القضاء السابق، وجارية على مجراها، فينسبونها إلى أسبابها ومقتضيات رسومها الخلقية، وتلك الحجاب عن التصرف الإلهي والتقدير الأزلي.

ونحن نقول ـ والله أعلم ـ بإسقاط الحدث، ونعرف الظل والسالكين على سبيل القدم علم بإسقاط الحدث، فلا نرى الأشياء سوى أهل الله إلا بسابقة

حكمه الأزل، فنكون مع الحق فيما جرى من الأحوال، ونشير بالفناء عن الفناء في حضرة الأسماء والصفات إلى الحضرة الواحدية قبل الفناء في الذات الأحدية، فلما تجلى أول تجلٍ وثاني تجلٍ وثالث تجلٍ فلا نحصي ذلك، وإنه لمعطٍ بغير حساب.

فالتجلي الأول: شهود الحق في كل شيء، وهو شهود كل شيء.

والثاني: شهود عين القلب شهود الأحدية الجمعية.

والثالث: تجلٍ منزّه عن التعينات التي تظهر في الأكوان التي هي صورها، فنشهد كل شيء في كل شيء، والفتح القوي تجلي الذات الأحدية الجمعية المحمدية، وكان خاتم النبيين ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمًا﴾ [الأحزاب: 40] ونحن تركنا الحول والقوة إلا بالله العلي العظيم، فلا لنا حركة ولا سكون إلا بالله ولله ومن الله وإلى الله ﴿ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾ [يوسف: 66] وهو حسبي ونعم الوكيل.

وإن رأينا الخلق ما رأينا لهم فعل، فهم في عدمهم، فبتحقيق العدم نصل إلى الحضرة الإلهية من النفس الرحماني، ونستهلك كل كوني حرف مشروط، وإن ظهر وجوده هو بالاسم الإلهي كلَّ، إن كل اسم مقيد إظهاره بحرف إمكاني، ومن شهد الظاهر، كيف لا يفنى به عن مظهر الظاهر، أشهد الجمع ولا يحجبك حق عن الخلق.

قوله: ﴿مَّا خَلۡقُكُمۡ وَلَا بَعۡثُكُمۡ إِلَّا كَنَفۡسٍ وَٰحِدَةٍۚ﴾ [لقمان: 28] والعارف يعطي كل ذي حق حقه ﴿كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥۚ﴾ [القصص: 88].

﴿كُلُّ مَنۡ عَلَيۡهَا فَانٖ ٢٦ وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ٢٧﴾ [الرحمن: 26-27].

قوله: ﴿فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِۚ﴾ [البقرة: 115].

﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۚ﴾ [الأنعام: 73].

* * *

فصل
في الافتقار الذاتي

فلما أثبتنا الفناء ورسوم العبودية كذلك شهدنا فقرها الذاتي شهادة ذاتية، وقوله تعالى: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾﴾ [مريم: 93].

﴿وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [الروم: 26].

وفي القرآن: ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ۚ﴾ [العنكبوت: 49] والتوحيد الحقيقي ذاته بذاته، ونحن صاحون عن نظر الوجود، والموهوم الذي ليس إلا شيئًا خاليًّا لا يحتاج إلى الفناء، ولا له وجودًا حقيقيًّا، ونظرنا إلى عين الذات، ولم تتوقف مع الصفات ولا تزال في المعية إلى عرضة الأحدية، فلا تنكشف الحقيقة إلا لمن عزل عقله بنور الحق، وافهم ما أقول لك به، وامعن النظر والفكر، علم العشق حق الإفهام المجردة الخالصة لله، لتحقق معلومه عن عمائه كثرة الصفات، ويكون القلب المنور بصفاء عن كدورات الاعتبارات، وترتفع الكثرات، والعلوم العقلية كالعالم يقف مع علمه، ولا يصحبه فيه التقوى والخوف فيهلكه علمه، وعندنا هذا لا يكون علماً أبدًا، إلا أنَّا علمنا علمًا عيانًا وبيانًا، وتولانا سلطان المحبة والعشق، وهو سلطان قاهر يوضح المعارف بالله والأسرار والمعاني، وظهر السر بلسان الجمع، وكنا نقول ونطالب أهل الله الجميع في عصرنا وقبل وبعد نطالبهم بالفائدة والسعادة فأجابوا السعداء ولبَّوا.

قوله: ﴿يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ﴾ [الأحقاف: 31].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: 195] هذا الإحسان هو الوصول إلى درجة المحبة في الله ولله، وأن تكون معنا، تكون مع الله صرفًا ونخلصك من صفاتك وشهواتك وحظك تسعد وترقى مراقي، تسعد وترقى في مراقي أهل الله السعداء،

وهذا المطلب هو أعظم الوسائل إلى قرب الله في الوصول، وما بعد إذا دليلاً ولا شاهد، نطقنا بما نطقنا به من إشراق نور الحقيقة الأسنى من فجرها.

افهم إن كنت ذا فهم، فلما شهدنا ما علمنا من أسرار ومعانٍ فلا يدركها إلا أهلها أطلعني الحق على غوامض ودقائق شهودية ذوقية، شيء منها نُبيِّنه وندعو الناس إليه، ونتلطف لهم بالأخلاق الحسنة، نأخذ ما نطق به الحق وخاطب به نبيه ورسوله محمد ﷺ.

قوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [القلم: 4].

وقوله: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ﴾ [آل عمران: 159].

﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: 43] فتوارينا عن أوصافهم وأعمالهم الفاسدة المائلة عن طريق الهداية، فكنا بالرأفة لهم والهداية، والحديث الصحيح عنه: «**اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون**»[1].

انظر إلى هذه الأخلاق الرحمانية، زاد الله تعالى من أنواره وهيئاته وتوفيقه المنظر حتى الواقفين على الباب؛ أعني: باب الله العظيم، وما هنا إلا باب الله العظيم الكريم جل وعلا، لا إله إلا هو وحده لا شريك له، وغير ذلك توهم لا وجود له في الوجود البتة.

قوله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ۝٣٠﴾ [لقمان: 30] وهو الواحد الحق، والله خالق كل شيء وموجده على الحقيقة.

قوله: ﴿وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَٰنٍ﴾ [سبأ: 21] افهم كل شيء منه وإليه، وحكمته وقدرته ومشيئته، إليها يستند كل شيء، وليس هي تستند إلى كل شيء، لا إله إلا هو وسع كل شيء علمًا وحكمه وقدرته لا إله إلا هو ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: 11] له الكلمات التامات، الحمد له

(1) أخرجه ابن حبان (973)، والطبراني (5694) قال الهيثمي (6/ 117): رجاله رجال الصحيح، والبيهقي في «شعب الإيمان» (1448)، والديلمي (2042).

والمجد له، وكل كون باطل في الأزل لا حقيقة لوجوده، بل هي وهما عند من يدعو من دون الله دعوى باطلة، وحدسًا وظنًا لا تحقيق له؛ لذلك قال الله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [يونس: 66] وكل ما كان من جود العلي الكبير، فلله الحمد وله الثناء والمنة والعطايا لنا منه في الرضا والسخط والحب في الله والبغض في الله، ولا يؤثر فينا الصاد والعاذل، ولا نجيبه ولا نقابله إلا بالرضا من الله سبحانه.

فكان المائل يكفيه صده وبعده وقلاه، وفاتته منَّا المنائح والمواهب أول خصلة، وهي قليل من فضل الله وجوده علينا لا يخرج المجرم من مجلسنا إلا مغفورًا له، وهذه من تمام نعمه وفضله علينا، وخصائص عادها من خزائن الله ﴿هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾﴾ [ص: 39] وعطاء بغير حساب وثمار الحكمة التامة ﴿لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُواْ بِٱلْحُسْنَى﴾ [النجم: 31] وما ذكرنا من الأعداد والكثرة فهو راجع في الحقيقة إلى الواحد، والاثنان من شهود الواحد.

افهم في تجليات الحق الواحد قوله: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُواْ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المجادلة: 7] فكنا في السلوك على مدارج السلوك الكلي، وأكثر سيرنا فيه في معرفة النفس، فلما عرفنا النفس عرفنا الحق «**من عرف نفسه فقد عرف ربه**»[1].

افهم، الحق منزه في ذاته، منزه عن المعية، سبحانه وتعالى جل ذاتًا وصفاتٍ وحقيقة بالذات، افهم، العبد الذي وحَّده وأشهده سر الوحدانية في ذاته بتجلي ذاته المقدسة في سره، فقد ظهر لك بهذه المعية، افهم ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: 46] وانظر لما شهدنا ما أيدنا الله تعالى كلما دعاني لبيته، وخصصني بخصائص منه، وكلما دعاني وأعطاني وخصصني فدعيت الخلق عامة، هذا مشهد الواردات في الحضرات؛ لأنَّا في تلك الحقيقة مع الاستهلاك الصرف، ونحن في الصحو صرفًا والسُّكر مقبوض مقهور تحت الحكم، وافهم

(1) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (7/ 302).

في سكرنا من المكان المحمدي الذاتي الذي لا له زجاجة ولا قدح، افهم ليس في ذاته سواه ولا في سواه ذاته، افهم مظاهر الحق لا تعد والحق فيها لا يحد، فنفينا الصفات عنه؛ أعني: الصفات الزائدة، وإلا لا يمكن نفي الصفات التي هي المعروفة، فكيف من أدرك المعرفة بالله؟ فيحترز عن العلم، وعرفنا العارف والمعروف، والدليل والمدلول، والشاهد والمشهود، لا إله إلا هو الحق المبين.

وبعد: افهم أنه لما عرفني وشملني، وأيدني من لطفه الخفي والكشف الجلي، فرأيت حقائق الأشياء على ما هي عليه في ذواتها ومشارقها، فلا أدخل في شيء من ذلك إلا قد اتضح لي في الملك الكريم، سبحانه وتعالى جل وعلا.

قوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ [الجاثية: 13] فأدخل العالم كله أجمع تحت تسخير هذا الإنسان الأرفع، فما من ملأ أعلى إلا بك مشتغل، وما من ملأ أدنى إلا إليك متضرع ومبتهل، ومصل عليك، وملك يوصل سلام من الحق تعالى إليك، وإذا كان الحق مصل عليك فكيف بملائكته؟ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ [الأحزاب: 56] وإذا كان الحق جل وعلا ناظر إليك فما ظنك بخليقته؟ وما من فاكهة إلا وهي تنادي بك، فهذا الإنسان الكامل دارت عليه أفلاك الأفلاك والأملاك.

فاشكر الله يا أيها الإنسان الكامل، بكل ما خصَّك به الجواد الرحمن، هو من كمال هذه المنة، نص القرآن ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [آل عمران: 164] افهم المنة، الكل في مبعثه لهم، وما ذكرنا في شيء من ذلك إلا بمظهرية الكتاب والسنة والنظرية إلى علم الله بالمرتبة الثانية، وافهم الإشارة في علمنا.



فصل
في المعرفة

افهم واعلم علماً دقيقاً يصل إلى معرفة الله تعالى، فلا يكون إلا لمن هو مستوفي الأركان في السنن والواجبات، ولو نقص ركن منه لما كان دليلاً، ولا تصح منه معرفة، وقد أثبت دلالته ﷺ.

قال ﷺ: «**من عرف نفسه عرف ربه**»(1) ونحن نقول لك ارجع عن الشيء الذي نحن نعرفه ونسله ونحمله، لا يقدر أحد أن يقف على حقيقته بعبارة، لكن تومئ إليه بضرب من التشبيه، وبهذا لا ينفصل عن الحق الذي لا يدخل تحت المثال إلا من جهة النقل؛ لأنه يبنى عن حقيقة، ونحن نحيط به علمًا وذوقًا، والتوفيق في هذا لا سبيل إليه فقط.

وقوله: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه: 110] فنقول: شيئية هذا الشيء لا تحد ولا تحصى بالوجود والعدم ولا بالحدث، نُزِّه وهو الله تعالى، وغاية المعرفة الحاصلة وجه النور بلا كيفية ولا صفة ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: 11] سبحان من ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾ [الصافات: 180: 182].

وفهمناك وقررنا لك العلم اللدني الذوقي والمشرب الصافي الهني، وسابق وشَمِّر في تحقيق علم الله تعالى، هنا سرًا سنومئ إليه في هذا الكتاب الجليل، وهي الحقيقة هي العلم وغير ذلك من المعلوم معدوم ممحوًا ﴿يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٣٩﴾﴾ [الرعد: 39] وهنا بحر عميق ما سافر فيه إلا أهله، فدخلوه بلا سفر ولا له ساحل ولا له حد، إلا ما فاض منه عذب زلاله، فاشرب بما أُعطيت، ولا تكثر منه.

---

(1) تقدم تخريجه.

افهم دخول الجَمل في سم الخياط معدوم، ومن خاض البحر بغير آلة حقيقة، فهو كذب وبهتان وضلال وحرمان، ما أصعبها من طريق وأدقها، وفيها الخطأ والخطر إلا لمن أتاها من أبوابها ﴿وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا﴾ [البقرة: 189] وبابها سرّ وضع الشريعة المحمدية والطاعة فيها والأخذ عنها «**عليكم بسنتي وسنة الخفاء الراشدين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ**»[1].

افهم واعلم أن حكم الإمامين والأوتاد يحفظون الجهات، فالإمامان يحفظان عالم الأمر وعالم الخلق، والغيب والشهادة والملك والملكوت، والقطب[2] ينظر إلى الكل وينظر إليه الكل، فإنه مرآة الحق، ومتنزل الأمر، غير أن الأقطاب فضل بعضهم على بعض، وقد جمعتهم الرسالة، فلم تزل الأقطاب بعد ولد آدم شيث عليه السلام واحد بعد واحد يتوارثون، ولكل مقام معلوم متعين منه إلى أن بعث الله محمدًا ﷺ فكانت أقطاب أمته على هذا المنهج ما ليس لقطب من الأقطاب؛ إكرامًا لهم على سائر الأمم ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: 110].

وافهم قوله ﷺ: «**إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلقه الله**»[3] فحصل منه ولأمته ما حصل، ووجد من ما بين زمان آدم وحواء، وعلمه محمد ﷺ قوله: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ۝١٩٩ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝٢٠٠﴾ [الأعراف: 199-200].

❊ ❊ ❊

---

(1) أخرجه أحمد (17182)، وابن ماجه (43)، والحاكم (331)، والطبراني (642).

(2) **القطب**: ويقال له: الغوث أيضًا وهو عبارة عن الواحد الذي هو موضع نظر الله تعالى من العالم في كل زمان، وهو على قلب إسرافيل عليه السلام.

(3) أخرجه أحمد (20402)، والبخاري (5230)، ومسلم (1679)، وأبو داود (1947)، وابن حبان (5974).

فصل
في حزب الله المفلحين

وشمر عن ساق إلى أوج أسنى الطريق الذي مشوا عليه أهل الله العارفون ﴿أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: 22] وأهل قوة الإيمان هم أهل رتبة اليقين، فهي مثل الشمس الضاحية، وأهل الرتبة الضعيفة مثلهم مثل من في مغرب الشمس، لكن يرجون طلوعها باستئثار الحق، وافهم الروح والجسد، افهم الوصول التام، وإليه الإشارة بقوله ﷺ: «**لي مع الله وقت**»[(1)].

وقوله تعالى في الحديث القدسي: «**أوليائي تحت قبابي لا يعرفهم غيري**»[(2)] لسبعة المعروفة المقررة في ألسن الصادقين أهل القلوب الصافية المنورة، هي تحقيق الإنسان الكامل بحقيقته البرزخية[(3)] الجامعة للإمكان والوجوب، فإن قلب الكامل هو ـ والله أعلم ـ البرزخ لها.

انظر ما قاله تعالى جل وعلا: «**ما وسعني أرضي ولا سمائي ولكن وسعني قلب عبدي المؤمن**»[(4)] افهم تجلي عالم الجبروت، هو عالم الأسماء والصفات الإلهية، وعالم الملكوت، وعالم الأمر، وعالم الغيب الأرواح، الروحانيات لا وجدت بأمر الحق بلا واسطة مادة ولا مدة ﴿كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُۚ﴾ [النحل: 37] ونحن نحمد الله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، أشهدنا ذاته وصفاته

---

(1) ذكره العجلوني في «كشف الخفا» (2159).

(2) ذكره الغزالي في «إحياء علوم الدين» (6/ 455).

(3) قال المصنف: افهم البرزخية بروز الواحد الحق يصورها صاحب الزمان وصاحب الوقت، والحال هو المتحقق بجمعية البرزخية الأولى المطلع على حكم، والداخل والخارج وتصرفات ماضية ومستقبلة من الآن الدائم، فهو طرف لأحواله وصفاته وأفعاله، فلذلك يتصرف في الزمان في القبض والبسط المتحقق بالحقائق، ويفعل ما يفعل في طور وراء أطوار، وفاض عنه وجه السعادة في تجلي مظهر الجمال وعظيم النوال.

(4) تقدم تخريجه.

وأسماءه وأفعاله بالمعرفة التامة.

افهم أن الله ينظر إلى العالم بنظره إليه فيرحمه بالوجود، قوله تعالى: «**لولاك ما خلقت الأفلاك**»[1] والإنسان المتحقق بالاسم البصير، فإن كل ما يبصر من العالم من الأشياء، فإنها ببصره ويتحقق ويشرب من ماء الحياة وعينها؛ أعني: الحياة الذي من شرب منها لا يموت أبدًا؛ لكونه حيًّا حياة الحق، وكل حي في العالم فحياته بحياة هذا الإنسان؛ لكون حياته حياة الحق.

افهم وانظر إلى حقيقة الذات الأحدي، افهم تعرف الحقيقة، وافهم العلم اللدني الفارق بين الحق والباطل، والقرآن العظيم هو العلم اللدني الجامع للحقائق كلها، وهو المتصرف في الزمان والقبض؛ لأنه المتحقق بالحقائق.



(1) ذكره العجلوني في «كشف الخفاء» (2/ 164).

فصل
في الخلق والحق

ونشير إلى فتح باب الله الأعظم[1] [...] وهو أن الحقائق المكنونة في الذات الأحدية قبل تفاصيلها في الحضرة الواحدية.

وقال بعض العارفين من أهل الله لمن له عين القلب ونور البصيرة: نرى في الخلق وجود الحق بصور أعيانها وصفاتها، فلما ظهر النور وبان افهم في قوله: «**كنت كنزًا مخفيًّا لا أعرف فأحببت أن أعرف**»[2] افهم ما بين الإخفاء والظهور.

قوله: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ﴾ [الأنعام: 59] التي تنفتح بها الأبواب المسدودة، مجمع البحرين هي حضرة قاب قوسين، افهم واعتبر المحبة ﴿يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: 54][3] هي محبة الذات عينها بذاتها إلا باعتبار من زائد؛

---

(1) قد تكلم الشيخ الأكبر عن الاسم الأعظم في «الفتوحات المكية» (3/ 119) فقال: الاسم الأعظم الذي لا مدلول له سوى عين الجمع وفيه الحي القيوم ولابد، فإن قلت: فهو الاسم: الله، قلت: لا أدري، فإنه يفعل بالخاصية، وهذه اللفظة إنما تفعل بالصدق إذا كانت صفة للمتلفظ بها بخلاف ذلك الاسم، ولكن الظاهر من مذهب الترمذي أن رأس الأسماء الذي استوجب منه جميع الأسماء إنما هو الإنسان الكبير وهو الكامل، وإذا كان هذا فهو الأول في طريق القوم أن يشرح به رأس الأسماء فإن آدم علمه الله جميع الأسماء كلها من ذاته ذوقًا فتجلى له تجليًّا كليًّا فما بقي اسم في الحضرة الإلهية إلا ظهر له فيه فعلم من ذاته جميع أسماء خلقه.

(2) ذكره السيوطي في «الدر المنثور» (1/ 15).

(3) قال المصنف: هي محبة الذات عينها بذاتها إلا باعتبارًا من زائد؛ لأنها أصل جميع المحبات وأنواعها الجميع، فكل ما بيناه أول، والثاني أبين، ومرتبة الأرواح المجردة، ومرتبة النفوس الكاملة، وهي عالم المثال، وعالم الملكوت، ومرتبة عالم الملكوت، ومرتبة عالم الملك، وهو عالم الشهادة، ومرتبة الكون الجامع، وهو الإنسان الكامل الذي هو محي الجميع وصورة جمعيته، وقال أيضًا: افهم الأبد أو الإخفاء، والغيب والشهادة، والكشف والحجاب، والصور والسرّ الذي به يعقل ما ذكرناه، وهو عرشه المجيد.

لأنها أصل جميع المحبات وأنواعها الجميع، فكل ما بيناه أول، والثاني أبين، ومرتبة الأرواح المجردة، ومرتبة النفوس الكاملة، وهي عالم المثال، وعالم الملكوت، ومرتبة عالم الملكوت، ومرتبة عالم الملك، وهو عالم الشهادة، ومرتبة الكون الجامع، وهو الإنسان الكامل الذي هو محي الجميع وصورة جمعيته.

وافهم الاعتبارات إصلاح العالمين والمعلومين، فهي مرتبة أصلية، وترتيب كل المراتب متنزلة، وما عداها كلها بحالي باطنه أو ظاهره، ولا يمكن تجلٍّ لأحدية الذات إلا للإنسان الكامل، فلما تبين عندنا عواقب الأمور، وكل باب من أبواب المعرفة أسداه إلينا بالمنة منه، وفيض عين جوده، فكنا نعمل أعمال ونوضح إيضاح، وكانت لنا المساعدة في سلوكنا، ويتيسر كل عسير وسهالة الرياضات مع شد الإزار، و [...] أيام لا تعدها، فما كنا في ذلك نرى لغير الحق وجود يرى في كل واجب، ولا نرى الغير عندنا إلا كما الوثن، فلا غيره يرجى، ولا عنه يستغنى، وكل ما رأيناه فإنه هو الظاهر المشهود، وهو الذي يظن، ولا ثم عندنا إذا قابلنا الوهم والخيال، نعوذ بالله من ذلك، ولا نشهد الغير في التحقيق إلا لوهم، فهذا سبيلنا وطريق جمهور أهل الله، ولا يلتفت يمينًا ولا يلتفت يسارًا.



فصل

فحقق عنا ما أوردناه عليك أيها الصادق المقبل، وامح الأثر والأين، ولا ثم أثر ولا أين، فكان شهودنا العين بالعين، ونقوم بالواجب الأهم من الحقوق في الأعمال الصالحة، قال ﷺ: «**أمرت أن يكون نطقي ذكرًا وصمتي فكرًا ونظري عبرة**»(1) ونقتبس كل منها الغيوب رؤية الحكمة في ظواهر الخلقية إلى رؤية الحكيم، ومن ظواهر الوجود إلى باطنه، حتى يرى الحق وصفاته في كل شيء ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [طه: 98].

﴿حِكْمَةٌ بَٰلِغَةٌ﴾ [القمر: 5] والحمد لله على ما أنعم، فلست أرى في الوقت قربًا ولا بعداً أو حالاً في التعظيم من كل جانب وعادت صفات الخلق حقًّا بلا عيد، إلا من أثبت نفسه، نسأل الله العافية لنا الله يقينًا، أسألك كمال اليقين والثبات في الدين، وإبقاء لصورته هنا وهناك شيئًا سوى الله تعالى، افهم ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾ [الأنعام: 103] جلي ظاهر ولا يُرى، وتشهده الأبصار من حيث لا تدركه، ولا يدرك الأبصار منه سوى الذي تنزه عنه عقول أهل الأمر، فما هنا ولا ثم محبوب سواه، فلما تجلى لنا ببرهان العيان فلا رأينا بأعيننا إلا عينه المعاينة من الإنسان الكامل باب اللحظ، ولم يكن استقرار كون من الأكوان عند التجلي القديم.

وافهم إشراق النظر في أعين لا حاجب، والرقباء الذين هم أهل الحجاب، فافهم لو شهدوا من الجمال المطلق لكانوا سلموا من الأفكار والشك، والغالب في أوقاتنا الصحو مع السكر؛ أعني: شرابه الذي من شرب به من العارفين تاه وعربد؛ وهو لأنه ما حمله، ونحن لما نحا حجاب الستر والستور، وخلع العذار تتلألأ الأنوار، أنوار الحق من كل جهة على كل وجه، فاستوى عندنا السر والجهر، الغالب على مبادئ المحبة منا، وسلطان العشق ومحض المحبة من غير

(1) ذكره الغزالي في «إحياء علوم الدين» (4/ 183).

تمازج، فلما فنينا ظهرت فينا شمس اليقين، فكنا بلا كون؛ لأنك كنت هو، وذكر عمر بن الفارض رضي الله عنه:

ولـي مِـن أتَـم الـرّؤيَـتـيـنِ إشـارةٌ تُـنَـزِّهُ عـن رأيِ الـحُـلـولِ عـقـيـدتـي

وذلك لأنه لما قدر الملك على التلبيس بما يشاء من الصورة بلا حلول بقدر الحق مع كمال قدرته أن يتلبس بصورتي، فهو غارق مستهتر في المحبة، وقد سُمي باسم سلطان العاشقين و«ذا» اسم مستقل لكل من وقع عليه سلطان المحبة والعشق، فلما شربنا محاضرة العشق الصرف فأنجد لها عندنا زائد أبدًا إلا كل ما شربنا من ذلك استقوى معنا مقام الاستقامة.

قـــولـــه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [فصلت: 30] هي جنة المعارف عند رتبة أهل الكمال، ولا تزال في التقيد للشرع المجدي المظهر لما قيده الله به، وكنَّا في الكشف، وهي الشريعة الكاملة.



فصل

ونحن أخذنا العلم عن الله تعالى، وإنما يسمى العلم بالعلم المأخوذ عن الله لكونه علمًا، وخص رسول الله ﷺ العلماء بالعلم، إنما ورثوا العلماء العلم بالله الوارثة في العلم والحال والمقام.

افهم المحيطة الختمية المحمدية هم الكُمل من أقطاب المقامات والعلوم والمشاهدات، وهو خاتم الولاية الخاصة المحمدية في مقام الختمي بوراثته أكمل الوراثات والكمالات، والسعة والإحاطة لعلوم رسول الله ﷺ وأحواله ومقاماته وأخلاقه يقظة ومنامًا ومطابقة في الجميع، أخذ من أمره في أمره حتى أنه جرى منه وإليه وعليه، وهو الرحمة التي وسعت كل شيء ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ ۝١٠٧﴾ [الأنبياء: 107].

وقد أمر الله أن تسعكم، فكونوا أعوان الله ورسوله في إيصالها إلى الطالبين؛ لأن عموم الخلق في حجاب عظيم عن حقيقة الأمور بجهل عميم غالب عن مدركهم عن جلية السرّ، فلا يصلون إلى الحق في علومهم، ويصلون إلى حجاب الخلق عن الحق، يبنون الأمر على الفرق والتمييز، وخذ من القرآن العظيم إلا الله وحده في الوجود والشهود كل بحسب خصوصياتهم من حيث ما هم عليه على هذا الأول، فأراد رسول الله ﷺ بأمر الله أن ينقذهم من الضلال، فهو ﷺ أكمل الرحمة وأجلها وأفضلها، وهي الرحمة السارية في الجميع والشهود معنا في أفكار عالية ما ذكرنا منها إلا ما يمكن إظهاره بالإذن والتمكين، فكل من ذكرته الرحمة فهو سعيد، وما ثم إلا من ذكرته الرحمة، وذكر الأشياء عين إيجادها.

قوله: ﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [الأعراف: 156] فكل موجود له حصة من الرحمة، ولا يحجبها، والحق نطق: ﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ﴾ فكنا نرجع إلى الكتاب والسنة، قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: 31].

وافهم أن الرحمة لها الأثر بوجهين، وكونه فيها أحكام وعلوم، وهي أقرب

إلى الرجاء، فعزلنا إلى عبارات جمة: الحسنة بعشر أمثالها ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا﴾ [الأنعام: 160].

﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ﴾ [الكهف: 58] وتدل على علوم جامعة، لكنها رحمة سابقة الغضب، والرحمة تنال على طريق الوجوب.

قوله: ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [الأعراف: 156] وما قيدهم به من الصفات العلمية والعملية، والطريق الأخرى التي تنال بها الرحمة، رحمة طريق الامتنان الإلهي الذي لا يقترف به عمل.

قوله: ﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [الأعراف: 156].

﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: 2] ومنها أيضًا: «**اعمل ما شئت فقد غفرت لك**»(1) فافهم ذلك، وإن رحمة الله وسعت كل شيء وجودًا وحكمة، والأسماء الإلهية من الأشياء، وهي ترجع إلى عين واحدة، ولا سبيل إلى انكشاف تعين الرحمة، وقد أشار في القرآن العظيم: ﴿وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [يس: 12].

وقوله: ﴿وَكُلَّ شَىْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا﴾ [الإسراء: 12] وسيأتي بيان ما نذكره لك، ﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ﴾ [الأحزاب: 4].



(1) أخرجه مسلم (29)، وأحمد (10384)، وأبو يعلى (6534)، والحاكم (7608).

فصل

ولما تجلى علينا بأحسن المعاني ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: 29] في بعض روايات الكشف الجلي، فقال: يا عبدي جاءتك السعادة الأبدية بلا عمل ولا أسباب، فقلت: لبيك اللهم لبيك، إنك قد مننت عليّ بالمنَّة والسعادة في الأزل والقدم، فقلت: اللهم امنح خواص أصحابنا من تلك المنَّة، وكنا في الرضا حصولها مواهب، فقل للضعيف: هذه رؤيا يوسف لأبيه ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ ﴿٤﴾﴾ [يوسف: 4] أين الشارب؟ أين الناطق؟

افهم هذا السرّ العظيم، إخراج جميع العوالم كلها من أسرار حكم إلهي إلى التصريف، وهي مقامات الروح الواحد، فهو روح الأرواح، ونفس الأنفس، وأصل الأصول، وصورة الصور، وشكل كل الأشكال، وركن كل الأركان، وكون كل الأكوان، ومادة المراد، وعنصر الحيوانات، وجمع الجمعيات، وعلم العلوم، وعمل الأعمال.

افهم، إذا نظرت أن الحقيقة مالها إلا وجه واحد، ولو ثم وجوه لا يكون إلا وجه واحد ليس فوقها من يقبل فيقبل على ما دونها، وليس دون هذه من يقبل فيقبل الصورة فتخرق أنوار هذه الحقائق، وتسري في العالم عند التفاتها، فيتحرك العالم كله من أوله إلى آخره، فلا يسكن إلى الآن، ثم يكدر في الوسط فلا يكون وجه الحق مشهود، والعارف بالله لا يزال في ذلك الحال متحققًا بحقائق الحق في كون الحق، يغضب يوم القيامة غضبًا لم يغضب مثله قبله ولم يغضب بعده مثله، كما ورد في «صحيح مسلم» في باب الشفاعة من كتاب الإيمان، فيكون قبضه وضيقه وغضبه لمشاهدة ذلك المقتضى الإلهي لله وفي الله وبالله، فهو المبسوط المقبوض في الحالة من الوجه الواحد لا من وجهين ولا باعتبارين، بل من حيث هو مقبوض من تلك الحقيقة، وهو مبسوط من الجانب الإلهي.

افهم واجعل الكثرة في الواحد، فهذا الحال هو أكمل الأحوال، انظر أيها

طريق الله العالية؛ لأنها حق مطلق، فصح وجود الكون وعدمه ثبت عندنا، وعند أهل الله العارفين، الزم باب التوحيد الباب الأعظم الأكمل هو الشفع والوتر، فوجب اضمحلال السوى الكل، وقل: بسم الله والحمد لله وحده لا شريك له ولا ضد له ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾﴾ [غافر: 19] ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.



فصل
في العلم بالله تعالى

ومن همتنا ما رجعنا إلى العلم بالظاهر، فكنا في العلم الباطن؛ أعني: العلم بالله هم الرجال العارفون، افهم، أوجب الوجوب بذاته من الوجه الأخضر الذي أثبته العقلاء في وجود العقل الأول، واحفظ الميثاق الأول، فعلى حفظ المواثيق المعول، قوله: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾ [الأعراف: 172] لبوا قبضة أهل السعادة والأشقياء، عموا ثم قال: «**هؤلاء في الجنة ولا أبالي وهؤلاء في النار ولا أبالي**»[1] فلا تزال لوائح الأنوار، وبوارق المعارف والأسرار ماطرة، وكل شيء عنده بمقدار.

واعلم أن القبض وضيق الصدر من يظن الشيء يوجد عنده، وقد أيدنا الصادق لنا بما أظهر الحق فيناله من وجه الحق، فيراه في كل شيء، فيكون وجه الحق مشهوداً له فيما ظهر عليه وبدأ في الكون في ذلك الحال، وتحققنا حقائق الحقائق بالحق الصرف محلاً غيره ولا ثم غير، لكن العبد له ما كان من المولي أن ظهر بحقيقة فهي حقيقة مولاه بالستر في كل صورة من الصور، لعمرك هيهات هـيـهـات ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾﴾ [التكوير: 21].

واحذر أن ترى نفسك أو تثبت فيها الفناء، فهي من أعظم الضرائر والعلل المسمومة، وما هناك شيء سوى الله تعالى، تقدس وعلى تقدس الرضا منه أن تكون له علة أو سبب.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ﴾ [الحجر: 87-88].

وقوله: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾

---

(1) تقدم تخريجه.

[طه: 131] وغاية العلوم بيانها.

افهم ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾ [الأنعام: 103] من باب الجلال والجمال، يقابلها منها على درجات عالية وبيانات واضحة، منها ما قابل فيها المصطفى محمد خاتم الأنبياء والأولياء ﷺ قيل له ﷺ: رأيت ربك فلا أشك فيه، من هو المستخير من الصحابة رضي الله عنهم؟ فقال: «**رأيت نورًا إني أراه**»[1] فلا يزال حجاب العزة مسؤولاً لا يرفع أبدًا، أجل إن تحكم عليه الأبصار بكيفية عند مشاهدتها إياه؛ لأنها في مقام الحيرة والعجز برؤيتها، كما قال الصديق: «العجز عن إدراك الإدراك إدراك» إشارة إلى أنه لا تدركه الأبصار الهوية؛ لكونها ساعة فيه، فمن كان في قبضة شيء فإنه لا يدرك ذلك الشيء.

افهم إشارة أخرى، افهم حديث صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما أن الرسول محمد ﷺ رأى الحق بعين رأسه، ولا يحتاج في هذا العلم من خوض ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾﴾ [النجم: 9: 11] والرسول محمد ﷺ مع ذلك حق في قوله الحق المبين.

فافهم أنه من أدرك من نظر السر الأعظم في تلك الحضرة ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ﴿٢﴾﴾ [الرحمن: 1-2] وافهم فرجوعهم إلى العقل المنور والبرهان، ثم أن أهل التبجيل بعد التنزيه سلط عليهم بسلطان الوهم والخيال، فحكم عليهم بالتقدير.

وافهم قوله تعالى: ﴿إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: 201] وهو رجوعهم إلى ما أعطاهم العقل والبرهان الصحيح من التنزيه عن ذلك.

* * *

(1) أخرجه أحمد (21919).

فصل
في أهل العلم الرباني

فلله الحمد والشكر، والنعمة لمن شكرها قيد، ورأينا مكاشفات جمة في مواطن كثيرة بتجلي المعاني بغير طلب، افهم الإشارة ولا ثم عبارة ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ [العنكبوت: 49] الغايات للأبصار، والبدايات للعقول، ولولا الغايات ما استلفتوا إلى البدايات والتجريد وقانون السلوك، وانطق من عقال التقييد إلى عالم الغيب والشهادة، والمطلق غيبًا في الغيب لا صقيل البصيرة لا يقيد، ويكون مقبل في مشاهدة.

افهم إدراكنا الأشياء من غير تقيد، ولا يتوقف العارف بالله على شيء محال؛ لأنه رمق درجة المعارف وجنتها ونعيمها في هذا الدار، سُمي جنة ثانية مجردة عن النفس مثال الروح مجرد صرف، نص القرآن: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾ [الإسراء: 85].

الحمد لله والشكر له على دوامه، ومظاهر إنعامه علينا بارتفاع التمييز وأمر الاثنينية الاعتبارية، فكنا مع الله في تجلي جماله وجلاله، فأهلكنا الرسوم بالفناء المحض والطمس الكلي للرسوم، فكنا في البداية مفردين، فأسبل علينا المعارف والأسرار، فلست أرى في الوقت من قريب أو بعيد لما أحاط بي التعظيم من كل جانب فكتاب من الله ورسول مبين، افهم فهنا مقام هو أعلى المقامات.

قوله: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾﴾ [النجم: 9] لارتفاع التمييز والاثنينية، ارحل في طي المعنى المنزه إلى المحبة الأصلية هي محبة الذات، الذات عينها بذاتها، افهم ترشد إلى طريق الهداية والسعادة، إشارة الشرح ﴿لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: 37] فالشهيد هو القوي والقلب والسمع، فقال: «**الله ولا شيء معه**» فيمموها العلماء بالله تعالى «**وهو الآن على ما عليه كان**»[1] فالآن

---

(1) تقدم تخريجه.

هو الهو، وكان هو الهو، فما ثم إلا هو.

افهم قوله ﷺ: «**إن لله سبعين ألف حجاب من نور وظلمة، لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه ما أدرك بصره**»[1] هذا هو الله، وهو الهو كما ذكرناه، فما أعلمه ﷺ وما اكشفه للأشياء! وليس المراد العدد، وإنما المراد أن الله لا يمكن أن يظهر، وأيد هذا من أشرف النص الذي وصفه أنه ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ﴾ [الحشر: 22].



(1) ذكره الغزالي في «إحياء علوم الدين» (1/ 196).

فصل
في حضرة التسليم

افهم، كن في الحيرة ولا سبيل إلى التعريف في علم خفي المشاهدة يكون معهم في نعم؛ لأنهم لا يطلبون الشهود، بل يطلبون الرؤية.

افهم قوله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: 17] افهم مخاطبته في هذه الآية الجلية، قوله: الله يقول: «افعل يا عبدي، ما لست بفاعل، بل أنا فاعله ولا أفعله إلا بك؛ لأنه لا يمكن أن أفعله بي فأنت لابد منك، وأنا بدك اللازم، فلا بد مني، فصارت الأمور موقوفة علي وعليك، فحرت وحارت الحيرة وحار كل شيء، وما ثم إلا حيرة في حيرة» افهم.

الحيرة: يكون العبد ماله فعل، فالذي يفعله بانتظار، وأسند الأفعال له، يا داود الزم بدك، أنا بدك اللازم، فبقينا في الحيرة الإلهية، ولو قال لي: اطلب ما شئت فيكون بإذني وأمري في التكليفات، افهم ما ثم إلا الله لا سواه يتمكن الذهن كما قال: وصلت الخمس إلى الخمسين.

قوله: ﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ۝٢٩ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ۝٣٠﴾ [ق: 29-30] فيقول العاقل: يؤخذ كل شيء علي، أمضي الحكم، وصححنا وأضفنا العلوم اللدنية إلى العطشان لها، ولا يكشف شيء من الحقائق إلا إن نحن نظهر شيئاً من الوصف والنعوت الإلهية.

افهم علمه الذاتي من حيث إطلاقه الذاتي لا يصح أن يحكم عليه بحكم، أو يعرف بوصف، وإن انضاف إليه نسبه جل وعلا.

قال الله تعالى في حق عيسى عليه السلام: ﴿وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ﴾ [النساء: 171] الكلمة، وتكون الكلمة مؤيدة بها، يطلق على هذه الذات اسم الكلمة؛ لتحقق ظهور آثارها ﴿إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ

مِّنْهُ﴾ [النساء: 171][1] فهو وإن كان روحًا فهو مؤيدًا بالروح، وإن كان كلمة فبالكلمة ظهر، فكان يحيي الموتى ويبرئ الأكمة والأبرص بمجرد القول، أو علمه من صفة أخرى عبر عنه بالنفخ، فقال: ﴿فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي﴾ [المائدة: 110] فقال: بإذني من كلمة الحضرة، فإن الإذن عين كلمة الحضرة، فمازالت الكلمة تظهر بظهور عظيم ولو تعددت الأطوار الإلهية في الكتب المنزلة.

وقوله: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ [فاطر: 10][2] وهو جمع كلمة، والمراد: الذوات، والقول الحسن جميعًا لا واحدًا منهما، افهم الصعود من حيث الجثمانية صعود المعراج، افهم هذا كله من كلمة الحضرة المحمدية الختامية، وهي السر الأعظم والمقام الأكمل، ففيها عين اليقين وحق اليقين، فنحن فيه مستهلكون في شهود الحضرة والعلم الأتم، وهو ﷺ عين من هو تحقق به من حيثية الشهود الأكمل والعلم الأتم الأشرف الأشمل، مع دوام الحضور معه سبحانه في جميع مواطنه وأحواله ومراتبه ونشأته سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وأصحابه التابعين من أمته، ونتجت إلينا من خصائصه وأسراره وأنواره.

---

(1) قال المصنف: قال الله تعالى في حق عيسى عليه السلام: ﴿وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا﴾ [النساء: 171]، الكلمة، وتكون الكلمة مؤيدة بها، يطلق على هذه الذات اسم الكلمة؛ لتحقق ظهور آثارها ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ [النساء: 171]، فهو وإن كان روحًا فهو مؤيدًا بالروح، وإن كان كلمة فبالكلمة ظهر، فكان يحيي الموتى ويبرئ الأكمة والأبرص بمجرد القول، أو علمه من صفة أخرى عبر عنه بالنفخ، فقال: ﴿فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي﴾ [المائدة: 110]، فقال: بإذني من كلمة الحضرة، فإن الإذن عين كلمة الحضرة، فمازالت الكلمة تظهر بظهور عظيم ولو تعددت الأطوار الإلهية في الكتب المنزلة.

(2) قال المصنف: وقوله: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ [فاطر: 10] وهو جمع كلمة، والمراد: الذوات، والقول الحسن جميعًا لا واحدًا منهما، افهم الصعود من حيث الجثمانية صعود المعراج، افهم هذا كله من كلمة الحضرة المحمدية الختامية، وهي السر الأعظم والمقام الأكمل، ففيها عين اليقين وحق اليقين، فنحن فيه مستهلكين في شهود الحضرة والعلم الأتم، وهو ﷺ عين من هو تحقق به من حيثية الشهود الأكمل والعلم الأتم الأشرف الأشمل، مع دوام الحضور معه سبحانه في جميع مواطنه وأحواله ومراتبه ونشأته سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وأصحابه التابعين من أمته، ونتجت إلينا من خصائصه وأسراره وأنواره.

افهم لما طلع الفجر وبان الصبح دعانا الحق إلى أسنا مواطن النجاة؛ لتحقيق كلمة الحضرة، فلا نزال في ثبوت الصلاة، ونناجي الحق بالإشباع وشهود العيان، فلما ناجيناه ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: 5] وهنا الظهور، ومناجاة الرحمن الرحيم، وهو حسبنا ونعم الوكيل، نعم المولى ونعم النصير، قوله: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ﴾ [التوبة: 40] ﴿أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: 286].



فصل
في معرفة الحق

وأذكر لك الحق الواضح: اجعل وقتك كله جدًّا لا هزلاً، نوصلك أيها الطالب بأن ترى الحق حقًّا والباطل باطلاً، نوصلك إلى المجد في الطلب، وطلبك يكون قاصر، لكن امح صور العادات تكن مخلصًا لله ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُۚ﴾ [الزمر: 3] اللهم إني استغفرك بما تعلم ولا أعلم، كان بالحقيقة لا حليم إلا الله العظيم، وعليك بالإخلاص في الله، فإن لم يستر سوء خلقه وعلمه، ولم يتخلق لله على الأمر هتكه الله وفضحه، فذلك قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء: 48] وسيلة توحيده.

استخبر النبي ﷺ رجلاً في شيء كان فعله فأنكر وحلف له بالله الذي لا إلٰه إلا هو: يا رسول الله ما فعلته، فنزل جبريل عليه السلام وقال: يا محمد، أما أنه قد فعل، ولكن الله غفر له بالإخلاص، وذلك منه تعالى حلم متقرر، ما أضر من استغفر ولو عاد في اليوم سبعين مرة، وبذلك اسمه الغفور، وإذا حصل العفو والغفران لا يعاقب بالذنب والغفران الذي لا يذكره حتى كأنه لم يكن، والرحمة أن يظهر البر، ويثني على عباده بالخير ﴿كٓهيعٓصٓ ۝١ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ۝٢﴾ [مريم: 1-2] واذكر في الكتاب إلى منتهى ذكره.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ﴾ [مريم: 58] فأمن تعالى ذكر السوء فهو الغفور، لا تسبوا الموتى فإنهم قد أفضوا إلى ما قدموا عليه ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًاۚ﴾ [الحجر: 12].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِۚ﴾ [النور: 19].

وقوله: ﴿يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [النور: 35].

قوله تعالى: ﴿لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [الزمر: 57].

وقــولــه: ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ۝٥٤﴾ [الزمر: 54] ولما ذكر بالميثاق الأول في الأزل، وجاء عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**لما خلق الله آدم ﷺ ونفخ فيه من روحه عطس فأذن له فحمده، فقال: الحمد لله قال له رحمك ربك فقال: يا آدم، اذهب إلى أولئك الملأ من الملائكة جلوس، فقل: السلام عليكم، فذهب وسلم عليهم، فقال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، فرجع إلى ربه فقال الله : هذه تحيتك وتحية ذريتك، ثم قال له بيديه وهما مقبوضتان: خذ أيهما شئت، فقال: أخذت يمين ربي، وكلتا يديه يمين مباركة، ثم بسطها فإذا فيها ذريته كلهم**»(1).

قال الله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ﴾ [الأحزاب: 72].

قوله تعالى: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ﴾ [الأعراف: 172] فانظر ميثاق النبوة والرسالة، افهم الربوبية أمر الحق ومقام المحمل والحامل لخزائن الله وهو خاتم النبيين محمد ﷺ حامل لواء الحمد، وهو المشار إليه بقوله: «**لولاك ما خلقت الأفلاك**»(2).

افهم قوله: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا﴾ يعني: أفواجًا ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾ [الزمر: 71] وقال في الجنة: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا﴾ وظهروا فيما نوروا به ﴿وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾ فحصل بمائة فيهم أن يظهروا ويعذبوا أولاً، ثم عطف على ذلك بالواو فقال: ﴿وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا﴾ [الزمر: 73] ذكر كل ذلك رسول الله ﷺ في حديث مشهور: كون إلي بك، فإن العطف بالواو على استفتاح رسول الله ﷺ أتاها زائدة على ما يقع ذكره، فهذه بسر وميثاق أعطاه إياه عليه السلام قال رسول الله ﷺ في حديث الشفاعة، وذكر أن الناس يستشفعون به إلى ربه في فتح أبواب الجنة، قال: «**فأجيء فأقرع الباب، فيقول لي الخازن: من أنت؟**

---

(1) أخرجه الترمذي (3368) وقال: حسن غريب، والحاكم (214) وقال: صحيح على شرط مسلم، والبيهقي (20307).

(2) تقدم تخريجه.

فأقول: محمد، فيقول: أمرت ألَّا أفتح لأحد قبلك»[1] فيكون العطف أولاً على المجيء والتطهر، ويكون إيضاح على استفتاح الباب وفتحه هذا في الوعيد الأول على جميعهم السلام، جعلنا الله منهم وفيهم في الدنيا والآخرة، وفيما بين ذلك يكون العطف على غيرهم تقديره: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا﴾ [الزمر: 73] يعرض بذلك في إكرام رسول الله ﷺ.



(1) أخرجه أحمد (12420)، وعبد بن حميد (1271)، ومسلم (197)، وابن منده في «الإيمان» (867)، وأبو عوانة (418).

فصل
في طاعة الملائكة للأنبياء

وانظر أن الملائكة لازمون طاعة محمد ﷺ وكذلك إخوانه المرسلين عليهم السلام، قوله: ﴿وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ﴾ [الزمر: 69] أي: على الأمم ﴿وَجِئۡنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدٗا﴾ [النساء: 41].

﴿وَقُضِيَ بَيۡنَهُم بِٱلۡحَقِّ﴾ [الزمر: 69] أي: بين الأمم ﴿وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ﴾ [الزمر: 69].

﴿وَوُفِّيَتۡ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا عَمِلَتۡ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِمَا يَفۡعَلُونَ ٧٠﴾ [الزمر: 70].

وقال فيهما هنا: ﴿وَتَرَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنۡ حَوۡلِ ٱلۡعَرۡشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡۖ وَقُضِيَ بَيۡنَهُم بِٱلۡحَقِّ﴾ أي: بين الملائكة عليهم السلام ﴿وَقِيلَ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الزمر: 75] فهذا إنباء بعبادتهم وطاعتهم، فيرفعهم ويقلبهم إلى ما هو العليم، فسبحان الله وله الحمد عز جلاله وتعالى علاؤه وشأنه، إن ربنا لهو الواسع العليم، رفعهم في حياتهم إلى أعلى العلو، فمنهم حملة العرش والكرسي الكريم، وفوقه العالم الكلي والجزئي دون ذنب قدره عليهم، لا يعصونه فيما أمرهم به، بل هم عباد مكرمون.

﴿لَا يَسۡبِقُونَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ وَهُم بِأَمۡرِهِۦ يَعۡمَلُونَ ٢٧﴾ [الأنبياء: 27] فما أعجب ولا أجل ولا أشرف من خلع منته عليهم ﴿كُلَّ يَوۡمٍ هُوَ فِي شَأۡنٖ﴾ [الرحمن: 29] ما يرفعهم إليه ويعليهم به ما لم تعلم به نفس ولا بلغة علم، الله أكبر كبيرًا، فهو العلي الكبير الأكبر ﴿وَقُضِيَ بَيۡنَهُم بِٱلۡحَقِّ﴾ [الزمر: 75] أي: بالقول الفصل على ما أخبر به القرآن العظيم، وجاء به الوحي إلى النبي محمد ﷺ ﴿وَقِيلَ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الزمر: 75] أحمده بجميع محامده، فهو المحمود بحمده والمشكور بشكره.

افهم عن قول الله في القرآن، قال عز من قائل: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ﴾ [سبأ: 1] وحكمه حمد، وعدله حمد، وفضله حمد، له الحمد في الأولى والآخرة، وله الحكم المحكوم له بالعدل، والحق

حامد لا محالة، والمحكوم أيضًا عليه بذلك حامد، وإن عدلت نفسه عن الرضا، فلا يخرج من تلك المحامد السابقة، وقل: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة: 2].

وقل: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١﴾ [الفاتحة: 1].

﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ۝٢ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ﴾ [غافر: 1ـ3] فهو الرحمن الرحيم.

قوله: ﴿فَٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١٤﴾ [غافر: 14].

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: 22].

افهم أن القرآن لا يوصف بأعماله وراء ولا أمام؛ إذ هو كلام الله، وكلامه صفة له، فإنه ليس يمكن عند أولي النهى العبادة عن معاني هذا المقال بعبارة شبه عبارات الظواهر مجازًا أو اتساعًا، ويقام ذلك مقام الحقيقة، كقول رسول الله ﷺ: «**ليس وراء الله منتهى ولا دون الله ملجأ**»(1).

وقال جل من قائل: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ۝٤٢﴾ [النجم: 42] وهذا مفهوم الخطاب أخذ من بعد ندائه المفهوم والخطاب قوله: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ﴾ [القصص: 62] فيجيبه المعبودون آذناك؛ أي: سمعناك تبرؤوا من عبادتهم ما منا من شهيد لهم بما دعوه. كان ﷺ لما وقعوا في الشدائد التي دعا بها رسول الله ﷺ في قوله: «**اللهم أعني عليهم بسبع كسبع يوسف**»(2) وهزمة بدر وهوازن، وقتل صناديدهم واستئسار كبريائهم وهجرة أكثرهم إلى المدينة، حتى بقيت منازلهم بمكة تصفق الرياح أبوابها، وما بتكهم الحرب، حتى جاء أبو سفيان إلى رسول الله ﷺ وناشده بالرحم أن يدعو ربه بالتخفيف، وإما يكف عنهم من شد منهم من المسلمين كأبي بصير وأبي جندل، ومن شايعهم عن آخراهم، حتى قال أبو سفيان صخر بن حرب يوم الفتح، وقد قال له رسول الله ﷺ: «**ألم يأن لك يا أبا سفيان أن تعلم أنه لا إلٰه إلا الله**»(3).

---

(1) ذكره الغزالي في «إحياء علوم الدين» (3/ 214).

(2) أخرجه البخاري (4774)، والترمذي (3563)، وأحمد (4186)، والطبراني (8950)، والبيهقي (2/ 196)، وابن حبان (6705).

(3) أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (1779).

فقال له: ما أبرك وأوصلك وأرحمك، أما أنه لو كان من إلٰه سواه لا غير، وأسلم حينئذ، وقال ابن الزهراء في كلمة طويلة له في فتح مكة: استدعي بمفاتيح الكعبة وأخرجت الأصنام منها ثلاثمائة وستون صنمًا، وفيهم صورة إبراهيم وإسماعيل - عليهما السلام - وفي أيديهما الأزلام قاتلهم الله لو علموا أنهما لم يستقيما بها يومًا قط، ثم سُلمت مفاتيح باب الكعبة إليه، وقد جمعت قريش كبارها وصغارها، فقال لهم: بأعلى صوته «**ما تروني صانعًا بكم، فقالوا: أخ كريم وابن أخ كريم، فقال لهم: اذهبوا فأنتم الطلقاء**»(1) وأسلم من حضر ورجع إليه من قرع عنه، وتبين لهم أنه الحق هذا أوعده الحق به وأصدق كلمة الصدق، والحمد لله رب العالمين.

قوله الحق: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾﴾ [فُصّلت: 53] فمدحهم بقوله: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ [فصلت: 53](2) افهم؛ يعني: الرسول والقرآن، افهم ما ذكرناه من هذا العلم في فتح مكة للرسول في محمد ﷺ.



(1) أخرجه البيهقي في «السنن الكبرى» (9/ 118).

(2) قال المصنف: قوله الحق: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾﴾ [فصلت: 53] فمدحهم بقوله: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ [فصلت: 53].

فصل
في معرفة رجال الله

وافهم إن نحن أظهرنا من ذلك بعض خبر فيه أمداد علم وحلم لمن له فهم، ففهم الوحي للنبوة، وفهم القلوب للأولياء من المؤمنين ﴿رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: 23].

افهم عظيم العظمة والجلال والكبرياء والعزة، افهم ﴿يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي الْأَرْضِ﴾ [الشورى: 5].

وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾﴾ [النجم: 42].

قوله تعالى: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾﴾ [مريم: 93] أما منه شيء أقرب من شيء، ولا شيء أبعد من شيء إلا على حكم إثباته، هو في القرب والبعد فلا مدخل عليه في عدله، فسواهم خلقة، وأمره فهو بالحقيقة العدل الذي لا عدل إلا هو اللطيف الخبير الحكيم، السمّاح بترك المؤاخذة لما يظهره بسعة العلم من المعذرة للجاهل في جنايته «**اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون**»[1].

والحكم علم راجح وحصول العلم ممن لا حكم عنده فلم يتحقق الحكم بعدله، لا خير في علم إلا بعمل، ولا خير في عمل إلا بحلم ﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ [الصافات: 101] لما تحققوا أنه حليم ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾ [التوبة: 114].

﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ﴾ [الحج: 78] والحلم رضي الله عنه والعدل حكم الله ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ [النحل: 90] قال جبريل للنبي ﷺ: «أمرك الله أن تعطي من حَرمك، وتصل من قطعك، وتعفو عمن ظلمك».

افهم تعليم الحكيم العليم، ولما كان العبد ينتهي إلى غاية موقع الجناية في

(1) تقدم تخريجه.

الخلق إلى الله، والذي يعلمه الله من ظلم العبد لنفسه أضعاف ما يعلمه العبد من نفسه، اللهم إني استغفرك مما تعلم ولا أعلم، وذكرنا في فتح مكة المشرفة قوله: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ۝٢ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ۝٣﴾ [النصر: 1، 3] فحق مظهر النصر، والحمد لله والشكر.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ فَضَّلۡنَا بَعۡضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعۡضٖۖ﴾ [الإسراء: 55].

وقال تعالى في حق الخلق: ﴿قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ﴾ [طه: 50] فينزل نور ما يشاء وما يشاء إلا ما علم، فحكم به وما علم إلا بما أعطاه المعلوم، فالتوقيت في الأصل للمعلوم، فكما أيدناك بهذا العلم اللدني وقلناه لك، فافهم واصغ فلك في القضاء والإرادة والمشيئة تبع للقدر، فسرّ القدر القدر من أجل المعلوم، وما يفهمه إلا الله تعالى إلا من اختصه بالمعرفة التامة.



فصل
في فهم العلم اللدني

وافهم العلم به يعطي الراحة الكلية للعالم به، ويعطي العذاب الأليم للفاعل عنه، فهو يعطي النقيضين؛ ولهذا وصف الحق نفسه بالغضب والرضا، وتقابلت الأسماء الإلهية فحقيقته تحكم في الوجود المطلق والوجود المقيد، لا يمكن شيء منه أتم من شيء، ولا شيء أقوى من شيء، ولا أعظم لعموم حكمها المقتدي وغير المقتدي، ولما كانت الأنبياء -صلوات الله عليهم- لا تأخذ علومها إلا من الوحي الخاص الإلهي فقلوبهم ساذجة أو خالية عن النظر العقلي؛ لعلمهم بقصور العقل من حيث نظره الفكري عن إدراك الأمور على ما هي عليه، والأخبار أيضًا تقصر عن إدراك ما لا تناله إلا بالذوق، فلم يبق العلم الكامل إلا في التجلي، وما يكشف الحق عن أعين البصائر من الأغطية فتدرك العلوم قديمها وحديثها وعدمها، فهو من خصائص الذات الإلهية على الطريقة، وقد علمت أن الله أعطى كل شي خلقه، ولم يعط إلا بالاستعداد الخاص.

افهم واعلم أن الولاية هي الفلك المحيط، ولها الإنباء العام، وأما نبوة التشريع والرسالة فمنقطعة، وفي محمد ﷺ قد انقطعت فلا نبي بعده؛ يعني: شرعًا أو مشروعًا، ولا رسولاً وهو المشرع، قوله: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾﴾ [الأحزاب: 40][1].

(1) قوله: ﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [الأحزاب: 40] فهو مشهد الحق بالحق بذاته ولنفسه، ثم أظهرها وبينها في نبيه محمد ﷺ، فهو الكنز ﷺ قوله: ﷺ عن الله تعالى أنه قال: «**كنت كنزًا مخفيًا لا أعرف فأحببت أن أعرف**» يعني: أعرف بأسمائي، افهم مثل هذا السرّ الغامض لا يصح إظهاره؛ لأنه علمًا غيبيًا يطلق عليه من حيث الحقيقة الخلقية الجامعة السلطانية، قوله حاكيًا عن نفسه: ﴿عَٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ [الزمر: 46] ، غير الغيب الذات الموصوفة بالكمال الممتازة عن صفات الأكوان، ومن كان في حقيقة اليقين وإرادته ومراده اليقين، اللهم ارزقنا والمحبين لنا كمال اليقين والتوفيق له.

قوله: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ﴾ [القلم: 42] أي: أمر عظيم من أمور الآخرة ﴿وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ﴾ [القلم: 42] فهذا تكليف وتشريع، فمنهم من يستطيع، ومنهم من لا يستطيع، كما كان في الدنيا لا يستطيع.

قوله تعالى: ﴿وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ [القلم: 42] كما لا يستطيعون في الدنيا امتثال الأمر أمر الله في بعض العباد كأبي جهل وغيره، فذلك قدر ما يبقى من الشرع يوم القيامة في الآخرة قبل دخول الجنة والنار، فهذا قيدناه والحمد لله رب العالمين.

قوله: ﴿فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾ [هود: 105] ذكرنا فيما أمكن مما ظهر لنا من مشكاة النبوة والولاية والإيمان الصادق واليقين، وقبضنا ما ظهر لنا من الغيب في مظهرية الشهادية، وما ظهر من مظهرنا إلا حقًّا، وافهم الوحدة المقتضية على تأويله ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾ [آل عمران: 7].

افهم من علوم الإنسان الكامل الإنساني تارة يكون في مظهر الرحمن؛ أعني: العرش ومستواه، وتارة بمظهر النعمة، وتارة بمظهر النقمة، نسأل الله العافية، وهنا أسرار ورقائق ودقائق غير متناهية يجتمع بعضها مع بعض اسم الله الجامع، فسبحان الذي لا يعزب عن علمه شيء في الأرض ولا في السماء، وهو السميع العليم.



فصل
في عالم الأعيان

افهم عالم الأعيان مظهر الأول، والباطن المطلق، وعالم الأرواح، مظهر الاسم الباطن والظاهر مضافين إلى عالم الشهادة، وهو المعنى حينئذ يكون عندنا علم ظاهر جلي: كالشمس الضاحية، فتأمل علمه الذاتي علمه تعالى ذاته بذاته لازمة الأعيان ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج: 46] هنا يقف العقل والفهم والوهم ويبقى مجرد النور الذاتي الجامع للأنوار، لها فيصل الفيض الأقدس الخاص يكون من الحق بلا واسطة العيان ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾ [الإسراء: 85].

افهم تنور القلب؛ أعني: نور قلبه الواسع بنور الحق، وارتفع الحجاب بيننا وبين الوجود المحض، فإنه يدرك بالحق، فافهم الإقرار بالتعجيز والتقصير للكُمل برجوعهم إليه وعلمهم به، وكذلك رجوع الكل إليه، وهو العليم الخبير، فإن علمت قدر ما نؤيدك به وسمعت ووعيت في قلبك من نوره، فقد أوتيت الحكمة ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًاۗ﴾ [البقرة: 269].

وكان يشير أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، كرم الله وجهه ورضي عنه: إلى أن العدم طرق لهدى القوم، فيجب لما أظهرها الحق وألبسها خلعة الوجود الخارجي إياها، فصارت موجودة من وجوده، أشار أمير المؤمنين رضي الله عنه في حديث كميل، رضي الله عنهما: «صحو المعلوم مع محو الموهوم» وأمثال ذلك كثيرة هنا.

انظر إلى الحقيقة وإشراق نور الحقيقة على المنتسب، فهو اصطفاء محض وجود صرف الحق، ليس للكسب فيه مدخل، ولها أركان؛ أعني: المعرفة، فليس الحجاب إلا أنت، ولا يزال في الصعود عن العلم والعلم حجاب، ونحن نشير عليك بمطالعة الجمع بفناء الكل في تجلي الذات.

افهم على قدر القرب نفي السوى والبعد، ولا ثم سوى ولا بعد، افهم الأحدية، ولا يؤخذ بدليل الكتب؛ ويدلك على الفناء الكُلي يكون لك الشهود،

افهم التوفيق ليس إلا بسابقة التوفيق؛ لأنه ستره وفتح بابه؛ لأنه أعز ما ذكره في القرآن العظيم، ولكن على الإرادة، وفصلوا قواعده إلى أربع قواعد، ولا أحد يطلع على ذلك إلا أن يكون من أهل معرفة الله تعالى، ما عرفه الحق معرفة سواه فلا يحيط علمًا به.

قوله: ﴿وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود: 88] فتلك المعرفة باب التوفيق، وعرفنا من فيض الفضل والجود من فضل الله معرفة ما وراءها معرفة، فهنا فضل الله الرجال بعضهم على بعض، ومن أراد الله له سرّ من أسراره يسره الله تعالى له من غير كسب، فهو وهبي، ومسلك الطريق والقبول والإحاطة بلسان التحقيق، ولا لها رجوع إلى التعليم كالنهايات ما يكن في البدايات والإخلاص الروحاني والخلق الرحماني، وبها يتصرف العارف في نفسه أولاً وفي غيره ثانيًا محل النفحات؛ لأن العارف الذي هو في النهايات يوصل المخلص في قليل، ولا يصل هو في سنين وأعوام؛ لأنه في شهوده كامل الصحو والاستقامة، قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [فصلت: 30] والمشار إليه في قوله: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَۖ﴾ [طه: 8].

﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَـٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾﴾ [النحل: 40].



فصل
في التحقيق بمعرفة الحق

افهم، وأقول بتحقيق معرفة الحق فما عرف الحق، ولا يحب إلا الحق، ولا يطلب الحق إلا الحق، افهم ذلك السرّ هو الطالب للحق والمحب له والعارف به، كما قال سيدنا محمد النبي ﷺ: «**عرفت ربي بربي**»[1] وإصلاح الإنسانية.

افهم قوله: ﴿حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ ۝٢ كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٣ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ۝٤﴾ [الشورى: 1، 4].

﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّتُنذِرَ﴾ [الشورى: 7].

وقوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ﴾ [الشورى: 52] ولكن افهم إلى آخر السورة، وأخفينا مظهر أسرار أُخر.

انظر في قوله تعالى: ﴿أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ۝١٢﴾ [النجم: 12] وما حصل له ﷺ ﴿عِندَ سِدۡرَةِ ٱلۡمُنتَهَىٰ ۝١٤ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلۡمَأۡوَىٰٓ ۝١٥﴾ [النجم: 15] وفي الحديث قال رسول الله ﷺ: «لما انتهيت إلى السدرة فإذا أوراقها كآذان الفيلة وأذانبها كأمثال القلال، فلما غشيها من أمر الله ما غشيها فما يستطيع أحد أن يصفها، فيها أوصاف ما لا يصغه الواصفون ولا أذن سمعت ولا عين رأت، افهم ﴿مَا زَاغَ ٱلۡبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ۝١٧﴾ [النجم: 17].

ثم قال: ﴿لَقَدۡ رَأَىٰ مِنۡ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلۡكُبۡرَىٰٓ ۝١٨﴾ إلى حيث ما وصفه الله، وذلك رجوعًا بالأخبار إلى الأسرار، لكن ارجع إلى الأول ومرجح معنى الخطاب الرباني، وقوله: ﴿مَا زَاغَ ٱلۡبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ۝١٧﴾ وعن كعب الأحبار أنه سأل عبد الله ابن عباس رضي الله عنه عن هذه الآية، فقال له ابن عباس رضي الله عنه: إنما نحن بنو هاشم فنزعم ونقول محمد ﷺ رأى ربه مرتين، قال كعب: إن الله قسم رؤيته وكلامه بين

(1) ذكره الغزالي في «إحياء علوم الدين» (6/ 258).

محمد وموسى ـ صلوات الله وسلامه عليهما ـ فكلم موسى ورآه محمد، وقال ابن عباس: اصطفى بالخلة إبراهيم، واصطفى موسى بالكلام، ومحمد بالرؤية صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، قال ابن عباس: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾﴾ [النّجْم: 13] وأنكرت عائشة الرؤية.

وكذلك أنكرت الإسراء، فقالت: ما فقدت رسول الله ﷺ على مضجعي وصدقت على ما قالت إنها ما فقدته؛ لأن رسول الله ﷺ تزوجها بالمدينة، وكان الإسراء في أيام خديجة، ثم توفيت وتزوج بعدها بسودة وعقد نكاح عائشة بمكة وتزوجها بالمدينة وعلمت القرآن، هذا حديث منقول عليها هو صحيح مسنده، مضطرب متنه، وهو من حديث الآحاد لا يوجب علمًا وما هو بسبيل طلب العلم، وقد تجلى ربنا جل جلاله لجبل من الجبال وصار دكًّا لما رآه، وكان ذلك درك الإحاطة وجل جلاله ربنا عن ذلك، بل هو يدرك الأبصار ولا تدركه الأبصار.

قال الله جل ربنا: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَـٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَـٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ﴾ [الأعراف: 143] المعنى إلى آخره، وتأويل الجبل في تعريف الخطاب، إلا بما هو الرجل العظيم كالذي جاء في نبوة دانيال عَلَيْهِ السَّلَامُ إذ دحيت الجبال من ناحية الطور، فذلك ظهور للأمة المقدسة في هذه لأمة الصحابة والتابعين، والأمة المقدسة هي هذه الأمة، ثم قال عَلَيْهِ السَّلَامُ: فإذا اشتعلت نارًا فتلك علامة انقراض العالم فاشتعالها بالنور، وأما احتراقها بالمعاصي وعظيم الاحترام كالذي اندرس بعده ﷺ من حور الأئمة، وفساد العلماء بما كان اشتعالها بالنار عبارة عن: ظهور عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ والصحابة لوجود الضياء في الاشتعال، ووصفها بالاشتعال بالنار غلبة الدجال على ما غلب منها، والله أعلم، وإنما الغرض الإعلان.

* * *

فصل
في قيام الليل

افهم قوله: ﴿إِنَّ قُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ كَانَ مَشۡهُودٗا﴾ [الإسراء: 78].

وقوله: ﴿قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ٢﴾ [المزمل: 2] نصفه أو ثلثه؛ أعني: الأخير يتنزل سبحانه لا إلٰه إلا هو كل ليلة إلى سماء الدنيا الحديث عنه ﷺ التسبيح تنزيه لله تعالى وحمده على محامده وسعة الله، وفضل الله علينا عريض واسع من مننه وجوده وعطائه، وأعطانا كمال اليقين قوله: ﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ٩٩﴾ [الحجر: 99].

﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلۡمُنتَهَىٰ ٤٢﴾ [النجم: 42] افهم، ويقول في شيء من المناجاة: **«أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك»**(1) افهم لا أبلغ كل ما فيك فجمع فيه بين التنبيه على تعذر الإحاطة وبين التعريف بانتهائه في معرفة الحق إلى غاية الغايات، وهذا تفسير من سر الآية المذكورة قوله: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلۡمُنتَهَىٰ ٤٢﴾ [النجم: 42].

وفي الأحاديث النبوية تنبيهات كثيرة تشير إلى ما ذكرناه من تتبعها بعد التيقظ والتفهم تلقاه صحيحًا واضحًا جليًّا وغالبه ذوق، ومعنى يندرج من نفائس العلوم والأسرار ما لا يقدر قدره إلا الله هذا هو الحق اليقين والنصر المبين، وهو المرشد والهادي فلما بان لنا بعد العطايا الرحمانية إلى الحضرة الذاتية، فذلك لا حساب عليه؛ لأن العطايا الذاتية وما قويت نسبته إليها لا تصدر ولا تقبل إلا بما كان نسبته ذاتية لا موجب لها غير ذلك المناسبة، ومن لم يعرف ذلك الأصل لم يعلم حقيقة.

---

(1) أخرجه أحمد (25696) ومسلم (486) وأبو داود (879) والترمذي (3493) والنسائي (1130) وابن ماجه (3841)، وإسحاق بن راهويه (544) وابن خزيمة (671) وابن حبان (1932) والبيهقي (608).

قوله: يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ، ولا بسرّ قوله: ﴿وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [النور: 38] ولا بسرّ قوله: ﴿هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾﴾ [ص: 39] ونحو ذلك ما كرره، وذكره في الكتاب العزيز والأحاديث النبوية أيضًا مثل قوله ﷺ: «**إنه يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفًا بغير حساب ومع كل واحد من السبعين ألفاً سبعون ألفًا**»[1] هؤلاء أصحاب العطايا الأسمائية غير من يسبقهم إلى الحضرة؛ أعني: حضرة الأسماء.

❊ ❊ ❊

(1) أخرجه أحمد (22357)، والترمذي (2437) وقال: حسن غريب، والطبراني (7520)، وابن حبان (7246)، والدارقطني في «الصفات» (50)، وابن ماجه (4286)، والمحاملي (60)، والديلمي (7113).

فصل
في الإحاطة

فلما تجلى علينا في بعض التجليات منَّ علينا بالمشارب الهنيات فتجلت علينا من تجلي الحيرة ما يطمس العلوم ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه: 110].

﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: 76] وشأنه ما يحيط به العلم، افهم التقاعد والعجز عن إدراك ما يعجز عن المعرفة هو غاية الإدراك، قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: العجز عن درك الإدراك إدراك فافهم حقيقة حيرة الكمل، وذكر عمر بن الفارض: فواحيرتي إن لم تكن فيك حيرتي، افهم الحيرة عند الكُمَّل علم لا يعلمه إلا أهله، فنقلنا من الحيرة إلى الشهود، ومن المعنى الكشفي إلى المعنوي ﴿وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ۝٢٠﴾ [إبراهيم: 20] فأعطانا الله العطاء والمنح ذوقًا وكشفًا والعطايا لنا من غير سؤال، وظاهره ما ينال العطاء إلا بالدعاء بلا استعداد، والباعث منا في السؤال والرجاء فيه لازم قوله: ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: 60].

وافهم ذلك، وكن فيما ذكرناه لك عطشان إلى ري الواسع حيث قال: «**لا يسعني أرضي ولا سمائي، ولكن وسعني قلب عبدي المؤمن**»[(1)] ولما قابلنا تجليات الحق، والقلب لو امتلأ من ذلك النور فلا يرتوي، فلا تزال في العطش بتجليات الحق الظاهر في السماوات والأرض، واللهو والعطش، وبعضهم يرى السماوات السبع والأرضين السبع كحلقة ملقاة في فلاة، فانظر ماذا ترى!!

وقد نبهنا في الكتاب على دقائق علم لا يتناهى وصفه قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا﴾ [فاطر: 41] افهم لاح طلوع فجره الساطع، فاضمحلت الظلم، فلما بان لنا واضمحلت الكائنات والغير والسوى فاحترقت وسطعت علينا سبحات الكرم، فرفع سلطان إحراقها فانمحت عنا عوالم الصور، وظهرت شمس

(1) تقدم تخريجه.

اليقين وعين اليقين وحق اليقين، فبان لنا الوجه الذي شاهدناه عيانًا في المرتبة العالية الفائضة على الكل بنورها الفائض على أهل الله أهل رتبة الكمال، وكنا رائقين شهود القلب في السلوك، وشهود من حيث شهوده لا شهودك، فبشهود القلب اليقين وإيمان الغيب، وأكثر ما ذكرناه علم الدين يفهمه ويعلمه من له بصيرة، وإن من علم وذاق حير له من البحث في معناه، فمعناه وراء طور عقله وعلمه فمحال أن يدركه.

افهم من لم يعرف نفسه فهو أكمه وأعمى، فكيف الأعمى والأكمه يصل إلى هذه المخاطبة الجليل قدرها؟ لأنها مخاطبة مع الله صرفًا، ومن له عزم وهمّة وقصد ونية فله نصيب إذا طلب العرفان، وافهم وتجرد على معرفة النفس، افهم السؤال والسائل والمحب والمحبوب والطالب والمطلوب، افهم أن ليس غير سواه بقوله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ﴾ [الأنعام: 103] إذ الأبصار إلا وجوده، افهم حقيقة الحق عبارة عن: صورة علمه بنفسه وصفته وتعينه، والمحقق شهود هذه الصفة ومعرفتها تمامًا، إنما يكون بمعرفة أنه الحق متعين بحسب الأمر المقتضى بأنه غير محصور في التعين، ومن حيث هو هو هو غير متعين صورة علمه بنفسه، فيعرف ذاته متعينة بالنسبة إلى ظهوره هو هو غير متعين.

افهم عين إسقاط الهوى ومحبة المولى، اللذة: وقوع القلب على الشيء المتلذذ به، المعنى قائم بالقلب مع هلاك النفس، ونشير عليك بالإخلاص في نفي الصفات عن الحق هو الحي القيوم ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [البقرة: 255].

والصمد هو: الذي يحتاج الكل إليه والكل به ومنه وإليه، قوله تعالى: ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَـٰنُ أَنَّا خَلَقْنَـٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا ﴿٦٧﴾﴾ [مريم: 67].

قوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَـٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام: 103][1].

(1) قال المصنف: افهم ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَـٰرَ﴾ [الأنعام: 103] من باب الجلال والجمال، يقابلها منها على درجات عالية وبيانات واضحة، منها ما قابل فيها المصطفى محمد خاتم الأنبياء والأولياء ﷺ قيل له ﷺ: رأيت ربك فلا أشك فيه، من=

قوله: ﴿مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [هود: 56].

وأقرب السبل هو رفع الحجاب، حجاب التعينات عن وجه الذات الأحدية السارية في الكل بالمحو والفناء في الوحدة، حتى تشرق سبحات جماله، فتحرق ما سواه، واجلس معنا على فاقة وذلة وأدب وافتقار وانكسار، وحسن الأدب بين يدي الله تعالى، كآداب الروحانيين تظهر عليهم سرائره، ويظهر على عارفيه كشفه ومكاشفاته، فمشهدنا شهود عيان وبيان.

افهم أن المحو فناء أفعالك في فعل الحق، والطمس فناء الصفات في صفات الحق، فالأول لا يرى في الوجود فعلاً لشيء إلا للحق، وغيره لا يرى لشيء وجود إلا للحق، المدد الوجودي، وهو: وصول كل ما يحتاج إليه، والحق يمد من النفس الرحماني.



= هو المستخير من الصحابة ﷺ؟ فقال: «**رأيت نورًا إني أراه**»، فلا يزال حجاب العزة لا يرفع أبدًا، أجل إن تحكم عليه الأبصار بكيفية عند مشاهدتها إياه؛ لأنها في مقام الحيرة والعجز برؤيتها، كما قال الصديق: «العجز عن إدراك الإدراك إدراك» إشارة إلى أنه لا تدركه الأبصار الهوية؛ لكونها ساعة فيه، فمن كان في قبضه شيء فإنه لا يدرك ذلك الشيء.

فصل
في فهم أسرار الفيوض

فنحن نحمد الله ونشكره، ونشهد الله ذاته وصفاته، وقد أطلعني على غوامض أسرار فلا نقف لك إلا ما يظهر معناه، أو أصابتك منه قطرة أو رشة من البحر الفائض من مدد الحضرة قوله: ﴿كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنۡ عَطَآءِ رَبِّكَۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحۡظُورًا ۝٢٠﴾ [الإسراء: 20] فكنا مع الله في أعظم المنن والفيض.

افهم اللبس هي جميع المراتب النازلة عن الحضرة الأحدية، افهم العين الثابتة، افهم أن الله ينظر بنظره إلى العالم فيرحمه بالوجود الحقيقي، افهم عين الحق وعين الله وعين العالم هو الإنسان الكامل المتحققة بحقيقته البرزخية، وافهم إن كنت ذا فهم لما تحققنا نعم الله علينا المترادفة، فإنَّا لا نؤدي شكرها بالمدد لنا فيها سابق.

وقوله: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِۖ﴾ [النحل: 53] فحققنا أن العبد العارف بالله تحقق الوجود الذي هو أفضل النعم وأشرف النسب، والقسم من الله، والوجود الحق هو المتعين في جمع الصور صور النعم والآلاء والأيادي، وحقائق الحق قطع الوجود المتعين بها وفيها، وهي راجعة إلى العدم فذلك الوجود يقتضي بحقيقة التجلي والظهور والتعين والنور في المظاهر.

وافهم فمنهم من يحجب عن الكشف بنور الكشف فيكون بالوصف قبل الشرب والرشف، فلما تجلى لنا المليك المقتدر فظهر الملك العظيم الأعظم، فنادى عبده المستغرق في محبته وحده ﴿يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: 54] يا عبدي، ملكي ملكك فتصرف فيه على ما شئت، وانظر الدرجة العالية، وافهم مسائل مسائلنا ومطلبنا مسائل الخاتم المحمدي خاتم الولاية الخاصة المحمدية قبل ولادة هذا الخاتم بمئتي سنة، ثم لما ولد وبلغ ما أجابه فيها رضي الله عنهم.

فقال العارف بالله الكامل: وما ذكرنا من كون الحق، فهو المقصود والسؤال والغرض، وورد علينا وارد حقيقة أن الدعوة تقتضي الفرقان والتمييز بين الشيئية،

ونحن بذلك على الأصالة بلا شريك.

افهم واعلم شهود أهل الله الكملاء شهود العباد هو الحق الذي هو قوامهم وقيامهم، وهو الحي القيوم حقيقة لا لهم دونه قائم، فافهم صرفوا القوم في الملك، فالملك لله وحده لا شريك له بالأصالة ﴿أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ﴾ [الشورى: 53] وهو القائم على كل نفس بما كسبت، وهو المليك المالك للملك والملكوت، وإليه الرجوع والبرزخ، افهم المشرب المخصوص الجامع لجميع الدعوات النبوية والأحكام الشرعية التكليفية، وهو أن الدعوة من حضرة إلى حضرة، ومن المقام الذي سما حد المدعو إليه الله في الجميع هو صاحب اللواء والمقام المحمود جامع الحقائق على بصيرة.

﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾ [يوسف: 108] فهو الاسم المركب المختص بكل مركب، ومحيط بكل مركب وبسيط، وهو الله أو الاسم الرحمن ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ﴾ [الإسراء: 110] فإنه مصير صور التفرقة والجمولية، وإنما يكون على وجهين: أحدها ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾﴾ [مريم: 85] الذين اتخذوا الله وقاية لهم عن آثار الأفعال والأحكام والأوصاف والأخلاق الحميدة(1) والإضافة، فأضافوها إلى الله، ففازوا بشهود الحق قائمًا على كل نفس بما كسبت، ونواصيهم بيده، وهو الفاعل فيهم جميع أفعالهم كلها من أفعال الله.

قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الصافات: 96] فأضافوا ما أتوا به من المحامد والمحاسن والفضائل وصالحات الأعمال كلها إلى الله، فخلصوا من ورطات الرياء والسمعة والشرك الجلي والخفي، وغير ذلك من العقوبات الفاسدة والنقائص والقبائح والمدام من الأعمال؛ لأنهم لا يشهدون نفوسهم؛ ولذلك تميز أسرار غامضة.

---

(1) **الأخلاق**: هي عشرة منازل ينزل فيها السائرون إلى الله تعالى، وهي: «الصبر، والرضا، والشكر، والحياء، والصدق، والإيثار، والخلق، والتواضع، والفتوة، والانبساط» وإنما سميت هذه المنازل أخلاقًا؛ لأنها هي الأوصاف التي يحتاج إلى التخلق بها لمن أراد الدخول في حضرات القرب، ورام الخطوة بها.

﴿وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفۡسِكَۚ﴾ [النساء: 79] وقوله: وللشر ليس إليك، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه، فنسبوا كل ذلك إلى أنفسهم ولم ينسبوه إلى الله، وأُتُوا وقاية الله عن إضافة النقائص الكمالات التي اتخذوا فيها وقاية، فصار كل واحد منهما وقاية لصاحبه مع أحدية العين وعين الفرق، فبدل الله سيئاتهم حسنات؛ لأنه لا فاعل في الحقيقة إلا الله جمعًا وفرقًا حقًّا وخلقًا، ففازوا بحمد الله بدرجة التحقيق وانتهوا إلى طريق السوى، فالرحمن الذي وسعهم بحيطته بسط عليهم من النعم، وهم أهل رتبة الكمال والشهود.



فصل
في فهم البرزخية

افهم البرزخية بروز الواحد الحق يصورها صاحب الزمان وصاحب الوقت، والحال هو المتحقق بجمعية البرزخية الأولى المطلع على حكم، والداخل والخارج وتصرفات ماضية ومستقبلة من الآن الدائم، فهو طرف لأحواله وصفاته وأفعاله، فلذلك يتصرف في الزمان في القبض والبسط المتحقق بالحقائق، ويفعل ما يفعل في طور وراء أطوار، وفاض عنه وجه السعادة في تجلي مظهر الجمال وعظيم النوال.

افهم أنه خلق كل حقيقة في محمد ﷺ خلق نفس محمد ﷺ على ما وصفنا، لما خلق الله نفس محمد ﷺ خلق نفس آدم عليه السلام بنسخة من نفس محمد ﷺ **فلهذه اللطيفة، افهم هذه الإشارة تكفي عن العبارة فتتكلم في الحال بعبارة ربانية مؤيدة** بنفحات رحمانية إلى أن ينظر الحق بعينه إلى عبده، وقوله: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ﴾ [الزمر: 53].

ولا تلتبس الأشياء إلا على من لا له علم بمعرفة الوصول من عدم العلم بالأصول، ألا ترى سيدي عبد القادر لما قيل له وهو في البادية: يا عبد القادر، إني أنا الله وقد أبحت لك المحرمات فاصنع ما شئت، قال له: كذبت إنك شيطان، فلما سُئل عن ذلك، وقيل له: بما علمت أنه شيطان، فقال لقول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِۖ﴾ [الأعراف: 28] فلما أمرني هذا اللعين علمت أنه شيطان يريد أن يغوني، على أن مثل هذا قد جرى لأهل أحد وغيرهم، وهذا مقام لا أنكره آخر الوقت، وفي بدايتنا أمور أجل من ذلك، وكنا في حقيقة الحقيقة شهودًا وعيانًا فما للشيطان إلينا سبيل بمظاهر برهان الأنوار الشارقة الذي تحرقه وتحرق الظلم، فكنا إذا ظهر رقيبًا أو واشياً نراه عدمًا لا له حقيقة ولا صورة ولا جود له، قوله: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾ [الحجر: 42] ونشاهد مشاهد جمالية وجلالية تارات عديدة، وتظهر تارة من الاسم، وتارة من حيث

الوصف، وتارة من حيث الذات، وتارة من حيث العرش، وتارة من حيث الكرسي واللوح والقلم، ﴿نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ۝١﴾ [القلم: 1] فرجعنا إلى الحضرة الإلهية.

وافهم فلا سبيل إلى صح معرفة الأصول إلى الحقيقة التي على سبيل التوفيق وبابها مغلوق مفتوح، ومحكوم لمن له فيه نصيب، ما يفوته ولا له وقت معلوم قف بالباب مع أدب محض وفناء وسحق ومحق لأنظر إليك بعين رحمة الله الواسعة، افهم التجلي تكون معنا من وراء حجاب الأسماء قبل تجليها، فمن المتكلمين من نتائجه الحقيقية الذاتية من نفسه فيسمع خطايا لا من جهة بغير جارحة، وسماعه للخطاب بكليته لا بأُذن، فقال: افهم الناطق والمقابل للسر لا بلفظ قاله في خطابه، ولا يسمع إذن للخطاب، فقال له: أنت حبيبي أنت محبوبي أنت المراد أنت وجهي في العباد وأنت المقصد للأشياء أنت المطلب الأعلى أنت سري في الأسرار أنت نوري في الأنوار.

افهم قوله تعالى: ﴿وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنۡ حَبۡلِ ٱلۡوَرِيدِ﴾ [ق: 16] أسكننا عنان الناطق في الحقيقة إلا قليل من لوائحها، وبقينا على الشريعة، فهو المقرب لنا والمعطي لنا قبل وجودنا، ما أحلاها وأجلاها وألطفها من عطية، ولا نكون نمسك عنان المخاطبة إلا من جهة الضعيف؛ لئلا يغلط ويستعظم العطاء.



فصل
في سُعدى وليلى وسلمى...

افهم قول أهل الله، سُعدى وليلى وسلمى وأسماء، افهم وفي تلك ذهبنا من عالم الأجسام إلى عالم الأرواح، وافهم المراتب مرتبة تحت مرتبة، ودرجة تحت درجة، وقد يظهر لنا سرادق من الأنوار، والباطن ملآن من نوره، فينطلق ظاهره على باطنه.

افهم واعلم أن كل ما سمعته أنه كلام الله ولا يحتاج هنا إلى دليل ولا بيان بمجرد سمع الخطاب، فعلم العبد أنه كلام الله في القرآن كلامه منزه، وأنه غير مخلوق.

وقوله تعالى حاكيًا عن يعقوب عليه السلام بالتأويل لرؤيا يوسف عليه السلام: ﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ﴾ [يوسف: 5] وقد تقدم النصيحة مع علمه بأن القدر لا ينجي منه الحذر، فكان قد أوحى إلى إبراهيم عليه السلام **في عهد عهده الله إليه**، قال: سأورث ذريتك هذه الأرض، وأبصره إياها من نهر مصر إلى الفرات النهر الأعظم، فنرجو أن يكون قد اقترب من وعد الله، وخشي أن يكون دون ما وعد به يوسف عليه السلام رؤياه من التنزيه والتقديس الذي دل عليه شهود الشمس والقمر والكواكب له ما أُنبئ به إبراهيم عليه السلام فيما علم به أن يسلك باستغراب في غير بلاده، ويملكون ويولون ألفاً ومائة سنة، وأنت تلحق بآبائك في عافية، وشيوخه صالحة وتتصرف ذريتك هاهنا في الدرجة الرابعة، فقال: ﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ﴾ [يوسف: 5].

قال رسول الله ﷺ: «**من رأى منكم رؤيا سوء فلينفث عن يساره ثلاثًا وليتعوذ بالله من شر ما رآه وليقم فليصل فإنه لا يضره إن شاء الله ولا يخبر بها أحد**»[1].

وقال ﷺ: «**إذا رأى أحدكم رؤيا تسره؛ فلا يخبر بها إلا بعد طلوع الشمس**

---

(1) أخرجه ابن أبي شيبة (29544)، والبخاري (5415)، ومسلم (2261)، وأبو داود (5021)، والترمذي (2277) وابن حبان (6059)، والنسائي في «الكبرى» (7655).

ولا يقصها إلا على من يحب»[1].

وفي رواية أخرى: «**فلا تقصها على امرأة**» ورؤيا الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وحي، والخاتم الرسول محمد ﷺ: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ [النجم: 4].

افهم التصريح بالخلافة باليوم بما كانوا عليه خلائف الله، وهم الرسل، وأمَّا الخلافة عن الرسل إلا عن الله، فإنهم ما يحكمون إلا بما شرع لهم الرسول، لا يخرجون عن ذلك غير هنا دقيقة لا يعلمها إلا من هو في العلم اللدني وأمثاله، وذلك في حد ما يحكمون به بما هو شرع الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام، وإلا فالخليفة عن الرسول من يأخذ الحكم بالنقل عنه ﷺ أو بالاجتهاد الذي هو أصله أيضًا منقول عنه، وفينا من يأخذه عن الله، فيكون عن الله بغير ذلك الحكم من حيث كانت المادة للرسول ﷺ وهو في الظاهر متبع لمخالفته في الحكم كعيسى إذا نزل بحكم، وكالنبي محمد ﷺ.

قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْۗ﴾ [الأنعام: 90].

قوله: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًاۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔاۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ۝٥٥﴾ [النور: 55]. افهم خلافة أبي بكر الصديق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أجمع العلماء أهل الله على أن سيدنا رسول الله ﷺ لم يستخلفه في ذلك الأمر خوفًا من مخالفته؛ أعني: أبو بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ رده إلى الله.

افهم المشيئة الإلهية سلطانها عظيم، فجعلها عرش الذات؛ لأنها بذاتها تقتضي الحكم لا يقع في الوجود شيء ولا يرتفع خارجًا عن المشيئة، فإن الأمر الإلهي إذا خولف هنا بالمسمى يكون معصية، فليس إلا الأمر بالواسطة إلا الأمر الملكوتي، ما خالف الله أحد قط في جميع ما يفعله من حيث أمر المشيئة، فوقعت هنا بالمخالفة من حيث أمر الواسطة، فافهم، وعلى الحقيقة فأمر المسببة أينما توجه على إيجاد عين الفعل لا على مظهره على يديه.

---

(1) أخرجه أحمد (11069)، والبخاري (6584)، والترمذي (3453)، وقال: حسن صحيح غريب، والنسائي في «الكبرى» (10729)، وأبو يعلى (1363)، والحاكم (8181) وقال: صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي.

فصل
في مقام الرحمة

افهم وارجع إلى المقام، وحقيقة المقام بأن الرحمة وسعت كل شيء، وهي سبقت الغضب الإلهي، والسابق يتقدم، فإذا ألحقه هذا حكم عليه المتأخر حكم عليه المتقدم فنالته الرحمة إذا لم يكن غيرها سابق، هذا معنى قوله: سبقت رحمته غضبه؛ ليحكم على من وصل إليها، ولا بد من الوصول إلى الرحمة، ومفارقة الغضب، فيكون الحكم لها في كل واصل إليها.

افهم اتصال أمداد الوجود من نفس الرحمن إلى كل ممكن؛ لانعدامه بذاته مع وضع عين وجوده وفيضان الوجود عليه، فلما تحققا الوجود الكشفي رمتنا عين التحقيق، فإذا المتحقق المتصرف بالحقائق له التوفيق السابق شهود الكثرة الخلقية، ولا تزاحم في أحدية الذات.

افهم المحبة الأصلية هي محبة الذات عينها بذاتها، افهم أن تجلي أحدية الذات هو الإنسان الكامل ارتفاع الستور عنه، قوله: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأنبياء: 23].

افهم سواد الوجه في الدارين هو الفناء في الله بحيث لا وجود ظاهرًا أو باطنًا دنيا وآخرة، وهو الفقر الحقيقي، قوله: ﴿۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾ [فاطر: 15] ولهذا إذا صح الفقر إلى الله فهو عين المعرفة بالله، ويكون معنى جليل تجلى؛ لأن شهود التجلي الأول للقلب مشهد الجمعية.

افهم تجلي الذات الأحدية، وترى سرائر الأعمال كلها من الله ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الصافات: 96] فنسبة أعمالك إليك وإلى الله خلقية، والله خالق وأنت كاسب.

افهم كون العارف يكون في حقيقته ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المجادلة: 7]

ونحن نشهد ما منَّ الله به علينا من النعمة والجود من غير سؤال منَّا، ولزمنا الأدب الحقيقي حديث عن النبي ﷺ «**أدبني ربي فأحسن تأديبي**»[1] فظهر لنا المعلوم ونفينا الموهوم، وكل ذلك ظاهر لا تنازع فيه، وما ثم منازع ولا شكل ولا معارض.

﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [العنكبوت: 49].

﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾﴾ [فصلت: 35] ونحن في الشوق والذوق[2] والشهود والمشهد، وسبحانه القادر القاهر الذي

(1) أخرجه ابن السمعاني في «أدب الإملاء» (ص1- طبعة العلمية)، وابن الجوزي في «العلل» (284)، وقال: لا يصح، وفيه مجهولون وضعفاء. والحديث ذكره السخاوي في «المقاصد» (45) وضعفه، وكذا العجلوني (164).

(2) **الذوق**: يطلق ويراد به أول مبادئ التجليات، والشرب أوسطها، والرّيّ نهايتها، واعلم أنهم يعبرون عن حال العبد الواصل في سيره في منازل القرب إلى منزل البرق بأنه ذاق قطرة نازلة في ضمن ذلك البرق الصادق، فإن البرق الكاذب المسمى بالخلب هو الذي لا مطر معه، وتلك القطرة تسكن حرقة العطش، واعلم أن الأذواق التي يشير القوم إليها هي علوم لا تُنال إلا لمن كان خالي القلب عن جميع العلائق والعوائق كلها، وتقرير ذلك هو أنه لما استحال على القوة الذائقة أن تدرك شيئًا من الطعوم ما لم تكن خالية عن التكيف بجميعها؛ لكون الرطوبة اللعابية المنبعثة من الآلة المسماة بالملعبة إذا لم تكن عديمة الطعم، فإنه لا يمكن لها أن تؤدي المطعوم على وجهه كما يشاهد ذلك من حال المرضى إذا تكيفت قوتهم الذائقة بكيفية طعم الخلط الغالب، فإن طعم الأشياء المأكولة والمشروبة لا تتأدى إلا مشوبة بطعم ذلك الخلط الغالب، فكذا حال القوة المدركة للحقائق من الإنسان، فإنها ما لم تكن خالية عن التكيف بشيء من العقائد، والآراء المترسخة فيها فإنها لا محالة يستحيل عليها أن تؤدي إلى نفس كيفية تلك الحقائق على ما هي عليه في أنفسها ليمكن النفس من الاطلاع على وجه الحق فيها، فمن هذا يعلم وجوب اشتراط هيولية النفس بالنسبة إلى صور المتعلقات عندما يراد الاطلاع على حقائقها، وإلا لامتنعت بالتكيف بالبعض عن التكيف بباقيها، ومن تبين له هذا عرف وجه تخصيص القوم لعلومهم بكونها ذوقية، وأن ذلك من جهة إدراكهم لها تكيف وتحقق بها كما تتكيف القوة الذائقة وتتحقق بمذوقها بخلاف حال العلوم الرسمية؛ لأن المدرك منها هو رسوم الحقائق لا أعيانها، فإن العلم بطعم العسل مثلاً شيء والذوق له شيء آخر، والأول يقبل الشدة والضعف بخلاف الثاني في الحاسة السليمة، فإنه لا يبقى مانعًا عن التكيف بحقيقة الطعم الموجود للحاسة المدركة له، ومعلوم أن هذا النوع من الإدراك يتوقف على=

يضل من يشاء ويهدي من يشاء في واحد، فلما تجلى بذلك وأفاض علينا من خزائن نعمه وجوده حصلت المنة.

قـــولـــه: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ [آل عمران: 164] فلما رمقتنا طريق الاستهلاك في معرفة الحق في هذه الدار أبد الآباد فلا ثم شك ولا ريب ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾﴾ [الحديد: 3].

* * *

= فراغ المحل عما سوى الكيفية المدركة له لئلا يبقى للقوة الذائقة كيفية مغايرة لكيفية المذوق، بل هو لو قيل: ما كيفية قوتك الذائقة عندما تستعمل العسل؟ لقال: كيفية العسل، فقد اتخذ المدرك بمدركه؛ إذ لم يبق له كيفية سواه. ولهذا قال قائلهم:

أنا من أهوى ومن أهوى أنا

ومن هذا يعلم أن كمال العلم بالشيء لا يتم إلا بحصول الاتحاد الرافع للمغايرة والعناد، وأن درجات العلم به إنما تختلف بالكمال والنقص باعتبار القرب إلى الاتحاد، والبعد منه، فمتى بلغ العالم بشيء إلى حقيقة الاتحاد بمعلومه، بحيث ترتفع المغايرة بينهما حصل على أعلى درجات العلم بذلك المعلوم، فقد تحققت من هذا بأن العلم الحقيقي لا يتم بدون الذوق المعبر عنه بالاتحاد؛ لأن بقاء كيفية المدرك أو صورته مغايرة لكيفية المدرك له ولصورته مما يمنع عن كمال إدراكه؛ ولهذا يتعمل السالكون إلى معرفة الله، وكشف حقائق أسمائه، وأعيان مكوناته في قطع العوائق المانعة عن كمال الإدراك بجلاء مرآة البصيرة، وبتطهير النفس عن ارتكاب نواهي الإله، وعن التقاعد عن أوامره، ثم بالفناء بعد ذلك عن جميع حظوظها ليصح لها الدخول إلى حضرته بمداومة ذكره المورث للحضور، والغيبة عما سواه، وحيث لا يبقى مانع عن كمال الجلاء وتمام الاستجلاء من كيفية أو صورة، أو غير ذلك من الأشياء التي تحجب بين المدرك وبين ما يدرك إدراكه، كما تنحجب القوة الذائقة عن كيفية المذوق بما تكيفت به من كيفية الخلط المانع لها عن إدراكها، فقد اتضح لك بما ذكرناه معنى الذوق، وتبين لك أن ذلك لا يحصل إلا للمتخلي عن جميع الكيفيات والصور ليصير قلبه «هيولى» يدخل إلى الحق لتخليه بصورة شريفة، ومعلوم أن ذلك لا يصح إلا بعد انمحاء كل ما يشغل المحل، ويمنعه عن قبول ما ينقشه القلم الأعلى في الوجه، وذلك لا يكون إلا بفنائه عن صورة نفسه وكيفياتها، وعن صور جميع الخلق، وبالتحقق بصورة مطلوبه الواحد الحق.

وإلى هذا المعنى أشار سيدي عمر:

فلمْ تَهوَني مَا لمْ تكُن فِيَّا فانياً ... ولـمْ تفنَ ما لـمْ تَجتلِي فيكَ صُورتي

فصل
في العُبودة

فلما تحققنا في المظاهر العلوية والسفلية، وأظهرنا فقرها الذاتي والخلقي شهادة ذاتية، قوله تعالى: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا ٩٣﴾ [مريم: 93].

﴿وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ كُلّٞ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ٢٦﴾ [الروم: 26] فلما رأينا قبل وبعد وما وراء العقل ما نرى غير شيء واحد لارتفاع همتنا إليه وعزمنا إليه شهدنا ـ والله ـ الحق حقًا والباطل باطلاً ﴿وَقُلۡ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَزَهَقَ ٱلۡبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلۡبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقٗا ٨١﴾ [الإسراء: 81] فكيف تطالب الحق بظهور، فمتى كان غيره معه أو شيئية له، أو شكل الحق العلي لا ضد له من حيث هو، والباطن عبر عنه بالنفي له قبل الاستثناء من حالة الذي حبه، وقوله: لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، وذلك توهم لا وجود له في الوجود البتة.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِ ٱلۡبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ٣٠﴾ [لقمان: 30] ثم إن الله هو الواحد الحق، ونحن في طلبنا ومرادنا في محبته وفي رضاه وخصوصية سابقة معنا من فيضه الأقدس الخاص والعام، وهو الحق المبين ﴿وَيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ بِٱلۡحُسۡنَى﴾ [النجم: 31].

قوله: ﴿أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ [المجادلة: 22] فلما أظهر لنا الخفيات وتنزل من الغيب إلى الشهادة، فكان ودودًا إلينا بالمحبة فنحن معه وإليه ﴿يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: 54].

افهم الأبد أو الإخفاء، والغيب والشهادة، والكشف والحجاب، والصور والسرّ الذي به يعقل ما ذكرناه، وهو عرشه المجيد، افهم ﴿أَوۡ أَلۡقَى ٱلسَّمۡعَ وَهُوَ شَهِيدٞ﴾ [ق: 37] هذا علم اللدني لا ينسخ حكمه على ما ذكرناه لك، وأيدناك بمطالعته لينور قلبك، ﴿لِّيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ﴾ [الحديد: 9] نور القلب، وأمعن النظر في المعنى، والباطن يكون لك المدد بلا سبب ولا واسطة، ومن

شأنه الفضل والجود، افهم، ولابدَّ من الفناء عن الوجود ولا ثم ثانيًّا فأقصر نظرك تكن معنا في مقام الشهود الصحيح ﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ﴾ [الأحزاب: 4].

﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾﴾ [فصلت: 35].

وافهم لباب المعارف الذهبية ﴿وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿٢٠﴾﴾ [إبراهيم: 20] ونتكلم كلام غريب معناه عزيز، وظاهره على قانون الشريعة المحمدية مظاهر الحق أحلى عندنا من الشمس الضاحية، والنبيين بالمعرفة وذوق وشوق وشهود، فسبحان من اختفى عن الخلق بشدة ظهوره، وإشراق نوره، واتصال أمداد ومواهب ﴿كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾﴾ [الإسراء: 20].



فصل
في الإثبات والمحو

افهم من كان مشاهدًا لهذا المشهد ذوقًا متحققًا للحق، وفناء وجود العبد في ذات الحق فثبت له الفناء ومحو الرسم، فهي معرفة تامة وقصد ومقصود صحيح، وخاطبنا الحق ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ﴾ [غافر: 60] أوجب الحق الصدق بقوله: ﴿لِّيَجۡزِيَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدۡقِهِمۡ﴾ [الأحزاب: 24].

وقوله تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨٥﴾ [البقرة: 285].

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ٢٥٥﴾ [البقرة: 255].

وقوله: ﴿رَّبَّنَا عَلَيۡكَ تَوَكَّلۡنَا وَإِلَيۡكَ أَنَبۡنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [الممتحنة: 4].

افهم إشارة قوله: ﴿عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ [الجمعة: 8].

قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦﴾ [الأحزاب: 56] كما صلت عليه الملائكة الجميع، وكما حاز الكمال واستوفاه، وأشهد أن محمدًا ﷺ المدعو بأنه رسوله المعظم ونبيه المكرم وصفيه المعلم وطرازه الأفخم وسابقة الأقدم وصراطه الأقوم، ريح صبا شمس الرحمة رحمة الربوبية طينة أرض الذلة والعبودية، والسبع المثاني، وصاحب مفاتيح الثواني، مظهر الكمال والجمال، ومقتضي الجمال والجلال، كل الكمال عبارة عن خردل مقسوم من حقيقة المجموع محمد ﷺ وعلى آله وأصحابه القائمين عنه في أحواله، النائبين عنه في أفعاله رضي الله عنهم أجمعين، وهو حسبنا ونعم الوكيل نعم

المولى ونعم النصير ﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ﴾ [الأحزاب: 4] وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا، والحمد لله رب العالمين.

تم هذا الكتاب بحمد الله وعونه وحسن توفيقه في عصر يوم الجمعة المبارك الواحد والعشرين من شهر ذي الحجة الحرام، الذي هو من شهور سنة 1183 من الهجرة النبوية، على صاحبها أفضل الصلاة والسلام على يد الفقير ذي اللطف الخفي محمد سلام الحنفي الخلوتي عفا الله عنه آمين.



فهرس بأهم المصادر والمراجع

1- الدر المنثور فى التفسير بالمأثور. طبع دار الكتب العلمية.
2- التأويلات النجمية لنجم الدين داية ويليه عين الحياة للسمناني، ط دار الكتب العلمية- بتحقيقنا.
3- عرائس البيان في حقائق القرآن، لروزبهان البقلي الشيرازي، ط دار الكتب العلمية- بيروت- بتحقيقنا.
4- إحياء علوم الدين ومعه المغني عن حمل الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار دار الكتب العلمية.
5- لطائف الإعلام فى إشارات أهل الإلهام للشيخ عبد الرازق القاشاني. ط. الهيئة المصرية العامة للكتاب، ودار الكتب العلمية بيروت.
6- الفتوحات المكية (أو - كما تُسمى - الشرح الكامل للشريعة المحمدية الإسلامية) لإمام الأئمة العارف المحقق مولانا محيي الدين بن العربي المعروف بالشيخ الأكبر. ط. دار صادر في أربعة مجلدات.
7- كتاب المواقف الإلهية والفيوضات السبوحية للعارف الكامل سيدي عبد القادر الجزائري ط. دار الكتب العلمية بيروت.
8- معراج الأرواح للمصنف - ط دار الكتب العلمية- بتحقيقنا.

فهرس المحتويات

FATḤ BĀB AL-MAWĀHIB

WA BUĞYAT

MAṬLAB AL-MAṬĀLIB

By
Sidy Abu Baker ben Salem
(D. 992 H.)

Edited By
Al-Shaykh Ahmad Farid Al-Mazidy

